PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Rafi'i

﴿كتاب﴾

احياء القلوب شرح الامام العارف بالله تعالى عمدة الواصلين
وكعبة السالكين ينبوع على الحقيقة والدين مولانا
الشيخ عبد القادر الرافعى الفاروقى الطرابلسى
على حكم شيخه ولى الله تعالى صاحب الكرامات
الظاهره والاشارات الباهره سيدى
محمود الكردى الخلوتى قدس الله
روحهما ونور ضريحهما
ونفعنا بهما
آمين

طبع على نفقة ملتزمه الفقير اليه تعالى خادم العلم
الشريف محمد سعيد بن عبد القادر الرافعى
الفاروقى الطرابلسى عفى عنه آمين

﴿حقوق الطبع محفوظه﴾

﴿الطبعه الاولى﴾
(بالمطبعة العلميه سنة ١٣١٥ هجريه)

Arabic (RECAP)
2274
.198
.352
1897
(Arabic)
BP188
.5
.A54
1897

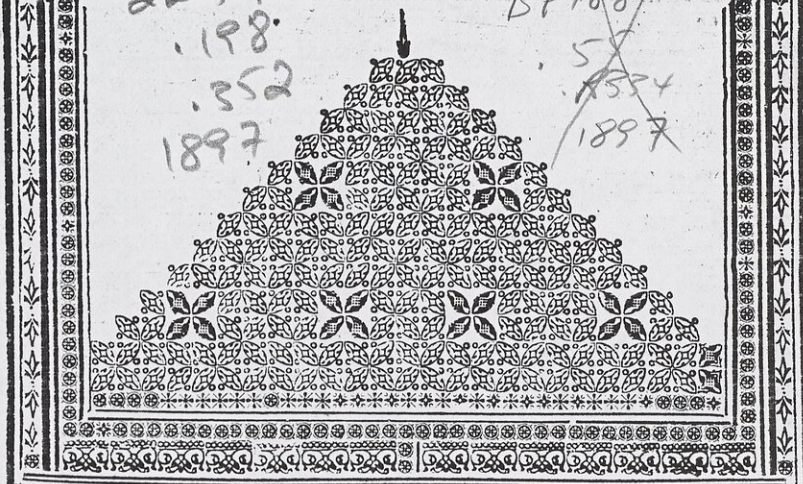

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أجرى ينابيع الحكم والاسرار * على ألسنة المخلصين الاخيار * تحقيقا لما أخبر به النبى المختار * فى صادق كلامه * من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكم من قلبه على لسانه * والصلاة والسلام على ترجمان الحضرة الالهيه ومنبع الفيوضات الوهبيه * أفضل من نطق بالحكمة وفصل الخطاب * وأوتى جوامع الكلم فاعجز البلغاء والفصحاء من أولى اللسن والالباب * وعلى آله وأصحابه الآخذين كلامه بمحامل الكمال السارحين فى رياض حدائق معانيه * المقتبسين من مشكاة مبانيه * وعلى خلفائه الراشدين * والعلماء العاملين * وأهل الوراثة من الاولياء العارفين * والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين * أما بعد * فيقول أسير الذنوب * كثير المساوى والعيوب * أبو البركات عبد القادر الرافعى بن عبد اللطيف البيسارى * غفر الله زلته * وبيض صحيفته * لما طالعت رسالة مولانا وسيدنا القطب الربانى * والحاتمى الثانى * سيدى الشيخ محمود الكردى الكورانى * قدس الله سره * وطيب الله مقره * وكنت كثيرا ما أود ان تشرح بشرح شافى * ولمهماتها كافى * حتى انى عرضت غير مرة لحضرة الاستاذ بشرحها * وكشف غامض سرحها فقال لى رحمه الله تعالى اشرحها أنت فخجلت فسترت وجهى منه بالخجل * ولبست

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 009322650

ثوب الوجل * لعلمي بأني لست من أولئك الرجال * وليس لي في هذه الحلبة مجال *
ثم بعد انتقال جناب الشيخ عليه الرحمة والرضوان * الى الرفيق تصدى خليفته
الشيخ العارف بربه شيخنا وسيدنا الشيخ عبد الله الشرقاوي بلغه الله ما هو ناوى
الى شرحه فشرحه شرحا لطيفا جامعا مانعا استخرج به من كنوز معانيه أخفاها *
فما غادر كبيرة ولا صغيرة الا أحصاها * الا انه لتحققه شكر الله صنيعه في مقام العرفان *
وأفاض علينا من بركاته فيوض الاحسان * سلك فيه مسلك الحقائق * وغاص في
بحور الدقائق * فقصر عنه فهم مثلي القاصر * وكل اناء بالذي فيه قاطر * فاحببت
ان أخدمه بشرح يجنح الى سبيل السلوك * مقتصرا على ما ذكره العارفون في علم
السلوك * من الحكم الواضحة * والمواعظ الناصحة * والحكايات الظاهرة * والامثال
الزاهرة * ليعم نفعه من كان مثلي قاصرا * ولي معاصرا * وما حملني والله يعلم عليه ان أذكر
في المحافل * أو يسطر اسمي في مؤلفي الكتب والرسائل * بل عملته تذكرة لنفسي
الامارة ولمن شاء الله من الاخوان * امتثالا لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد تخفى على
المرء دسائسها * ولا يغلبها الا من سايسها * وقد صدرت هذا الشرح بترجمة مؤلفها
لتشملها بركاته أولا وآخرا * وباطنا وظاهرا * فاقول وبالله المستعان * وعليه التكلان
وهو حسبي ونعم الوكيل * أما الشيخ فهو العارف بالله بلا نزاع * شيخ وقته بلا دفاع *
انعقد اجماع العارفين على ولايته وتوافقت كلمتهم على خصوصيته نشأ في المجاهدة
وهو في بلده صاقص من بلاد كوران وهو ابن خمس عشر سنة صائم الدهر يحيي
الليل كله في مسجد معروف ببلدته حتى اشتهر أمره وقصده الناس بالزيارة فهجر
ذلك الجامع وصار يأوي الى الخراب الذي في خارج البلدة بحيث لا يشعر به أحد
* وقد أخبرني رضي الله عنه غير مرة انه كان لا يغمه في الليل الا سماع صوت الديكة
خشية طلوع النهار لما يجده في ليله من المواهب والاسرار وكان نومه في النهار
وكان كثير الاجتماع بالخضر عليه السلام وقد أخبرني غير مرة انه كان بمجرد ما ينام
يرى الخضر في المنام يذكر الله معه حتى يستيقظ * وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى
لا نوما ولا يقظة * وأخبرني رضي الله تعالى عنه غير مرة قال لي جميع ما في كتاب
احياء العلوم للغزالي عملت به قبل ان أطالعه فلما طالعته حمدت الله على توفيقه
لي وتوليته تعليمي من غير معلم * وكان رضي الله عنه كثير التقشف من الدنيا

كان يأكل خبز الشعير وفي بيته يصنع خاص دقيق البر وكثيرا ما يلومه اخوته على ذلك وكان له أخ أكبر منه كان كثير اللوم له على ما يفعله من مجاهداته وتقشفاته وأخبرني رضي الله عنه انه لما مات والده اجتمع اخوته وأخواله في مكان فقال لهم في الملأ العام اشهدوا يا اخوالي ويا فلان وفلان على اني قد وهبت جميع ما يخصني من والدي من ارث وما أملكه لاخوتي وانا عندهم بمنزلة الضيف وما آكله عندهم صدقة فبكى اخوته عند ذلك وقالوا له أنت بركتنا وأنت سيدنا وكان والده كثير الخير والمال كان عليق دوابه في كل ليلة ما ينوف عن النصف غرارة من الشعير وبعد ان صار عمره ثمانية عشر سنة أو تسعة عشر سنة رأى في بلده وهو في بلاد الكرد الشيخ محمد الحفناوي فقيل له هذا شيخك فتعلق قلبه به وقصده بالرحلة اليه حتى قدم مصر واجتمع بالعارف بالله سيدي محمد الحفناوي وأخذ عنه الطريقة الخلوتيه وسلك على يديه بعد ان كان على طريقة الشيخ القصيري رضي الله عنه ولما أخذ على العارف بالله سيدي محمد الحفناوي المذكور قال له يا سيدي اني أسلك على يديك ولكني لا أقدر على ترك أوراد الشيخ القصيري فأقرأ اوراد القصيري وأسلك طريقتك فاجابه الشيخ رضي الله عنه الى ذلك ولم يشدد عليه في ترك أوراد الشيخ القصيري لما عرفه من صدقه مع المذكور فلازمه مدة طويلة ولقنه اسماء الطريق السبعة في قطع مقاماتها وكتب له اجازة عظيمة شهد له فيها بالكمال * والترقي في مقامات الرجال * وأذن له بالارشاد * وتربية المريدين للمراد * وكان رضي الله عنه اذا أراد أحد أن يأخذ عليه الطريق يرسله الى الشيخ محمود ويقول لغالب جماعته عليكم بالشيخ محمود فاني لو لا أعلم من نفوسكم ما أعلم لامرتكم كلكم بالاخذ عليه والانقياد اليه ولما قدم شيخه القطب الرباني سيدي مصطفى الصديقي رضي الله عنه لازمه وأخذ عنه كثيرا من علم الحقائق وكان السيد البكري رضي الله عنه كثير الحب فيه فلما رآه لا يقرأ أوراد الطريقة الخلوتية ويقتصر على أوراد الشيخ القصيري رضي الله عنه عاتبه في ذلك وقال له أيليق بك ان تكون سالكا على أيدينا وتقرأ أوراد غيرنا اما ان تقرأ أورادنا واما ان تتركنا * فقال له يا سيدي أنتم جعلكم الله رحمة للعالمين وأنا أخاف من الشيخ القصيري ان تركت أوراده وشيء لازمته من صغري لا أحب ان أتركه في كبري فقال له السيد البكري رضي الله عنه استخر الله وانظر ماذا ترى لعل الله تعالى يشرح صدرك قال رضي الله عنه كما سمعته منه غير مرة

فاستخرت الله تعالى ونمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم والقصيرى عن يمينه والشيخ البكرى عن يساره وأنا تجاههم فقال القصيرى للرسول عليه الصلاة والسلام يارسول الله أليست طريقتى على طريقتك أليست أورادى مقتبسة من أنوارك فلم يأمر السيد مصطفى البكرى الشيخ محمود الكردى بترك أورادى فقال السيد البكرى يارسول الله رجل سلك على أيدينا وأخذ طريقتنا وتوليناتربيته أيحسن منه ان يقرأ أوراد غيرنا ويهجر أورادنا فقال الرسول عليه الصلاة والسلام اعملا فيه القرعة واستيقظ الشيخ من منامه فأخبر السيد البكرى بالمنام فقال له معنى القرعة فى ذلك انشراح صدرك انظر الذى ينشرح له صدرك واعمل به ثم بعد ليلة أو أكثر رأى الصديق الاكبر رضى الله عنه وهو يقول له ياحمود خليلك مع ولدى السيد مصطفى ورأى ورد السحر الذى ألفه المذكور مكتوبا بين السماء والارض بالنور المجسم كل حرف منه مثل الجبل فشرح الله بعد ذلك صدره ولازم أوراد السيد البكرى رضى الله عنه وأخذ من أوراد القصيرى ما استطاع وترك الباقى وأخبرنى رضى الله عنه انه رأى حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام فى بعض المرائى وكان جمع الفقراء فى ليلة مباركة وذكر بهم الى الصباح وكان عنده شئ من الدنيا فورد على قلبه وارد زهد ففرقه على المذكورين وفى اثناء ذلك صرخ من بين الجماعة صارخ بقوله الله بحال قوى فلما فرغوا قال للشيخ ياسيدى سمعت هاتفا بين السماء والارض يقول ياشيخ محمود ليلتك قبلت عند الله تعالى فلما نام رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه قال له ياشيخ محمود ليلتك قبلت عند الله وهات يدك حتى أجازيك فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد الشيخ والسيد البكرى حاضر فى المجلس فأخذ يده ووضعها الشريفة بين أيديهما وقال أريد ان أخاوى بينك وبين السيد البكرى وأتخاوى معكما الناجى منا يأخذ بيد أخيه فاستيقظ رضى الله عنه فرحا بذلك فلم يلبث يسيرا الا ورسول السيد البكرى يطلبه فتوضأ وذهب الى زيارته وكان من عادته كل يوم يزوره فلما رآه قال له ما أبطأك اليوم عن زيارتنا فقال ياسيدى سهرنا البارحة الليل كله فنمت فتأخرت عنكم فقال له السيد هل من بشارة أو اشارة فقلت ياسيدى البشارة عندكم فقال قل ما رأيت فتعجبت من ذلك فقلت ياسيدى رأيت كذا وكذا فقال يامنلا محمود منامك حق وهذه بشرة لنا ولك فانه صلى الله عليه وسلم ناج قطعا ونحن ببركته ناجون ومناقبه رضى الله عنه لا تكاد تحصر وكان كثير المرائى لرسول

الله صلى الله عليه وسلم قلما تمر ليلة الا ويراه صلى الله عليه وسلم فيها وكثيرا ما يرى ربه في المنام وقد رآه مرة يقول له يا محمود اني أحبك وأحب من يحبك فكان رضي الله عنه يقول كل من أحبني دخل الجنة وقد أذن لي ان أتكلم بذلك * وأما مجاهد الله رضي الله عنه فالدية المدرار كما قالت الست عائشة رضي الله عنها في جنابه صلى الله عليه وسلم كان عمله ديمة وأيكم يستطيع عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ من مجاهد الله رضي الله عنه انه لما ضعف عن القيام في الصلاة لعدم تماسكه بنفسه صنع له خشبة قائمة يستند عليها ولم يدع صلاة النفل قائما فضلا عن الفرض ولم يدع قيام الليل والوظائف التي كانت مرتبة عليه في حال من الاحوال وكان لا ينام من الليل الا قليلا وكان ربما يمضي عليه الليل كله وهو يبكي وربما تمر عليه الليلة كلها وهو يردد آية من كتاب الله تعالى وكثيرا ما كان يقتصر على الخبز والزيت ويؤكل في بيته خواص الاطعمة وكان غالبا ما يأكل الارز تارة بالزيت وتارة بالسمن البقري وقلما تراه في خلوته أو مع مريديه الا وهو مشغول في وظائف أوراده * وقال لي مرة ربما أكون مع أولادي ألاعبهم وأضاحكهم وقلبي في السماء الدنيا أو في السماء الثانية أو في العرش وكثيرا ما تفيض على قلبه معرفة الحق سبحانه وتعالى فيجعل يبكي ولا يشعر به جليسه * وكنت قلت يوما للعارف بالله خليفته سيدي الشيخ محمد بدير رضي الله عنه من كرامة الاستاذ رضي الله عنه انه ما يسمع شيأ من العلم الا وحفظه ولا يزول من ذهنه ولو بعد سنين * فقال لي المذكور رضي الله عنه بل الذي يعد من كرامات الشيخ رضي الله عنه انه لا يسمع شيأ من العلم النافع الا ويعمل به في نفسه ويداوم عليه فقلت له صدقت والله هذا حاله رضي الله تعالى عنه وكنت مرة أسمعته روض الرياحين لليافعي رضي الله عنه فلما كملته قال لي بمحضر من أصحابه هل يوجد الآن مثل هؤلاء الرجال المذكورين فقال له بعض الاخوان الخير موجود يا سيدي في أمة الرسول فقال الشيخ رضي الله عنه قد وقع لي في الطريق أبلغ من ذلك * وأحكي لكم عما وقع لي في ليلتي هذه كنت قاعدا أقرأ في أورادي فعطشت وكان الزمن مصيفا والوقت حارا وأم الاولاد نائمة فكرهت ان أوقظها شفقة عليها فما استتم هذا الخاطر حتى رأيت الهوى قد تجسم لي ماء وعلا لي الماء حتى كأني صرت في غدير من الماء وما زال الماء يعلو حتى وصل الى فمي فشربت ماء لم أشرب مثله ثم انه هبط حتى لم يبق قطرة ماء ولم يبتل مني شيء وبردت ليلة في أيام الشتاء بردا شديدا وأنا قاعد

أقرأ فى وردى وقد سقط عنى حرامى الذى اتغطى به وكان رضى الله عنه اذا سقط عنه غطاءه لا يستطيع ان يرفعه بيده لضعف يده قال فاردت ان أوقظ أم الاولاد فاخذتنى الشفقة عليها فنام هذا الخاطر حتى رأيت كانونا عظيما ملآنا من الجمر وضع بين يدى وبقى عندى حتى دفى بدنى وغلب وهج النار على فقلت فى سرى هل هذه النار حسية أو هى خيال فقربت أصبعى من النار فلذعتنى فعلمت انها كرامة من الله تعالى ثم رفعت * والحاصل ان مناقبه رضى الله عنه لا تكاد تنحصر * وكان سبب تأليف هذه الحكم كما أخبرنى رضى الله عنه غير مرة قال رأيت الشيخ محيى الدين العربى رضى الله عنه فى المنام أعطانى مفتاحا وقال لى افتح فيه الخزانة فاستيقظت وهذه الحكم تدور على لسانى وترد على قلبى انى أكتبها وكنت كلما صرفت الوارد عنى عاد الى فعلمت انه أمر الهى فكتبتها فى لمحة يسيرة من غير تكلف كانما هى تملى على لسانى من قلبى انتهى كلامه رضى الله عنه * وقد ألف رسالة سماها السلوك لابناء الملوك فكتب عليها كثير من العلماء وكتبت أيضا عليها قصيدة قلت

بحمدك يا مولاى يرتاح ناطقه * ويبدو لارباب اليقين بوارقه
ومنك أتانا الفيض والفضل والهدى * وجاد بمكنون اللدنى وادقه
ومن منك عن اذن تكلم بالهدى * تجلت على عرش القلوب حقائقه
فما كل وعظ فى القلوب مؤثر * وما كل روض الفضل تزهو شقائقه
اذا حل سر الله فى قلب عارف * أضاءت على الاكوان منه شوارقه

الى آخر القصيدة وهى قصيدة طويلة مدحت فيها الرسالة المذكورة منها

سكرنا بها لما أديرت كؤسها * علينا سنا واستنشق العرف ناشقه

وهذه الرسالة المذكورة عظيمة النفع سارت بها الركبان وانتفع بها القاصى والدان ولم يختلف فى فضلها اثنان ولكلامه رضى الله عنه وقع فى النفوس عظيم اذا تكلم كأنما كلامه خرزات نظمن فى جيد حسناء لا ينطق الا بحكمة أو موعظة أو مسائل دينية لا تكاد تسمع فى مجلسه ذكر أحد بسوء خدمته نحوا من عشر سنوات ما رأيته ارتكب صغيرة كثير الشفقة والرحمة على خلق الله تعالى سيما لارباب الذنوب والمعاصى كثير التواضع كثير الاحسان للفقراء والمساكين لا يمسك من الدنيا شيأ جميع ما يأتيه ينفقه فى طاعة الله تعالى ما رأيته أمسك بيده درهما ولا دينارا قط أخذ بالورع فى جميع أموره ليس لدهم الأمور الآخرة لا يهتم

لشأن الدنيا أقبلت أو أدبرت كفاه الله مؤنة الدنيا عنده خادم يقبض جميع ما يأتي له من الدنيا ويصرف عليه فلا يزيد ذلك على حاجته ولا ينقص شيأ وقد من الله تعالى علي انني خدمته في غالب أمراضه سيما في مرضه الذي مات فيه وقد قبضه الله تعالى اليه وهو في حجري وانا مسنده الى صدري ومات وهو عني راض رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به وجميع المسلمين * وهذا أوان الشروع في المقصود * بعون الملك المعبود * قال رحمه الله تعالى ﴿ اسلك مسلك الخير لتسلم من كل هم وضير ﴾ * اعلم ان هذه الحكمة التي ذكرها الشيخ رضي الله عنه في بدأ حكمه جامعة لجميع ما بعدها من الحكم فكل ما بعدها كالتفصيل لمجملها والشرح لها فان مسالك الخير عبارة عن الطرق الموصلة الى رضوان الله تعالى من زهد وتوكل ومجاهدة نفس وذكر وجوع وسهر وصمت وعزلة وأدب مع خلق الله تعالى ويأس مما في أيدي الناس واخلاص وقناعة واظهار العجز والصدق في طلب الحق سبحانه وتعالى الى آخر ما ذكره رضي الله تعالى عنه فقد كادت هذه الحكمة ان تكون من جوامع الكلم بالوراثة المحمدية فان جميع ما في هذه الرسالة مندرج في ضمن هذه الحكمة الشريفة ومسالك الخير المأمور بسلوكها عبارة عن امتثال الاوامر واجتناب النواهي ما أتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وينتظم ذلك أفعال الجوارح واعمال القلب بل المدار على الاعمال القلبية بموجب ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واشارة ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن فضلكم بشيء وقر في صدره فسلوك الجوارح بدون القلب تعذيب بلا طائل ﴿ ومراتب السلوك ثلاثة ﴾ الاسلام والايمان والاحسان فالاسلام أول مراتب السلوك لعامة المؤمنين والايمان أول معارج القلب لخاصتهم والاحسان أول معارج الروح لخاصة المقربين وقد فسر ذلك صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور حيث قال في الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وفي الثاني ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر كله خيره وشره حلوه ومره وفي الثالث ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فاستفد منه ان الاسلام قيام البدن بوظائف الاحكام والايمان قيام القلب بوظائف الاستسلام والاحسان قيام الروح بمشاهدة الملك العلام * واعلم ان أول مسالك الخير التي يجب على كل مؤمن سلوكها التوبة

وهى أول مقامات الطريق عند العارفين بالله تعالى على خلاف فى ذلك * وقيل أولها اليقظة أى يقظة القلب وانتباهه من غفلاته واقباله على طهارته المشار اليه بحديث الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا أى اذا ماتوا عن حظوظهم الفانية واختياراتهم انكشفت لهم الاستار عن عالم الانوار فدخلوا الطريق على بصيرة * وقيل أولها الزهد اذ بدون الزهد فى الدنيا لا يتاتى للمريد احكام شئ من المقامات لان اناء القلب مشغول بالاغيار فأنى تأتيه الانوار وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وهذا هو الذى لمح اليه الشيخ رضى الله تعالى عنه بقوله * ﴿ ازهد تحمد ﴾ فأشار بذلك الى أن أول مسالك الخير الزهد فى الدنيا وهو الذى يصير به المرء محمودا عند الله تعالى وعند الخلق كما ورد فى الحديث الصحيح ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس نعنى تحمد أى تصير محمودا عند الخلق وعند الخالق فان الدنيا حقيرة قذرة ما تلطخ بها انسان الا وقذره الناس ومجوه وعلى قدر زهد المرء فيها على قدر محبته الناس له واقبالهم عليه وانتفاعهم به * قال سيدى ابراهيم ابن أدهم سلطان الزاهدين رضى الله تعالى عنه خصلة واحدة من اتصف بها صلح أن يكون اماما للعالمين الزهد فى الدنيا وحقيقة الزهد أن يرغب عن شئ ويعدل الى غيره قال فى المختار الزهد الرغبة تقول زهدت فيه وزهدت عنه من باب سلم اه * قال الشيخ رضى الله عنه وللزهد ثلاث درجات * الاولى ان يتكلف الشخص الزهد فى الدنيا ويجاهد نفسه فى تركها مع كونه يشتهيها وهذا متزهد ولعل حاله ابتداء الزهد * الثانية ان يزهد فيها طوعا لاستحقارها عنده بالاضافة الى ما طمع فيه كالذى يترك درهما لاجل درهمين وهذا لا يشق عليه لكنه لا يخلو عن ملاحظة ما تركه وملاحظة حالة نفسه وهى زهده ولا شك ان هذا نقصان أيضا * الثالثة وهى العليا ان يزهد طوعا ويزهد فى زهده اذ لا يرى انه ترك شيأ لمعرفته بأن الدنيا ليست شيأ فيكون كمن ترك بعرة وأخذ درة فلا يرى ذلك معاوضة ولا شك ان الدنيا بالنسبة الى الآخرة أو الى الله تعالى أخس من البعرة بالنسبة الى الدرة بل لا نسبة ههنا اه * وأعلى درجات الزهد ان يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى عن الآخرة ولا يكون له رغبة الا فى جانب الله تعالى فلا يريد شيأ سواه ويدل على فضيلة الزهد كثير من الآيات والاخبار قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له

فى الآخرة من نصيب * وقال عليه الصلاة والسلام اذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه * وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة * وقال عليه الصلاة والسلام اذا رأيتم العبد قد أوتى زهدا وصمتا فى الدنيا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة * ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مؤمن حقا قال له عليه الصلاة والسلام وما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسى على الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها وكأنى بالجنة والنار وكأنى بعرش ربى بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد انور الله قلبه للايمان * ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا الشرح فقال عليه الصلاة والسلام ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة فقال صلى الله عليه وسلم نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله * وقال جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقال على رضى الله عنه بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما معنى لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا وطلبها واتباعها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة * واعلم ان الزهد الكامل هو ان يزهد فى الدنيا لكونها مذمومة عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم مكروهة بالطبع لاحبابه ويزهد فى زهده بان لا يرى لنفسه زهدا بل يرى المنة لله تعالى على توفيقه الى ترك التلطخ بقاذوراتها فذلك هو الزهد الحقيقى المحمود فى الشرائع المحمول عليه أحوال السلف الصالح وفى هذا المعنى أنشد سيدى على وفا قدس الله سره

تجرد عن مقام الزهد قلبى * فأنت بحق وجدك فى شهودى
أأزهد فى سواك وليس شئ * أراه سواك يا سر الوجود

وأما من ترك الدنيا للآخرة فليس بزاهد حقيقة بل هو تارك للقليل الفانى طمعا

في الكثير الباقي * وقال حجة الاسلام الغزالي مثل من يترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب فالقى عليه لقمة خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفترى انه يرى لنفسه عند الملك يدا بلقمة خبز ألقاها الى كلبه في مقابلة ما ناله والشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول اليه مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز فان أكلت فلذتها في الحال على قرب بالابتلاع ثم تبقى ثقلة في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ويحتاج الى اخراج الثقل فمن تركها لينال عند الملك قربا كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا ما يسلم لكل واحد منها بالنسبة الى الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو تمادت ألف سنة صافية من الكدورات فمصيرها الى الزوال اذا عرفت هذا فأعلى درجات الزهد ان تزهد فيما سوى الله تعالى طلبا لوجه الله تعالى الا ما لا بد منه لسد الضرورة فان الدنيا كنهر طالوت المرموز اليه بقوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده يعني ان من تضلع من نهر الدنيا ارتواء واتخذها رداء فليس من حضرة الله في شيء فان أهل الله تعالى باسرهم اجمعوا على ان حب الدنيا وحب الله تعالى لا يجتمعان في قلب ومن لم يطعمه أي يذقه ويشرب منه أصلا وهو القلب الخالي من الاغيار الذي لم تقذره الاقذار فانه مني أي من أهل حضرتي وخواص أهل دولتي الا ما كان بقدر الضرورة فانه مستثنى لا بد منه وهو المشار اليه بقوله الا من اغترف غرفة بيده وقد اجتمع حاتم الاصم أو شقيق البلخي بهرون الرشيد فقال له مرحبا بالزاهد في الدنيا فقال له حاتم أنت أزهد مني قال كيف ذلك قال لانك زهدت في الآخرة للدنيا تركت الباقي للفاني وأنا تركت الدنيا الفانية للآخرة الباقية فأنت أزهد مني قال صدقت يا أستاذ * والحاصل ان حب الدنيا مذموم في كل الشرائع وهو رأس كل خطيئة وسبب لكل فتنة قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وانما كان حبها كذلك لان من أحب الدنيا خاطر في طلبها ونافس أهلها فلا يخلو عند ذلك من آفاتها فيحتاج عند ذلك الى المداهنة مع ابنائها أو معاداتهم ومن لازم ذلك الطمع فيما في أيدي الناس فان كان متجردا من الاسباب التفت الى

ما فى ايديهم من متاعها وحطامها فان أعطى منها رضى وجد وان منع غضب وسخط وذم فحمله ذلك على الشحناء والغيبة والنميمة والبهتان وسوء الظن بالمسلمين كما قال تعالى فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وربما حمله انهماكه على جمعها والتكاثر منها الى ان يصل الى حالة لا يسأل فيها عن حلال أو حرام كما هو واقع من غالب ابنائها الذين استرقتهم بشهواتها وخدعتهم بخذعبلاتها فلا تراه يسأل عن فاسد البيع من صحيحه ولا يحترز فى معاملاته فيكون كما قال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به ثم انه اذا اعتاد تناول الحرام وتهاون فيما يدخل بطنه قل ان يوفق للعمل الصالح وان وفق له ظاهرا فلا بد ان يعتريه من الآفات الباطنة ما يفسده عليه من العجب والرياء ونحوهما وعلى كل حال فالذى يأكل الحرام عمله مردود عليه لان الله طيب لا يقبل الا طيبا فان اعمال الجوارح لا تستطاع الا بالقوة المكتسبة بالغذاء فاذا كان الغذاء خبيثا كانت القوة والحركات المتولدة منه خبيثة قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يتقبل الله منكم ذلك الا بورع حاجز * وروى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يتقبل الله له صلاة ما دام عليه منه شئ واذا كان هذا حكم الثوب الذى عشر قيمته من حرام فكيف يكون الحال لو كان كله كذلك واذا كان هذا فى الملبوس الذى هو على ظاهر الجسد فما الظن به فى الغذاء الذى يتخلل العروق والاوصال ويسرى فى سائر البدن فالحاصل ان حبها اذا سرى فى قلب العبد أفسده وجعله قاعا صفصفا لا تكاد تجد فيه من الخير مثقال ذرة وكما ان حبها رأس كل خطيئة كذلك بغضها رأس كل طاعة وحسنة ويكفيك زهدا فى الدنيا ان الله تعالى سماها فى عدة مواضع من كتابه متاع الغرور وهو خضرة النبات كما قاله الحسن البصرى رحمه الله تعالى أو هى الجيفة المنتنة وقد حصرها الله تعالى فى اللهو واللعب اللذين لا يلتفت لهما عاقل ولا يعرج عليهما الا كل غبى جاهل فقال الله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى غير ذلك * واعلم ان الزهد فى الدنيا نعيم عاجل لاهله لا يستطيعه الا من شرح الله صدره باشراق أنوار المعرفة قال الله تعالى لموسى عليه السلام فى بعض المناجاة اما زهدك فى الدنيا فقد استعجلت الراحة فان الراحة فى تركها قال صلى الله عليه وسلم خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره هما فكل من أخذ منها فوق ما يكفيه

أخذ حتفه وهو لا يشعر وأدنى درجات الزهد ان لا يقع بسبب الدنيا فى ركوب معصية أو ترك طاعة وأعلى درجاته ان لا يأخذ من الدنيا شيأ حتى يعلم ان أخذه أحب الى الله من تركه وبين هاتين الدرجتين درجات كثيرة * وللزهد الصادق علامات منها ان لا يفرح بالموجود ولا يحزن على المفقود من الدنيا ومنها ان لا يشغله طلب الدنيا والتمتع بها عما هو خير له عند ربه ومن جملة حب الدنيا حب الجاه فيجب على العاقل العمل على اخراج حب الجاه من قلبه حتى يستوى عنده المدح والذم واقبال الخلق عليه وادبارهم عنه فان حب الجاه أضر على صاحبه من حب المال وكلاهما داء الان على الرغبة فى الدنيا وأصل حب الجاه حب التعظيم والعظمة من صفات الله تعالى ففى ذلك شائبة منازعة للربوبية وأما حب المال فاصله حب التمتع بالشهوات وذلك من صفات البهائم وقد قال عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى نار جهنم وقال عليه الصلاة والسلام ما ذئبان جائعان ارسلا فى زريبة غنم بافسد لها من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم * قال الامام الغزالى فى مختصر الاحيا اعلم ان الدنيا عدوة لله تعالى عدوة لاوليائه عدوة لاعدائه فعداوتها لله تعالى انها قطعت الطريق على أوليائه ولذلك لم ينظر اليها تعالى منذ خلقها وأما عداوتها لاولياء الله تعالى لانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها وأما عداوتها لاعداء الله تعالى فلاستدراجها لهم بمكرها وكيدتها فقد اقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها اه * وقال بعض العارفين الدنيا أسحر من هاروت وماروت لانهما كان يفرقان بين المرء وزوجه وأما الدنيا فتفرق بين العبد وربه والمرء وقلبه وقد رأى بعض أهل الكشف الدنيا فى صورة عجوز شوهاء فقال لها كم رجل تزوجت قالت كثيرا لا عدد لهم قال هل طلقك منهم أحد قالت لا كلهم قتلت وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال لما مر بشاة ميتة أترون هذه الشاة هينة على أصحابها قالوا نعم قال والذى نفسى بيده الدنيا أهون على الله تعالى من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء * وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال زيد بن أرقم كنا مع الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدنى من فيه بكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على تسكيته قال ثم مسح عينه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وقال عليه الصلاة والسلام يا عجبا كل العجب لمن يصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال عليه الصلاة والسلام ان الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تباهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لا تتخذوا الدينار بافتتخذكم عبيدا أكثروا كنز الله عند من لا يضيعه وان صاحب الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار وقال صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام من ذا الذى يبنى على موج البحر دارا وبلكم الدنيا لا تتخذوها قرارا * وقال أيضا يا معشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا * وقال ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ولقد أحسن من قال

يا خاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان الذى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

﴿ وقال غيره ﴾

أرى الزهاد فى روح وراحه * قلوبهم من الدنيا مزاحه
اذا أبصرتهم أبصرت قوما * ملوك الارض شميتهم سماحه

﴿وقال غيره﴾

هى الدار دار القذا والاذى * ودار الفناء ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر

﴿وقال غيره﴾

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
حسبوها لجة فاتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

﴿غيره﴾

ايا من يؤمل دار الفنا * لدار البقا عليه الضرر
اذا أنت شبت وبان الشبا * ب فلا خير فى العيش بعد الكبر

﴿غيره﴾

هى الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام * فوجهى مضحك والفعل مبكى

﴿وقال غيره﴾

هى الدنيا تجهز بائطلاقى * مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحى * ولا حى على الدنيا بباق

وقال بعض الحكماء الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد أفلاتها تشبه خيالات المنام وأضغاث أحلام وقال عليه الصلاة والسلام الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وهالكون وكتب على بن أبى طالب رضى الله عنه الى سلمان الفارسى رضى الله عنه يمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فأعرض عما يعجبك بها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها وكن آسر ما تكون فيها واحذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور أشخصه مكروه والسلام وقال صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء هل يستطيع الماشى فى الماء ان لا تبتل قدماه وقال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بما ترجع اليه * واعلم ان الدنيا والآخرة عبارتان عن حالتين

فالقريب الدانى دنياك وهى كلما قبل الموت فالذى يحجبك من الدنيا بعد الموت من العلم والعمل فذلك معدود من الآخرة وان كان من حيث الصورة فى هذا العالم كما قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فعدد الصلاة من الدنيا وملاذها الدخول حركاتها فى الحس والمشاهدة الظاهرة ويقابل هذا القسم قسم آخر وهو كلما فيه لذة عاجلة لا ثمرة لها بعد الموت كالمعاصى والمباحات الزائدة على الحاجات وهناك قسم آخر متوسط بينهما وهو كل حظ فى العاجل يعين على اعمال الآخرة كقدر الحاجة من المطعم والمنكح والملبس فليس ذلك من الدنيا كالقسم الاول ويجمع هذه الاقسام قول بعضهم دنياك ماشغلك عن الله تعالى وقد جعل الله تعالى مجامع الهوى فى خمسة أمور فى قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد * والاعيان التى تحصل منها هذه الاشياء سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * واعلم ان مثال العبد فى نسيانه نفسه وما به مثل الحاج الذى يقف على منازل الطريق ولا يزال يعلف الدابة ويتعاهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل عليها ألوان الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج ومرور القافلة وبقائه فى البدو وحده فريسة السباع والعاقل لا يهمه أمر الحمل الا بقدر الحاجة فكذلك البصير فى الآخرة لا يهمه أمر نفسه ودنياه الا بقدر ما يتقوى به على سلوك طريق الآخرة وطائفة غلبتهم الشهوة والغفلة فيكتسبون حتى يأكلون ويلبسون وطائفة عرفوا لما خلقوا فاستعدوا له وعدوا اما سواه من الحاجات والضرورات فلم يقدموا عليها الا لحاجة والضرورة فهكذا ينبغى للعاقل ان لا يغفل عن ربه ويقنع من الدنيا بأدنى بلغة وكفاف ولما كان الزهد فى الدنيا مستلزما للتوكل على الله تعالى لان الانسان انما يترك الحاضر ثقة بالله تعالى انه يقوم بكفايته ويتولى عنايته أعقب الشيخ رضى الله عنه الزهد بالتوكل فقال ﴿ توكل تقبل ﴾ اعلم ان التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الله تعالى وسكونه عن الاضطراب عند فقد الاسباب الموضوعة فى العالم التى من شأن النفوس أن تركن اليها فان اضطرب فليس بمتوكل وأصل التوكل على الله تعالى معرفة القلب بأن الامور كلها

بيد الله تعالى فما ينفع منها وما يضر وما يسوء منها وما يسر وان الخلق لو اجتمعوا كلهم على أن ينفعوه بشئ لم ينفعوه الا بشئ كتبه الله له أو على ان يضروه بشئ لم يضروه الا بشئ قد كتبه الله عليه ومعنى قوله تقبل أى تصير مقبولا عند الله تعالى لان الله تعالى يحب المتوكلين ومن أحبه الله تعالى فهو لا شك انه مقبول عنده ومقبول عند الناس لان من لازم التوكل ترك الطمع فيما فى أيدى الناس ثقة بالله تعالى وعدم الانهماك على الدنيا ومن كان بهذه المثابة كان مقبولا عند الخاص والعام ملحوظا بعين الكمال ألبسه الله ثوب القبول والمهابة وأعزه الله تعالى بعز القناعة وقد أمر الله تعالى بالتوكل فى كثير من الآيات قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود أريت الامم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملئوا السهل والجبل فاعجبنى كثرتهم وهيأتهم فقيل أرضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة يا رسول الله ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعله منهم فقام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة والاشارة انه لما تأخر عن ارادة الخير فاته ذلك الفوز وحرم حظه لان الآفات فى التأخير خصوصا فى الطاعة وبعد ما يفوت الفوت للوقت لا يدركه الا ندامة قال الله تعالى والسابقون السابقون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولما قرأ الخواص رحمه الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده الآية قال ما ينبغى لاحد بعد هذه الآية ان يلتجئ الى أحد غير الله تعالى وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه يتوكلون وقيل قلوبهم رقيقة أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعانى أجبته ومن استغاثنى أغثته ومن استنصرنى نصرته ومن توكل على كفيته فانا كافى المتوكلين وناصر المستنصرين ومغيث المستغيثين ومجيب الداعيين * وروى ان هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار فى التوراة فكتبها

يا ابن آدم لا تخافن من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينقد أبدا يا ابن آدم لا تأنس لغيرى وأنا لك فان طلبتنى وجدتنى وان أنست لغيرى فتتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفى أكثر منه فلا تطمع وفى أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البر ولا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعى بخلقهن أيعينينى رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا يا ابن آدم لا تطالبنى برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فانى لم أنس من عصانى فكيف من أطاعنى وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط * واعلم ان مقام التوكل مقام عزيز لا ينالة الا من كنست نفوسهم المزابل وفنوا فى مراد الله تعالى عن مراداتهم واختياراتهم وهو مقام ابراهيم المشار اليه بقوله تعالى مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وهو حاله الذى كان عليه حين وضع فى المنجنيق وألقى فى نار النمرود فتعرض له عند ذلك جبريل عليه السلام فقال له هل لك من حاجة فقال فى ذلك المقام وتلك الضرورة اما اليك فلا واما اليه فحسبى من سؤالى علمه بحالى فقد فوض كل التفويض ودخل فى لجة التوكل والانقطاع اليه تعالى بالكلية فمن كان هذا مقامه كان آمنا من كل شئ تفعل له الاكوان وتضيء نار نمروذ والنفس والشيطان عليه بردا وسلاما قال العارف بالله القطب الغوث الجامع سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله تعالى عنه فى فتوح الغيب لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلواء فالنعمة واصلة اليك ان كانت قسمتك استجلبتها أم كرهتها والبلوة حالة بك ان كانت مقضية عليك سواء كرهتها أو دفعتها عنك بالدعاء أو صبرت وتجلدت لرضا المولى بل سلم للكل فيفعل الفعل فيك فان كانت النعماء فاشتغل بالشكر وان كانت البلواء فاشتغل بالصبر والتصبر والموافقة والرضا والتنعم بها أو العدم والغنى فيها على قدر ما تعطى من الحالات وتنقل اليها وتنزل فى المنازل وتسير فى طريق المولى الذى أمرت بطاعته والمولى يقطع بك الفيافى والمفاوز والبرارى الى المقامات لتصل الى الرفيق الاعلى فتقام حينئذ فى مقام من تقدم قبلك ومضى من الصديقين والشهداء أعنى به قرب العلى الاعلى لتعاين مقام من سبقك الى الملك ومنه دنا ووجد

عنده كل طريق وسرور وكرامة وأمنا ونعادع البلية تزورك خل عن سبيلها ولا تقف فى وجهها بدعائك ولا تجزع من مجيئها وقربها فليس نارها أعظم من نار جهنم ولظى وقد ثبت فى الخبر المروى عن خير البرية خير من أقلته الارض وأظلته السماء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ان جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى فهل كان نور المؤمن الذى أطفأ لهب نار جهنم ولظى الا النور الذى صحبه فى الدنيا الذى تميز به بين من أطاع وعصى فليطف هذا النور لهب البلوى وليخمد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيهات حل بك من ذلك ودنا منك فالبلية لم تأتك لتهلكك ولكنها تأتيك لتختبرك وتحقق صحة ايمانك وتؤيد قاعدة يقينك وتبشرك باطنها من مولاك بمباهاته بك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فاذا ثبت مع الحق عز وجل بايمانك وعوافقته فى فعله بيقينك فاعلم أن كل ذلك بتوفيق منه وفضل ومنة فكن حينئذ أبدا صابرا موافقا مسلما الى آخر كلامه رضى الله عنه وهو كلام حسن فى غاية الافادة وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ونفعنا بركته والمسلمين فى رسالته واسمها القصد من أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الايمان والتوكل والعبودية لله تعالى على بساط الفقر واللجأ والاستعاذة بالله قال الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وتصحيح الايمان بالشكر على النعماء والصبر على البلاء والرضا بالقضاء وصحة التوكل بهجران النفس ونسيان الخلق والتعلق بالملك الحق وملازمة الذكر والدعاء واذا عارضك عارض يصدك عن الله تعالى فاثبت قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها أوصاف الربوبية اه * وقال الامام حجة الاسلام الغزالى رضى الله عنه فى منهاج العابدين فى العقبة الرابعة عقبة العوارض فعليك بالتوكل على الله سبحانه فى موضع الرزق والحاجة بكل حال وذلك لامرين أحدهما التفريغ العبادة ويتمشى لك من الخير حقه فان لم تكن متوكلا فلا بد من الاشتغال عن عبادة الله تعالى لسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا وكسب البدن كعامة الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين المتعلقين بها والعبادة تحتاج

الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل أقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشئ معلوم لا يكاد يتم له أمر خطير من دنيا وآخرة وكثيرا ما سمعت من شيخي أبي محمد رحمه الله تعالى يقول انما الامور لا تمشي في العالم الا لرجلين متوكل أو متهور قلت وهذا كلام جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة عادة وجراءة قلب لا يلتفت الى صارف يصرفه أو خاطر يضعفه فتجري له الامور والمتوكل يقصد الامور على قوة بصيرة وكمال يقين بوعد الله سبحانه وتمام ثقة بضمانه لا يلتفت الى انسان يخوفه أو شيطان يوسوسه فيفوز بمقاصده ويظفر بمطالبه والمعلق الضعيف فهو أبدا بين نكول وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج في تعبه برمق ما تعود من صاحبه لا يكاد ينفك من ذلك تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد أمرا شريفا وان قصده فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك أما تراى أصحاب الهمم من أبناء الدنيا لما لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا باقتطاع قلوبهم عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم أما الملوك فيباشرون الحروب ويكافحون الاعداء اما ملكا واما هلكا حتى يحصل لهم الملك وعقد الولاية وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال من أراد خطيرا خاطر بعظيمته وأما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون باموالهم في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون أنفسهم على أحد الامرين اما فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك ربح عظيم ومال جسيم وعلف نفيس وأما السوقي الذي ضعف قلبه ورق عزمه لا يكاد يقلع القلب عن علاقته من نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره لا يكاد يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين فان نال في سوقه ربحا على بضاعته درهما فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه بشئ معلوم فهذا في الدنيا وابنائها وأما أبناء الآخرة فرأس مالهم هذه الخصلة التي هي التوكل وقطع القلب عن العلائق لما أحكموها وحصلوها حقا تفرغوا لعبادة الله تعالى تمكنوا من التفرغ عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام الفيافي واستطان الجبال والشعاب فصاروا أقوياء العباد ورجال الدين وأحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤن وينزلون حيث يشاؤن ويترؤن من الامور العظام علما وعبادة ما يشاؤن لا عائق لهم ولا حاجز دونهم وكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من سره ان يكون أقوى الناس فليتق الله ومن سره ان يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده وعن سليمان الخواص لو أن رجلا توكل على الله سبحانه بصدق النية لاحتاج اليه الامراء فمن دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة قلت الى أين ياغلام قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال ياضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والارض يقدر أن يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة فاذا هو في الطواف يقول

يانفس سيحي أبدا * ولا تحبي أحدا
الا الجليل الصمدا * يانفس موتي كمدا

فلما رآني قال ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف وقال أبو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد * قال زادي أربعة أشياء * قال ماهي قال أرى الدنيا والآخرة مملكة الله وأرى الخلق كلهم عبيد الله وعياله وأرى الارزاق والاسباب كلها بيد الله وأرى قضاء الله تعالى نافذ في جميع أرض الله * الامر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله تعالى في هذا الشأن هو ما في تركه من الخطر العظيم والامر الكبير قلت أليس الله سبحانه قرن الرزق بالخلق فقال خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله لا غير كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى أقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك حتى أمر بالتوكل وأبلغ وانذر فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر قوله لم يكتف بوعده ولم يطمئن بضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بأمره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله وانتبه أي محنة تجيء من هذا فهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف أنت اذا بقيت بين قوم يخبؤن رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن انه قال لعن الله أقواما أقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت الملائكة عند نزول هذه الآية فورب السماء والارض هلكت بنوا آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم وعن أويس القرني رضي الله تعالى عنه انه قال لو عبدت الله عبادة أهل السموات

والارض لما قيل منك حتى تصدقه قيل وكيف نصدقه قال تكون آمنا بما تكفل الله من أمر رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته ولقد قال له هرم بن حيان أين تأمرني ان أقيم فأومأ بيده الى الشام قال كيف المعيشة فيها قال أف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما ينفعها الموعظة وبلغنا ان نباشا تاب على يد أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى فسأله أبو يزيد عن حاله فقال نبشت عن ألف قبر فلم أر وجوههم الى القبلة الا رجلين وقال أبو يزيد مساكين أولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة فان قيل هل يلزم العبد طلب الرزق بحال فاعلم ان الرزق المضمون الذي هو الغذاء والقوام فلا يمكن طلبه اذ هو شئ من فعل الله تعالى بالعبد كالحياة والموت لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه وأما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك وانما حاجته الى المضمون وهو من الله تعالى وفي ضمان الله تعالى وأما قوله عز وجل وابتغوا من فضل الله المراد به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة اذ هو أمر وارد بعد الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قلت هل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب قلنا انه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمه وكتابته هذا هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم خلافا لمن ذهب اليه أصحاب حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد ولكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة والية الاشارة بقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولو كان الطلب يزيد والترك ينقص لكان للاسى والفرح موضع اذ هو قصر وتواني حتى فاته وجد وشمر حتى حصله وقال النبي صلى الله عليه وسلم هلك ولوم تأته لا تتك فان قيل فنجد الطالبين يجدون الاموال والارزاق والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل له كانك لا تجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا وفارغا غنيا بلى ان هذا هو الاكثر لتعلم ان ذلك بتقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وأنشد أبو بكر محمد بن سابق الصقلي الواعظ رحمه الله تعالى بالشام

كم من قوى قوى في تقلبه * مهذب الرأي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه * كانه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على ان الاله له * في الخلق سر خفي ليس ينكشف

﴿وأنشد بعضهم﴾

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق * ورزقك فى غشاوة الجنين

فان قلت هل يجوز لاحد ان يدخل البادية بغير زاد فاعلم ان كان لك قوة القلب بالله تعالى والثقة البالغة بوعد الله فادخل والا فكن كالعوام بعلائقهم اه *وقد سمعت من شيخنا سيدى الشيخ محمود رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى قال فسر هذا الحديث بسبعين تفسيرا وأجلها ان الانسان ان ظن بالله تعالى انه لا يرزقه الا اذا قطع الطريق تقيد رزقه بذلك وان ظن بربه انه لا يرزقه الا اذا تعاطى الاسباب الموضوعة فى العالم تقيد رزقه بذلك وان ظن فى الله انه يرزقه ولو كان فى شاهق جبل قيض الله له هناك رزقه ومن هذا المعنى قاله الامام الغزالى رحمه الله تعالى سمعت الامام أبا المعالى رحمه الله تعالى يقول ان من جرى مع الله تعالى على عادة الناس جرى الله تعالى معه على ما هو عادة الناس فى كفاية المؤنة (فان قلت) هل حمل الزاد للمتوكل ينافى توكله أم لا ينافيه (قلت) اعلم ان التوكل محله القلب وحركة الظاهر لا تنافيه وربما يحمل المتوكل الزاد فى سفره ولا يعلق قلبه به بانه لا محالة رزقه وفيه قوامه انما يعلق قلبه بالله تعالى ويتوكل عليه ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ منه والله تعالى ان شاء أقام بنبيتى بهذا أو بغيره وربما يحمل بنية أخرى بان يعين مسلما أو يطعم جائعا ونحو ذلك وليس الشأن فى أخذ الزاد وتركه انما الشأن فى تعلق القلب وعدمه فلا تعلق قلبك الا بالله تعالى وحسن كفايته وتيقن بأن الله تعالى هو الذى يتولى أمورك كلها ويرزقك من حيث لا تحتسب فمن كان بهذه المثابة فلا يضره حمل الزاد فكم من حامل للزاد وقلبه مع الله تعالى وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى هذا فسيد المتوكلين الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد فى الاسفار وكذلك الصحابة والسلف الصالح فهذا مباح غير حرام بل الحرام تعلق القلب بالزاد والاعتماد عليه والارتباط به كما قلنا (فان قلت) أيهما أفضل حمل الزاد أم تركه (قلت) هذا يختلف باختلاف الحال فان كان مقتدى به يريد ان يبين ان أخذ الزاد مباح أو ينوى به اعانة مسلم أو اغاثة ملهوف ونحو ذلك فالاخذ أفضل وان كان منفردا قوى القلب بالله سبحانه وتعالى ويشغله الزاد عن عبادة الله تعالى فالترك أفضل فتفهم هذه الجملة واحتفظ

بها وبالله تعالى التوفيق * ومما يحكى عن أقوياء القلب فى التوكل على الله تعالى ما حكى ان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى لما أراد ان يدخل الى البادية أتاه الشيطان نحوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه رحمه الله تعالى ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطها حتى يصلى تحت كل ميل من أميالها ألف ركعة وقام بما عزم عليه وبقى فى البادية اثنتا عشرة سنة حتى ان الرشيد ج فى بعض السنين فرآه تحت ميل يصلى فقيل له هذا ابراهيم ابن أدهم فأتاه فقال كيف نجدك يا أبا اسحق فأنشد ابراهيم يقول

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا مانرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وعن بعض الصالحين رحمه الله انه كان فى بعض البوادى فوسوس له الشيطان بانك متجرد وهذه بادية لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه بان يمضى على تجرده وان يترك الطريق حتى لا يقع باحد من الناس ولا يأكل شيأ حتى يجعل فى فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال رحمه الله تعالى فسرت ما شاء الله تعالى فاذا بقافلة قد أضلت الطريق وهم يسيرون فلما أبصرتهم رميت نفسى الى الارض لعلهم لا يبصرونى فسيرهم الله حتى وقفوا على فغمضت عينى فدنوا منى وقالوا هذا منقطع غشى عليه من الجوع والعطش فهاتوا سمنا وعسلا نجعله فى فيه لعله يفيق فاتوا بسمن وعسل فشددت فمى وأسنانى فاتوا بسكين فعالجوانى حتى يفتحوه فضحكت وفتحت فمى فلما رأوا ذلك قالوا مجنون أنت قلت لا والله والحمد لله تعالى وأخبرتهم ببعض ما جرى لى من الشيطان وعن بعض مشايخنا قال نزلت فى بعض أسفارى أيام التعليم مسجدا وكنت متجردا على عادات أوليائنا فوسوس الى الشيطان بان هذا مسجد بعيد عن الناس ولو صرت الى مسجد بين الناس لرأوك أهله وقاموا بكفايتك فقلت لا أبيت الا هنا وعلى عهد الله تعالى ان لا آكل شيأ الا الحلواء ولا آكله حتى يوضع فى فمى لقمة لقمة وصليت العشاء الاخيرة وأغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل اذا أنا بانسان يدق الباب ومعه سراج فلما أكثر الدق فتحت الباب فاذا بعجوز معها شاب قد دخلت فوضعت بين يدى طبقا من الخبيص فقالت هذا الشاب ولدى صنعت له هذا الخبيص وجرى منى كلام فحلفت ان لا يأكل حتى يأكل معه رجل غريب وقالت هذا الغريب الذى فى

المسجد فكل برحمك الله وأخذت تضع في فمي لقمة وفي فم ولدها لقمة حكى ان رجلا جاء الى الشبلي يشكو اليه كثرة العيال فقال ارجع الى بيتك فمن تعلم ان رزقه ليس على الله فاطرده عنك * وحكى ان حاتم الاصم كان رجلا كثيرا لعيال وكان له أولاد ذكور وأناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فعرضوا ذكر الحج فقدح الشوق في قلبه فدخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم ان يذهب الى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعوا لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيأ ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكانت له ابنة صغيرة فقالت له ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك فدعوه يذهب حيث يشاء فانه أكال للرزق وليس برزاق فذكرتهم بذلك فقالوا صدقت والله يا هذه الصغيرة يا أبانا اذهب حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخلون جيرانهم عليهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكتت ما تكلمنا فرفعت الصبية رأسها وقالت الهي وسيدي ومولاي وعدت القوم بفضلك وانك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم فبينما هم على تلك الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل لهم عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقال من أنتم قالوا الامير بابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت الهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا حيارى واليوم يقف الامير على بابنا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدي لقد سمعت البارحة انه أحرم بالحج وسافر ولم يخلف شيأ لعياله وأخبرت زوجته انهم البارحة باتوا بغير عشاء فقال الامير ونحن أيضا ثقلنا عليهم اليوم وليس هذا من المروأة يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لاصحابه من أحبني فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لا تينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير

رجع الوزير بثمن المناطق ملاحزيلا فلما رأت الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ماهذا البكاء انما يجب ان تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت يا أمي انما ابكي كيف بتناجيا عا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فاغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد اللهم انظر الى أبينا وادبره بأحسن التدبير وأما ما كان من أمر حاتم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم فرجع أمير الركب فطلب طبيبا فلم يجد فقال هل ههنا من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الامير فأمر له بمايركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة متفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر من الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى أكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته فلا تتكال عليه فانه من توكل عليه فهو حسبه * ومن كلام الحكماء من أيقن ان الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم ان الذي قضى عليه لم يكن يخطيه فقد استراح من الجزع ومن علم ان مولاه خير له من العباد وقصده كفاه همه وجمع شمله ولما كان مقام الزهد في الدنيا والتوكل لا ينالان بدون مجاهدة نفس ومكابدة حس أردفهما بقوله

﴿ اجهد تشهد ﴾ أي جاهد النفس بقطمها عن المألوفات وحملها على خلاف الهوى في سائر الاوقات تشهد بقلبك رب الارضين والسموات قال بعض العارفين من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وحقيقة المجاهدة حمل النفس على خلاف دواعيها وذبحها بسيوف المخالفة وعدم الركون اليها في نفس من الانفاس فان النفس ما دامت حية تسعى فهي حية تسعى كما قال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها في افسادها * وكان الجنيد رضي الله عنه يقول النفس الامارة بالسوء هي الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المتبعة للهواء المتصفة بأصناف الاسواء وقال أبو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها قال القشيري في الرسالة

* واعلم ان من لم يكن فى بادايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من ظن أنه يفتح عليه بشئ من هذه الطريقة أو يكشف له عن شئ منها الا بلزوم المجاهدة فهو فى غلط سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول من لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة وقال غيره من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة وقولهم الحركة بركة معناه ان حركات الظواهر بالمجاهدة توجب بركات السرائر بالمشاهدة وعن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى وخمسين سنين كنت مرآة قلبى وسنة أنظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه ثنتى عشر سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات ومعناه انه عمل فى مجاهدة نفسه وازالة رعوناتها وما جبلت عليه من عجب وكبر وحرص وحقد وما شابه ذلك من مألوفاتها فأدخلها كبر التخويف ثم طرقها بمطارق ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا حتى ظن انها تنظفت ثم نظر خمس سنين فى مرآة قلبه و يتفقد أحوال قلبه ويعمل على جلائه واشراقه وسنة ينظر بين نفسه وقلبه هل بقى فيهما بقية أو شهوة خفية فاذا فى وسطه زنار ظاهر من الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النمل وحب الرياسة والظهور ونحو ذلك فعمل على قطعه المدة المذكورة حتى قطعه فنظر فاذا زنار باطنى مثل نظره الى أعماله وملاحظة الثواب والعقاب والتشوف الى الكرامات فعمل فى قطعه حتى أمات من نفسه ما كان حيا وفنى عن حسه وسقطت ملاحظة الخلق من قلبه وعمل لربه بربه فثبتت قدمه فى مقام الشهود فعند ذلك كبر على الخلق أربع تكبيرات بمعنى انهم صاروا عنده بمنزلة الموتى وكان الله ما خلق سواه لعبادته والمراد بالخلق ما فارقه وفنى عنه من أوصافه الذميمة التى جبلت عليها نفسه وخص التكبيرات بالاربع لان حجاب الخلق عن الحق أربع النفس والشيطان والدنيا والهوى فكلما فنى عنه واحد من هذه الاربعة كبر عليه تكبيرة * وكان السرى السقطى يقول يا معشر الشباب جدوا قبل ان تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما قصرت وكان فى ذلك الوقت لا يلحقه الشباب فى العبادة * وقال بعض السادة بنى هذا الامر على ثلاثة أشياء ان لا تأكل الا عند الفاقة ولا تنام الا عند الغلبة ولا تتكلم الا عند الضرورة وكان

ابراهيم ابن أدهم رضى الله تعالى عنه يقول لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات * الاول يغلق باب النعمة أى التنعم ويفتح باب الشدة أى الاخذ بالعزائم وترك الرخص على النفس * والثانى يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد * والرابع يغلق باب النوم ويفتح باب السهر * والخامس يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر * والسادس يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت وقال أبو على الروزبادى يقول اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وامروه بالكسب * واعلم ان للنفس صفتين انهماك فى الشهوات وامتناع عن الطاعات فاذا جمحت عند ركوب الهوى يجب كبحها بلجام التقوى واذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى واذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاتها فما من منزلة أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق وتحمد نيرانه برفق واذا استحلت شراب الرعونة فضاقت الاعن اظهار مناقبها والتزين لمن ينظر اليها ويلاحظها فمن الواجب كسر ذلك عليها واحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة أصلها وقذارة فعلها * واعلم ان المجاهدة تختلف باختلاف الخلق فمجاهدة العوام بتوفية الاعمال ومجاهدة الخواص بتصفية الاحوال فان مقاسات الجوع والسهر سهل يسير ومعالجة الاخلاص والتنقى عن سفسافها صعب عسير ومن غوامض آفات النفس ركونها الى استحلاء المدح فان من تحسى منه جرعة حمل السموات والارضين مثلا على أشفاره وعلامة ذلك انه اذا انقطع عنه ذلك الشراب آل أمره الى الكسل والفشل كان بعض المشايخ يصلى فى مسجده فى الصف الاول سنين كثيرة فعاقه يوما عائق عن الابتكار الى المسجد فصلى فى الصف الاخير فلم يرمدة * فسئل عن السبب فقال كنت أقضى صلاة كذا كذا سنة صليتها فى الصف الاول وعندى انى مخلص فيها لله فدا خلنى يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس اياى فى الصف الاخير نوع خجل فعلمت ان نشاطى طول عمرى انما كان على رؤيتهم فقضيت صلاتى * ويحكى عن أبى محمد المرتعش انه قال حججت كذا كذا حجة على التجريد فبان لى ان جميع ذلك كان مشوبا بالحظى وذلك ان والدتى سألتنى يوما أن أستقى لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت ان مطاوعة نفسى فى الحجاب كانت لحظ وشرف لنفسى اذ لو كانت نفسى فانية لم يصعب عليها ما هو حق فى

الشرع

الشرع وكانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها فقالت كنت فى حال الشباب أجد فى نفسى أحوالا أظنها قوة الحال فلما كبرت زالت عنى فعلمت ان ذلك كانت قوة الشباب فتوهمتها أحوالا سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول ماسمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ الا رقوا لهذه العجوز وقالوا انها كانت منصفة وقال ذو النون المصرى ما أعز الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه قال ابراهيم الخواص رضى الله عنه ماهالنى شئ الا ركبته وكان محمد بن الفضل يقول الراحة هى الخلاص من امانى النفس وقال أبو على الروزبادى دخلت الآفة من ثلاث سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة فسئل ماسقم الطبيعة قال أكل الحرام قلت ماملازمة العادة قال النظر والاستماع بالحرام والغيبة فقلت فما فساد الصحبة قال كلما هاج فى النفس شهوة يتبعها وكان النصراباذى يقول سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت فى راحة الابد وكان أبو الحسين الوراق يقول كان أجل أحكامنا فى مبادى أمرنا فى مسجد أبى عثمان الايثار بما يفتح الله علينا وان لانبيت على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لانفسنا بل نعتذر اليه ونتواضع له واذا وقع فى قلوبنا حقارة لاحد قمنا بخدمته والاحسان اليه حتى يزول وقال أبو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سرها ونور سراجها التوفيق فمن لم يحبه فى سره توفيق من ربه كان ظلمة كله ومعنى قوله سراجها سرها يريد سر العبد الذى بينه وبين الله تعالى فهو محل اخلاصه وبه يعرف ان الحادثات بالله لا بنفسه ولا من نفسه ليكون متبريا من حوله وقوته على استدامة أوقاته ثم بالتوفيق يعتصم من شروره نفسه فان من لم يدركه التوفيق لم ينفعه عمله بنفسه ولا بربه ولهذا قال بعض العارفين اجمع رأى سبعين صديقا على انه لا يمكن الخروج من النفس بالنفس بل بالله تعالى وقالت الشيوخ من لم يكن له سر فهو مصر قال أبو عثمان لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيأ وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها فى جميع الاحوال * وقال ذو النون المصرى رضى الله تعالى عنه انما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء ضعف النية بعمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلب عليهم طول الامل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق والخامس اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات

السلف حجة أنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم اه هذا غالبه مأخوذ من كلام القشيري في الرسالة في باب المجاهدة وقال شيخنا في شرحه في قول المؤلف رضي الله عنه اجهد أي جاهد نفسك بمخالفة هواها فان مخالفتها هو الموت الاحمر وهو حال شاق عليها لانها في الحقيقة هي المخالفة نفسها فالمخالف بالكسر عين المخالف بالفتح وذلك من أعجب الامور ولو كانا متغايرين لم يحصل تعجب ولا مشقة وفائدة مخالفة النفس عظيمة والوجد والفتح مقرونان بها اقتران المسبب بالسبب ولا تخالف الا في ثلاث مواطن في المباح والمكروه والمحظور بخلاف الطاعة فانها لا تخالف فيها ثم ان وقعت لها لذة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب كان هناك علة خفية فينبغي مخالفتها بطاعة أخرى وعمل مقرب آخر فان استوى عندها جميع التصرفات في فنون الطاعات سلمنا لها تلك اللذة في الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر المخالف لذلك العمل فالعدول الى الشاق واجب لان اعتياد مساعدتها في مثل هذا يجر الى مساعدتها في المحظور والمكروه والمباح ومما أوجب صعوبة المخالفة على النفس أيضا كرم أصلها وعلو منصبها فان النيابة الالهية في العالم ثابتة لها فتقول في نفسها بيدي أزمة الامر وملاكه ولا سيما وقد خلقت على الصورة فمخالفتي مخالفة الحق وحجبت عن الاتساع الالهي وعما خلقت له وعن العلم بان الصورة ليست لكل نفس وانما هي للنفوس الكاملة كنفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كمل من الناس فلو كملت هذه النفس لما كانت المخالفة لها موتا أحمر فان لذة العرفان تعطيها الحياة التي لا موت فيها فالعارف الذي صار الحق سمعه وقواه لا حرج عليه في مساعدتها في اغراضها فانه صار نورا كله والنور لا ظلمة فيه الى آخر ما نقله عن الفتوحات ومن هذا القبيل قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه

ونفسي كانت قبل لوامة متى * أطعها عصت أو تعص كانت مطيعتي
فأوردتها الموت أيسر بعضه * واتعبتها كيما تكون مريحتي
فعادت ومهما حملته تحملت * مني وان خففت عنها تأذت

*واعلم ان المجاهدة والمكابدة من المقامات المستصحبة للمكلف مادام التكليف فاذا زال حكم التكليف زال حكمها ولهذا نفس الله تعالى عن المكلفين بصنف المباح وهو أرفع أحوال العبد في الدنيا لانه من حكم الحياة الآخرة التي لا تحجير فيها وأما

قول

قول بعض السادة يصل العبد الى مقام يرتفع فيه عنه التكليف فان صح فمعناه ترتفع عنه المشقة فى الطاعات التى كان يجدها فى حال بدايته وتصير نفسه منقادة مذللة للعمل الصالح بل الاعمال الصالحة قرة عين لها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة وهذا هو المشار اليه آنفا بقول ابن الفارض

فعادت ومهما حملته تحملت * منى وان خففت عنها تأذت

* وقد حكى عن الجنيد رحمه الله تعالى انه قال كنت أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة فأردت ان أنام فلم أقدر عليه فقعدت فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى رفع رأسه وقال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت ياسيدى بلا موعد فقال بلى سألت محرك القلوب ان يحرك لى قلبك قلت فقد فعل فما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها صار دواؤها دواها فاقبل على نفسه وقال اسمعى قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيتى الا ان تسمعيه من الجنيد فقد سمعت وانصرف عنى ولم أعرفه ولم أقف عليه اه فما وصل أحد الى درجة عالية ومقام شريف الا بعد تجرع مرارات المجاهدة والصبر على مشاق النفس تصير النفس راضية مرضية فتصلح للدخول الى حضرة الحق التى هى جنة القرب وتخلع عليها خلعة الخلافة فى العالم * قال ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى كنت فى جبل لكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت فاخذت منه واحدة وشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى قال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك ويقيك الاذى من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله فلو سألته ان يقيك شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولذع الزنابير يجد الانسان ألمه فى الدنيا فتركته ومضيت * قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه من أحسن فى ليله كوفى فى نهاره ومن أحسن فى نهاره كوفى فى ليله ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤنتها والله أكره من أن يعذب قلبا ترك شهوة لاجله * أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود حذر وانذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة * ورأى رجلا جالسا فى الهواء فقيل له بم نلت هذا قال تركت

الهوى فسخر لى الهواء وقيل لو عرض للمؤمن ألف شهوة لاخرجها بالخوف ولو عرضت للفاجر شهوة واحدة لاخرجته من الخوف وقيل لا تضع زمامك بيد الهوى فانه يقودك الى الظلمة وقال يوسف بن اسباط لا يمحو الشهوات من القلب الا خوف مزعج أو شوق مقلق وقال الخواص من ترك شهوة فلم يجد عوضها فى قلبه فهو كاذب فى تركها * واعلم ان أنواع المجاهدة كثيرة وكل مريد يليق به نوع منها لا يليق بغيره على قدر قوة المريد وضعفه ومعرفة ماهو الاشق عليه ينظر الى حاله والى زمان مجاهدته وغير ذلك مثال ذلك ان المجاهدة بالصوم والصلاة أشق على الملوك من المجاهدة بالصدقة والعتق وفى حق التجار الحريصين على الاموال بالعكس والمجاهدة بترك المنازعة واظهار الفضل وترك التنافس فى المجلس وطلب التصدر أشق على بعض فقهاء أهل زماننا بل ترك اعطاء يده للناس ليقبلوها اشق عليه من لبس الصوف الخشن وملازمة السجاد مدة طويلة والمجاهدة بالصوم فى الصيف أشق من المجاهدة بالصوم فى الشتاء وفى قيام الليل الامر بالعكس * والحاصل ان تعيين أنواع المجاهدات للمريدين مفوض الى رأى الشيخ الذى يسلكهم ويربيهم لا الى اختيارهم لانفسهم فان ذلك خطر عظيم وخطب جسيم سمعت شيخنا المصنف رحمه الله يقول لان تكون تحت أمر هرة خير لك من أن تكون تحت أمر نفسك وسمعته أيضا يقول اذا أمر الشيخ مريده بنقل الحجر من الجبل ففتوح المريد فى امتثال أمر شيخه يعنى فنفع المريد فى نقل الحجارة أكثر من صومه وصلاته بنفسه * والحاصل ان المجاهدة فى نفسها لازمة لكل مؤمن لكن اذا كانت باشارة الشيخ فهى أقدح وأسرع الى الفتوح اذ المريد بدون شيخ عقيم لا يجى منه شئ فى الطريق وان حصلت له جذبة أو نفحة الهية لا يصلح الاقتداء به وعطبه أقرب من سلامته قالت الشيوخ من لم تربه الرجال فهو لقيط قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى المنن ومن جملة ماجاهدت به نفسى انى كنت جعلت لى حبلا فى سقف الخلوة محررا فى عنقى اذا جلست لا يصل الى الارض لو اضطجعت فكنت أجعله فى عنقى من العشاء الى الفجر ومكثت على ذلك سنين ولم يكن لى بحمد الله تعالى من حين كنت صغيرا شئ يعوقنى من أمور الدنيا سوى الحجاب وكثرة دخول العلل فى أعمالى وان كانت العلل لا تنقطع عن العبد الا انها تتنوع بحسب المقامات فكل مقام له علل تناسبه فافهم وكانت القناعة سداى ولحمتى فاغنتنى بحمد الله عن الوقوع

فى الذل لاحد من ابناء الدنيا ولم أباشر قط حرفة ولا وظيفة بفلوس وانما الحق تعالى يرزقنى من حيث لا أحتسب الى وقتى هذا وعرضوا على الالف دينار فاكثر فرددتها فلم أقبلها وكان المباشرون والتجار يأتون بالذهب والفضة فارميها فى صحن الجامع الغمرى فيلتقطها الناس وتركت أكل لذيذ الطعام والشراب وقنعت بالخشن من المأكل والمشرب ثم تركت لبس الثياب والطعام جملة وكنت ألبس الشراميط من الكيمان وآكل التراب مدة لعدم الحلال الصافى على حسب مقامى اذ ذاك وكنت لا آكل طعام أمير ولا مباشر ولا تاجر ولا فقيه لا يسد فى وظيفته ولا غيرهم وضاقت على الارض كلها فاقمت فى المساجد المهجورة والخرائب مدة سنة وكنت أطوى الثلاثة أيام وأكثر واذا أفطرت تناولت نحو أوقية من غير زيادة حتى كنت أصعد بالهمة الى الصارى المنصوب على سقف جامع الغمرى من غير سلم والناس نائمون ثم اذا نزلت فى السلم أنزل بجهد لغلبة روحانيتى على جثمانيتى وطلبها محل استقرارها من السموات وهذا هو السبب لتحريك الانسان اذا قرأ القرآن فكان الروح تشتاق الى لقاء ربها اذا سمعت كلامه فتكاد تلحق بعالمها السماوى فافهم وكان لى صاحب من عباد الله الصالحين يقلى السمسم فى معصرة السيرج فكان يأتينى بالقطعة الكسب فاحصها وآكل منها ثلاثة أيام نحو أوقية وتنكرت قلوب أصحابى منى حتى كانهم قط لم يعرفونى من ضيق وقتى عن مباسطتهم بالكلام وكنت كثيرا ما أخرج الى الموارد التى يغسل الناس فيها الجزر والخس والبقل فآكل مما أجده من الاوراق وأشرب عليه من النهر وأكتفى به ذلك اليوم وكنت لا آكل طعاما قط لفقير لا كسب له من المتعبدين وأقول هذا رجل يأكل بدينه وكذلك كنت لا آكل طعام تاجر يبيع على القضاة والمكاسين خوفا من دخول الرشوة والغش على القاضى والتاجر ثم تركت طعام كل من يمسك الميزان وكنت اذا افتتحت مجلس الذكر بعد العشاء لا أختمه حتى يقال لى الفجر طلع ثم أذكر من بعد الصبح الى ضحوة النهار ومن الظهر الى العصر ومن العصر الى المغرب وهكذا فمكثت على ذلك سنين وكنت أصلى بين المغرب والعشاء ربع القرآن ثم أصلى بباقيه فاختمه قبل الفجر وربما اختمته كله فى ركعة وكنت كثيرا ما أضرب أخفاذى بالسوط اذا غلب النوم على وربما أنزل بثيابى فى الماء البارد فى الشتاء حتى لا يأخذنى النوم وهذا من قاعدة ما اذا تعارض عندنا مفسدتان أرتكب الاخف منهما ولا شك ان وقوف المحب بين يدى الله تعالى

فى الظلام مع تألم جسمه بالضرب أحسن عنده من نومه عنه حال التجلى مع صحة الجسم ولكل مقام رجال ومن طلب النفيس خاطر بالنفيس فعلم ان المحب لله فى وادو المنكر عليه فى وادو من طالع أحوال القوم فى مجاهداتهم سهل عليه العسير وقد قال سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه مكثت فى بدايتى سنة كاملة لا آكل ولا أشرب ولا أنام قال ودعوت نفسى الى العبادة فابت فمنعتها شرب الماء سنة اه *ثم قال وكانت عماماتى أيام مجاهدتى مجتمعة من حبال وجلود وشراميط لقلة الحلال وبالغت فى التدقيق فى الورع بحماية الله تعالى لا بحولى ولا قوتى حتى كنت لا أمشى فى ظل عمارة أحد من الظلمة ولا أعوانهم ولما عمل السلطان قائصوه الغورى الساباط الذى بين مدرسته وقبته الزرقاء تركت المرور من تحته اذا قصدت زيارة القرافة أو غيرها وكنت أدخل من سوق الوراقين وأدخل من سوق الشرب وأنا بحمد الله تعالى على قدم الورع لان نور المعرفة لا يطفئ نور الورع كل ذلك حماية من الله تعالى بعدم قسمته لى لأنه قسمه لى فمنعت نفسى منه فان ذلك لا يصح بجميع مارده المتورع من الامور ليس هو له بالاصالة وانما هو وهم وقد أمر العبد من طريق تكليفه ان يدافع الاقدر جهده ويثاب على ذلك فافهم واذا اعتنى الله تعالى بعبده المحبوب استخلص له الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهات كما يستخرج اللبن والله على كل شئ قدير اه كلامه رضى الله عنه *والحاصل ان جل مدار هذا الامر على المجاهدة اذا كانت العناية الربانية سابقة للعبد الخصوصى نسأله تعالى ان يجعلنا من أهلها ويوردنا مناهلها ويجنبنا وأحبابنا من متابعة النفس والهوى فان من مال مع الهوى الغدار آل أمره الى النار ولذا قالت النخلة للشبلى رضى الله عنه ياشبلى كن مثلى يرمونى بالاحجار وأرميهم بالثمار فقال لها ولم كان مصيرك الى النار فقالت لميلى مع الهوى الغدار فمجاهدة النفس أفضل الجهاد لما رواه الديلمى عن أبى ذر أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك فى ذات الله تعالى وعن ليث بن أبى طلحة قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه فتمرغ فى الرمضاء ويقول لنفسه ذوقى نار جهنم نوم بالليل وبطالة بالنهار قال فبينما هو كذلك اذ أبصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة فاتاه فقال غلبتنى نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما بعد فقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول يا فلان أدع لى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم

اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال واجعل الجنة مآبهم وفي رواية أنه لما أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم قال دونكم أخاكم فقالوا له ادع الله يرحمك الله فقال اللهم اجمع على الهدى أمرهم فقالوا زدنا فقال اللهم اجعل التقوى زادهم فقال صلى الله عليه وسلم زدهم اللهم وفقه فقال اللهم اجعل الجنة مأواهم رواه أبو نعيم فاذا كان هذا مجاهدة بنفسه ساعة من نهار حصل له هذا الخير فما بالك بمن وفق لمجاهدتها في أغلب أحيانه وقد رأى بعض الناس الامام حجة الاسلام الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز بعد ان كان رآه يحضر مجلسه ثلاثمائة مدرس ومائة من أمراء بغداد فقال يا امام أليس تدريس العلم أولى فنظر اليه شذرا وقال لمن بزغ بدر السعادة في فلك الاراده وجنحت العقول الى مغرب الافول

تركت هوى سعدى وليلى بمعزل * وعدت الى محبوب أول منزل
وناديت بالاشواق مهلا فهذه * منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد * لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

وقد تقدم أن أنواع المجاهدة كثيرة وفروعها غزيرة وأعظم أنواع المجاهدة تأثيرا في تهذيب الاخلاق وتنوير القلب واشراقه الاكثار من الذكر اذ هو معظم أركان الطريق ومنشور ولاية أهل التوفيق فلهذا أعقب المجاهدة بقوله ﴿أكثر من الذكر * ترى الانوار البكر﴾ فهو تفصيل بعد اجمال وارداف واكمال وأمر بالاكثار من الذكر لان أصل الذكر لا ينفك عنه كل مؤمن وانما تحصل مجاهدة النفس بالدوام عليه واستغراق الانفاس فيه بحيث لا يضيع منه نفس من أنفاس عمره الا ويشغله بذكر الله تعالى قال الله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ومعنى ترى الانوار البكر تشرق على قلبك الانوار الالاهية فتمحى عنك ظلمة الاغيار الوهمية وتنتظم في سلك الابرار ومعنى كونها بكرا أنها خالصة من الشوائب وظلمة الطبيعة لم يطمسها قبلك طامس ولم تحم حولها يد لامس محجوبة في خدرها لم تظهر الا لاهلها * واعلم ان الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد الى الله تعالى الا بدوام الذكر قال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن

سلب الذكر فقد عزل ويطلق الذكر ويراد به القرآن قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وفى الحديث أهل القرآن أهل الله وخاصته وفى رواية أهل القرآن عرفاء أهل الجنة ويطلق الذكر ويراد به مايعم القرآن والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقراءة العلم والحديث والفقه وحضور مجالس الذكر بأى اسم كان وهذا هو المراد للمصنف وهو المراد من الاوامر القرآنية الواردة بلفظ الذكر كما فى قوله تعالى فاذكرونى أذكركم فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وهو المراد من أوامر الحديث كذلك كما فى قوله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا انه مجنون وفى رواية حتى يقول المنافقون انكم مراؤن كذا فى الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله أنا جليس من ذكرنى وقال عليه الصلاة والسلام ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند ملكيكم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق ومن ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله فالمراد من الذكر فى هذه الآيات والاحاديث مايشمل قراءة القرآن والتسبيح والاستغفار والدعاء وحضور مجالس الحديث والفقه والعلم النافع وذكر الله تعالى بأى اسم كان من أسمائه كما ذكرناه آنفا ومن جملة أقسام ذكر الله تعالى ذكر أحبابه لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر على عبادة رواه الديلمى عن عائشة ويقاس عليه بقية الصحابة والسادة وعنه صلى الله عليه وسلم ذكر الانبياء من العبادة وذكر الصالحين كفارة وذكر الموت صدقة وذكر القبر يقربكم من الجنة رواه الديلمى عن معاذ وقال بعضهم المراد من الذكر تحقيق الانس بالله تعالى والوحشة من الخلق * وحقيقة الذكر عند العارفين بالله تعالى دوام الحضور من غير تخلل غفلة وقصور فان تخللته سمى تذكرا وأنشد سيدى أبو يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه

عجبت لمن يقول ذكرت ربى * وهل أنسى فاذكرما نسيت

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب ولا رويت

وسئل الواسطى عن الذكر فقال الخروج عن ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب وكان ذو النون المصرى يقول من ذكر الله تعالى على

الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شئ وحفظ الله عليه كل شئ وكان له عوضا عن كل شئ * وللذكر ثمرات ونتائج يجدها من واظب عليه بوصف الادب والحضور أقلها أن يجد فيه من الحلاوة واللذة ما تستحقر فى جنبه كل ما يعرفه من اللذات الدنيوية وأعلاها ان يفنى بالمذكور عن الذكر وعما سواه وهذه الحالة هى المشار اليها بالحديث القدسى لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخر الحديث فان المراد من كينونة الحق سمع عبده وبصره الخ ان العبد اذا أكثر من الذكر وأنواع الطاعات استغرق فى ملاحظة الله تعالى حتى لا يسمع الا به ولا يبصر الا به ولا يمشى الا به ولا يبطش الا به ولا تقع منه حركة ولا سكون الا وهو مستشعر جانب الحق سبحانه وتعالى امامع الغيبوبة عن الخلق أو مع ملاحظة الخلق * والاول حال بداية العارفين * والثانى حال نهايتهم فان مقام الجمع بين الخلق والحق مقام أهل التمكين الراسخين كالانبياء والمرسلين وخواص الاولياء والعارفين كما قد نقل شيخ شيخنا العارف بالله تعالى سيدى مصطفى البكرى فى السيوف الحداد عن الشيخ الاكبر قال اجتمعت روحى بروح سيدنا هرون فى السماء الخامسة * فقلت يا سيدى ومن الاعداء وكيف تقول ولا تشمت بى الاعداء والواحد منا يصل الى مقام لا يرى مع الله أحدا فقال لى هل اذا وصل أحدكم الى هذا المقام سقط الخلق فى الواقع ونفس الامر ولم يبق خلق أو سقط من نظره وملاحظته وحجبت عن رؤيته * فقلت بل سقط من نظره وملاحظته وهو موجود فى الخارج فقال فبقدر حجابكم عن الخلق بقدر نقصكم فى المقام وأما نحن معشر الانبياء فلا يحجبنا الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق فنبهنى على ما لم يكن عندى اه * قلت ولعل هذا كان فى بداية الشيخ الاكبر رضى الله عنه ثم ترقى الى المقام الثانى وهذا هو الظن الراجح فى جانبه رضى الله عنه * واعلم يا أخى ان من قعد وهو على طهارة فى خلوة مستقبل القبلة ساكن الاطراف مطرق الرأس ثم ذكر الله بقلب حاضر رأى فى قلبه للذكر أثرا ظاهرا فان دام على ذلك أشرقت عليه أنوار القرب وانكشفت له أسرار الغيب قال العارف بالله سيدى محيى الدين العربى رضى الله تعالى عنه اذا أشعر الانسان قلبه ذكر الله دائما فى كل حال لا بد أن يستنير قلبه بنور الذكر فيرزقه بذلك النور الكشف فان بالنور يقع الكشف

ومن عظم فوائد الذكر انه اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الانسان اذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون مالهذا فيقال قد مسه الانسى بالذكر اه * والذكر احد أركان الطريق الثمانية كما قال الجنيد وهى الجوع والصمت والسهر والعزلة ودوام الظهر وربط القلب بالشيخ بان يراقبه دائما ونفى كل الخواطر عن قلبه فان تكرر عليه خاطر حكاه للشيخ والذكر فى كل حال وأنفع الذكر بالنظر للمريد ما لقنه له شيخه وأفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان معا والمراد من ذكر القلب أن يكون حاضرا فيه معنى الذكر الذى يجرى على اللسان كالتقديس والتوحيد عند التسبيح والتهليل * والافضل للذاكر من الاسرار والجهر بالذكر والقراءة الاصلح منهما لقلبه وأكثرهما تأثيرا فى تزيق الحجب الظلمانية والذكر بالجهر للمبتدى أنفع وأكثر تأثيرا وعملا فى ازالة الحجب فاذا تمكن الذكر فى القلب وسكنت معرفة الحق فيه كان الذكر بالقلب أنفع له وأجدر * واعلم ان الذكر هو الوارد الدائم المستمر فاجتهد ان لا يزال لسانك منه رطبا فى كل حال وأنواع الذكر كثيرة كما تقدم فينبغى للعبد ان يكون له من كل نوع من نواعه ورد ولا ينبغى ان يستغرق جميع أوقاته بورد واحد وان كان أفضل الاوراد لان ذلك يؤدى الى السآمة والملل والعجز والكسل قال ابن عطاء الله الاسكندرى فى حكمه لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وبالاقتصار على ورد واحد يفوت الانسان بركات تعداد الاوراد والتنقل فيها فان لكل ورد أثر فى القلب ونور ومدد ومكانة من الله ليست لغيره ولتعداد الاوراد أثر عظيم فى تنوير القلب وضبط الجوارح ولكن لا يظهر ويتأكد الا عند المواظبة والتكرار وفعل كل ورد منها فى وقت يخصه فان لم تكن ممن يستغرق جميع ساعات ليله ونهاره بوظائف الخيرات فاجعل لك أوراد اتواظب عليها فى أوقات مخصوصة وتقضيها مهما فاتتك لتعتاد النفس المحافظة ومتى أنست منك النفس انك لا تسمح بترك أورادك حتى تداركها بالقضاء متى فاتت بادرت الى فعلها فى أوقاتها وقد قال سيدى عبد الرحمن السقاف رضى الله تعالى عنه من لم يكن له ورد فهو قرد * وقال بعض العارفين الواردات من حيث الاوراد فمن لم يكن له ورد فى ظواهره لم يكن له وارد فى سرائره وينبغى للانسان ان يلزم القصد والوسط من كل أمر ويؤخذ من الاعمال ما يطيق المداومة عليه * قال صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا

ومن شأن الشيطان ان يزين للمريد في مبدأ ارادته الاستكثار من الطاعات والافراط فيها وغرضه من ذلك ان يرده على عقبه في ترك فعل الخير أصلا أو فعله على غير الوجه الذي ينبغي * ثم ان الاوراد تكون في الاكثر صلاة نفل أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو ذكر أو فكر ونحن نذكر نبذة من الآداب التي يحتاج اليها العامل بهذه الوظائف الدينية فنقول ينبغي ان يكون لك ورد من صلاة النفل زائد على النوافل الواردة تعين له وقتا وتضبطه بعد وتطيق المداومة عليه وقد كان من السلف الصالح من ورده في اليوم والليلة ألف ركعة مثل علي بن الحسين رضي الله عنهما ومنهم من ورده خمسمائة ومنهم من ورده ثلاثمائة الى غير ذلك * واعلم ان للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة ولا تكون من المقيمين للصلاة الا ان تقيم صورتها وحقيقتها كما ينبغي فاما صورتها فهي الاركان والآداب الظاهرة من القيام والقراءة والركوع والسجود والتسبيح ونحوها وأما حقيقتها الباطنة فهي الحضور مع الله تعالى واخلاص النية والقصد له تعالى والاقبال بكنه الهمة عليه وجمع القلب وان يكون فكرك مقصورا على صلاتك فلا تحدث نفسك بغيرها وتكون مؤدبا بآداب المناجاة مع الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام انما المصلي مناج ربه * وقال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ولا ينبغي ان يشتغل بنفل مطلق في وقت نفل ورد في السنة المطهرة من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قوله حتى تأتي على العدد الاكمل منه فمن ذلك الركعات التي وردت قبل المكتوبة وبعدها وشهرتها تغني عن ذكرها ومن ذلك صلاة الوتر وهي صلاة ثابتة مؤكدة وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ثلاثة منها وهو امامنا الامام الاعظم رضي الله تعالى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم الوتر حق ومن لم يوتر فليس منا وأكثرها احدى عشر ركعة وأقل ما ينبغي ان يقتصر عليه ثلاث ركعات وفعلها من آخر الليل لمن له عادة راسخة في القيام من آخره أفضل * وقال عليه الصلاة والسلام اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا ومن لم يكن له عادة في القيام ففعلها بعد صلاة العشاء أفضل له ومن ذلك صلاة الضحى وهي صلاة مباركة كثيرة النفع وأكثرها ثمان ركعات وقيل اثنا عشر وقد ورد وأقلها ركعتان وأفضل أوقاتها ان تصلى اذا أضحى النهار ومضى قريب من ربعه * قال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى عن أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تكبيرة

صدقة وأمر بالمعروف صدقه ونهى عن المنكر صدقة ويجزيه من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى فلو لم يرد فى فضل هذه الصلاة الا هذا الحديث الصحيح لكفى ومن ذلك الصلاة بين المغرب والعشاء وأكثرها عشرون ركعة وأوسطها ست ركعات ٣ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بين العشاءين عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات لا يتكلم بينهن بسوء عدلن عبادة اثنى عشر سنة * ومن السنة احياء مابين العشاءين وقد ورد فى فضله أخبار وآثار وحسبك من ذلك ان أحمد بن الجوزى شاور شيخه أبا سليمان رحمهم الله فى ان يصوم النهار أو يحيى مابين العشاءين فقال له اجمع بينهما فقال لا أستطيع لانى متى صمت اشتغلت بالافطار فى هذا الوقت فقال اذا لم تستطع ان تجمع بينهما فدع صيام النهار واحيى مابين العشاءين * وقالت عائشة رضى الله عنها ما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتى بعد العشاء الاخيرة الا صلى أربعا أو ستا * وقال عليه الصلاة والسلام أربع بعد العشاء كمثلهن من ليلة القدر * ومن جملة أوراد الاذكار صلاة الليل فقد قال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلوات بعد المكتوبة صلاة الليل * وقال عليه الصلاة والسلام فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وقد ورد ان صدقة السر تضاعف على صدقة العلانية سبعين ٣ وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ومطردة للداء عن الجسد ومقربة لكم الى ربكم ومغفرة للسيآت ومنهاة عن الاثم * واعلم ان من صلى بعد العشاء فقد قام الليل وقد كان بعض السلف يصلى ورد فى أول الليل ولكن فى القيام بعد النوم ارغام للشيطان ومجاهدة للنفس وسر عجيب وهو التهجد الذى أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وفى المأثور ان الله يعجب من العبد اذا قام من على فراشه بين أهله الى صلاته ويباهى به ملائكته ويقبل عليه بوجهه الكريم * واعلم انه يقبح بطالب الآخرة ان لا يكون له قيام بالليل كيف والمريد لا يزال طالبا للمزيد متعرضا للنفحات على دوام الاوقات وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة أخرجه مسلم وفى بعض كتب الله المنزلة كذب من يدعى محبتى واذا جنه الليل نام عنى أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه وقال

الشيخ

الشيخ اسمعيل بن ابراهيم الجبرتي رحمه الله تعالى جميع الخير كله بالليل وما عقدت لولي ولاية قط الا بالليل وقال سيدي العيدروسي عبد الله بن أبي بكر العلوي من أراد الصفاء الرباني فعليه بالانكسار في جوف الليل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ولم يرد في الحث على قيام الليل غير هذا الحديث لكفى كيف والكتاب والسنة طافحان بالترغيب فيه والحث عليه وللعارفين بالله في قيام الليل منازلات شريفة واذواق لطيفة يجدونها في قلوبهم من نعيم القرب من الله ولذة الانس بالله وطيب المناجاة والمحادثة مع الله حتى قال بعضهم ان كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه انهم لفي عيش طيب * وقال آخر أهل الليل في ليلهم كاهل اللهو في لهوهم * وقال آخر منذ أربعين سنة ما غمني شيء الا طلوع الفجر وهذا النعيم لا يكون الا بعد تجرع المرارات وتحمل المشقات في القيام كما قال عتبة الغلام كابدت الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة * فان قلت ماذا أقرأ في صلاة الليل وكم ركعات ينبغي ان أصلي * فاعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يواظب في تهجده على قراءة شيء مخصوص ومن الحسن ان تتبع القرآن فتقرأه شيأ فشيأ في قيامك حتى تختمه في شهر أو أقل أو أكثر حسب نشاطك وأما عدد الركعات فأكثر ما روي من قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة ووردا لاقتصار على سبع وتسع وأكثر ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام المواظبة على احدى عشرة ركعة ويتلخص من مجموع الحديث انه ينبغي لك ويستحب اذا قمت من النوم ان تمسح عن وجهك بيدك وتقول الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور وتقرأ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الى آخر السورة ثم تستاك وتتوضأ وضوءا كاملا ثم تصلي ركعتين خفيفتين ثم تصلي ثلاث ركعات تطولهن وتسلم من كل ركعتين ان شئت أو من كل أربع أو تجمعهن بتسليمة واحدة وكل ذلك قد ورد ثم ان رأيت بقي عندك نشاط فتنفل ما بدا لك ثم صل ثلاث ركعات بنية الوتر بتسليمة واحدة ان كنت حنفيا أو بتسليمتين ان كنت شافعيا وتقرأ في الاولى سبح اسم ربك الاعلى السورة بتمامها وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة الاخلاص والمعوذتين ولا تحسب ان الوتر الذي هو احدى عشر ركعة وهذه الركعات المذكورة

فى هذا السياق شئ آخر كلا انه لم ير ومن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ماقصصناه فاعلم ذلك * وينبغى ان يكون لك ورد من الكتاب العزيز تداوم على قراءته فى كل يوم وليلة وأدنى ذلك ان تقتصر على جزء فيكون لك فى كل شهر ختمة وأعلى من ذلك ان تختم فى كل ثلاثة أيام * واعلم ان لقراءة القرآن فضلا عظيما وأثرا فى تنوير القلب كبيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن وقال على كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو قاعد فى الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات * واياك ان يكون همك فى تلاوتك مقصورا على الاكثار منها بدون تدبر وترتيل * وعليك اذا تلوت بالتدبر والفهم واستعن على ذلك بالترتيل والترسل وأحضر فى قلبك عظمة المتكلم سبحانه وانك بين يديه تقرأ عليه كتابه الذى أمرك فيه ونهاك ووعظك ووصاك وكن عند قراءة آيات التوحيد والتمجيد ممتلئا بالاجلال والتعظيم وعند قراءة آيات الوعد والوعيد ممتلئا بالرغب والرهب وعند قراءة الاوامر والزواجر شاكرا معترفا بالتقصير ومستغفرا عازما على التشمير * واعلم ان القرآن هو البحر المحيط * ومنه تستخرج جواهر العلوم ونفائس الفهوم ومن فتح له طريق الفهم فيه من المؤمنين دام فتحه وتم سروره واتسع علمه وصار لا يمل من قراءته ليلا ولا نهارا لانه قد وجد فيه مقصوده وظفر فيه بمطلوبه وهذه صفة المريد الصادق قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد وعليك بالمحافظة على قراءة السور والآيات التى ورد الحث فى السنة عليها فى بعض الاوقات * ومن ذلك ان تقرأ كل ليلة قبل ان تنام الم السجدة وتبارك الملك وسورة الواقعة وآمن الرسول الى آخر السورة وسورة الدخان ليلة الاثنين والجمعة وسورة الكهف يوم الجمعة وليلتها وان أمكنك ان تقرأ المنجيات السبع فى كل ليلة فذلك من الفضائل العظيمة ومن ذلك اذا أصبحت واذا أمسيت أوائل الحديد وخواتم الحشر والاخلاص والمعوذتين ثلاثا ثلاثا وكذا تقرأ الاخلاص والمعوذتين عند النوم مع آية الكرسى وقل يا أيها الكافرون واجعلها آخر ما تقول والله يقول الحق وهو يهدى السبيل * ومن جملة الاوراد التى هى من أنواع الذكر وقراءة العلم

النافع وهو الذى يزيد فى معرفتك بذات الله وصفاته وأفعاله وآلائه وتعرف به ما أمرك به من طاعته ونهاك عن معصيته ويورثك زهدا فى الدنيا ورغبة فى الآخرة ويبصرك بعيوب نفسك وآفات أعمالك ومكايد عدوك وهذا العلم مثبوت فى الكتاب والسنة وكتب الأئمة وقد جمعه الامام الغزالى فى كتبه العظيمة القدر الكبيرة الخطر عند من له بصيرة فى الدين ورسوخ فى العلم وكمال فى اليقين فواظب على مطالعتها ان كانت لك همة فى سلوك الطريق ورغبة فى الوصول الى مراتب التحقيق *وقد انفردت الكتب الغزالية من بين كتب المحققين من الصوفية بالجمع والتحرير وحصول التأثير الكثير فى الزمن القصير * وعليك بالاكثار من قراءة كتب الحديث والتفسير ومن مطالعة كتب القوم عامة فان ذلك فتح عام وسلوك تام كما قال بعض العارفين ولكن ينبغى ان تحترز من مطالعة ما يشتمل من رسائلهم على الامور الغامضة والحقائق المجردة وهذه الاشياء توجد فى أكثر مؤلفات سيدى الشيخ محيى الدين محمد بن العربى رضى الله عنه وفى شئ من رسائل الغزالى كالمعراج والمظنون به وقد ذكر الشيخ زروق فى تأسيس القواعد قاعدة فى التحذير من الكتب التى تجرى هذا المجرى فراجعها ان شئت وكذلك كتب سيدى الشيخ عبد الكريم الجيلى الا لمن شرب مشاربه وذاق ما ذاقوا من الاحوال السنية والمكاشفات وما فتح الله لهم من الامور القلبية فان هذه الكتب اذا لم يكن المطالع بها لها بهذه المثابة كان ضررها أكثر من نفعها فينبغى الترك ايثارا للسلامة فان قال قائل لا بأس فى مطالعة هذه الكتب لانى آخذ منها ما أفهمه وأسلم مالا أفهمه لقائله قيل قد أنصفت ولكن نخشى عليك مما تفهمه أن تفهمه على غير وجهه فتضل عن سواء السبيل كما وقع ذلك لاقوام عكفوا على مطالعة هذه الكتب فصاروا فى زندقة والحاد وقالوا بالحلول والاتحاد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * ومن جملة أنواع الاذكار التى ينبغى ان تجعل لك منها ورد التفكر فى كل يوم وليلة تعين له ساعة او ساعات وأحسن الاوقات للتفكر أفرغها وأصفاها وأجدرها فى حضور القلب كجوف الليل *واعلم ان صلاح الدنيا والدين موقوف على صحة التفكر ومن أعطى حظه منه فقد أخذ بحظ وافر من كل خير *وقد ورد تفكر ساعة خير من عبادة سنة *وقال على كرم الله وجهه لا عبادة كالتفكر *وقال بعض العارفين رحمه الله تعالى الفكر سراج القلب فاذا ذهب فلا اضاءة له ومجارى الفكر

كثيرة فنها وهو أشرفها ان تتفكر فى عجائب مصنوعات الله تعالى الباهرة وآثار قدرته الباطنة والظاهرة ومابث فيها من الآيات فى ملكوت الارض والسموات وهذا التفكر يزيد فى معرفتك بذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وقد حث عليه الله بقوله قل انظروا ماذا فى السموات والارض وأنت من عجائب المصنوعات فتفكر فى نفسك قال الله تعالى وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ومنها أن تتفكر فى آلاء الله وأياديه التى أوصلها اليك ونعمه التى أسبغها عليك قال الله تعالى فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله * وثمرة هذا التفكر امتلاء القلب بمحبة الله تعالى والاشتغال بشكره باطنا وظاهرا كما يحبه ويرضاه ومنها ان تتفكر فى احاطة علم الله بك ونظره اليك واطلاعه عليك قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وقال تعالى ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية * وهذا التفكر ثمرته ان تستحى من الله تعالى ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك ومنها ان تتفكر فى تقصيرك فى عبادة مولاك وتعريضك لسخطه باتيانك ما عنه نهاك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم وقال تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فهذا التفكر يزيد فى خوفك من الله ويحملك على لوم نفسك وتوبيخها ومجانبة التقصير وملازمة التشمير ومنها ان تتفكر فى هذه الحياة الدنيا وكثرة أشغالها وولوعها وسرعة زوالها وفى الآخرة ونعيمها ودوامها قال الله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة وقال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال تعالى وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وهذا التفكر يثمر لك الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة * ومنها ان تتفكر فى نزول الموت وحصول الحسرة والندامة بعد الفوت قال الله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقال تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها

كلمة هو قائلها وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الى قوله ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها * وفائدة هذا التفكر قصر الامل واصلاح العمل واعداد الزاد ليوم المعاد ومنها ان تتفكر في الاخلاق والاعمال التي وصف الله بها أولياءه وأعداءه وفيما وعد الله للفريقين من الخير العاجل والآجل قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال تعالى فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الى آخر السورة وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم وقال تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وقال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف الى قوله تعالى ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم وقال تعالى والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الى قوله تعالى ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الى قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وثمرة هذا التفكر محبة السعداء وحمل النفس على العمل باعمالهم والتخلق باخلاقهم وبغض الاشقياء وحمل النفس على اجتناب أعمالهم وأخلاقهم وان ذهبنا نتبع مجاري الفكر خرجنا عن المقصود من الايجاز واياك والتفكر في ذات الله تعالى وصفاته من حيث تطلب الماهية وتعقل الكيفية وقل ما ولع بذلك أحد الا وهوى في مهاوي التعطيل وتورط في وطارات التشبيه وقد روي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروه حق قدره فهذا ما قصدنا ذكره من آداب هذه الوظائف ومقصود الذكر وروحه انما هو الحضور مع الله فيه * ولما كان هذا لا يحصل للمريد الا مع صفاء الباطن وصفاء الباطن ثمرة الجوع ونتيجته فان الباطن اذا امتلأ خمدت الفكرة وهاجت الوساوس وتكاسلت الاعضاء وتقاعدت عن أنواع الطاعات كلها من ذكر وصلاة وتلاوة قرآن وغير ذلك حث الشيخ رضي الله عنه عليه بقوله ﴿عليك بالجوع﴾

أى ألزمه نفسك واجعله شعارك ودثارك فى ليلك ونهارك فانه جبلة أهل الحق ومفتاح الفتوح والصدق وهو أحد أركان المجاهدة وبسببه تتفجر ينابيع الحكمة لاهل السلوك وهو من صفات أهل الحقيقة قال الله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ثم قال فى آخر الآية وبشر الصابرين أى وبشر الصابرين على الخوف والجوع وقال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبقى أياما لا يأكل شيأ وعن أنس بن مالك أنه حدثه قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما أنه اول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وفى بعض الروايات جاءته فاطمة بقرص من شعير وكان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام الا كل خمسة عشر يوما فاذا دخل رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال وانما يفطر كل ليلة على الماء وحده وكان يقول جعل الله فى الشبع الجهل والمعصية وفى الجوع العلم والحكمة وكان رحمه الله اذا أكل ضعف واذا جاع قوى وقال عبد العزيز بن عمر جاع صنف من الطير أربعين صباحا ثم طار وافى الهواء ورجعوا بعد أيام ورائحة المسك تفوح منهم وقال الامام القشيرى رحمه الله تعالى لا يبعد انهم وصلوا الى الجنة وقال أبو سليمان الدارانى مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع قال يحيى بن معاذ الجوع نور والشبع نار وقال الامام أبو بكر بن فورك هم العيال نتيجة متابعة الحلال فكيف تكون نتيجة متابعة شهوة الحرام وقال أبو على الروزبادى اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وامروه بالكسب وقيل للربيع قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع أولياءه وقال الاستاذ أبو على قام فقير فى مجلس يطلب شيأ فقال انى جائع منذ ثلاث فصاح عليه بعض المشايخ وقال ان الجوع سر الله وهو لا يضع سره عند من يحمله الى من يريد وقال أبو تراب النخشبى ما تمنت نفسى الا مرة واحدة تمنت على خبزا وبيضا وأنا مسافر فدخلت الى قرية لطلب الخبز والبيض فوثب رجل وتعلق بى وقال لقومه هذا كان معهم فبطحونى وضربونى سبعين سوطا فمر بى رجل فعرفنى فخلصنى منهم وعرفهم بى فاعتذروا الى وأدخلنى رجل منهم الى منزله وقدم لى خبزا وبيضا فقلت لنفسى كلى شهوتك بعد سبعين جلدة وقيل ان أبا تراب رحمه الله تعالى أكل من البصرة الى مكة أكلة

واحدة ونقل شيخنا الشيخ عبد الله الشرقاوى فى شرحه عن الشيخ الاكبر رضى الله عنه قال ماحاصله والجوع المطلوب للسالكين هو جوع الاختيار لتقليل فضول الطمع ولطلب السكون عن الحركة الى الحاجة فان علا عن ذلك فلطلب الصفة الصمدية وحده عندنا صوم يوم فان زاد فالى السحر هذا هو الجوع المشروع الاختيارى ومالناطريق الى الله الا على الوجه المشروع ولولا أن الله تعالى عرف ان المصلحة فى ذلك لعموم خلقه لما وقته بهذا الحد فلا يكون الانسان فى الزيادة عليه اعلم بمصالح نفسه من ربه فان ذلك غاية سوء الادب معه تعالى نعم ان كان ممن يطعم ويسقى فى بيته ويلقى أثر ذلك فى قوته وصحة عقله وحفظ مزاجه فليواصل ماشاء فانه ليس بصاحب جوع وكذا ان كان ممن يستغرقه حال يحول بينه وبين الطعام فان كان صاحب فائدة كابى عقال فمطلوب والا فهو مرض يسأل الاطباء عن حاله وهذا ليس مطلب القوم وأما جوع الاكابر فجوع اضطرارى فان نتيجة الجوع الاختيارى قد حصلت لهم على سبيل الملكة فلا تزول عنهم فى حال جوع ولا شبع فلم يبق الا القليل من الحلال اما للنشاط على العبادة واما لقلة الحساب قال صلى الله عليه وسلم انكم تسألون عن نعيم هذا اليوم ولم يكن سوى تمر ولم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم فى الجماعة لان لله عبادا سليمانيين يقول الله تعالى لهم كما قال لسليمان هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونحن سبعون ألفا فى هذه الامة قد نعتهم النبى صلى الله عليه وسلم وعد عكاشة منهم كما مر فينبغى للصالح السالك ان لا يزيد على الجوع المشروع فيكون متبعا والاتباع هو الاصل فيه فان وجودنا تبع لوجود من أوجدنا وقد أجمع العلماء وأهل الله على ان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش أى الصوم والتقليل من الطعام فى السحور فلا ينبغى الجوع من غير صوم لانه غير طريق مشروع وان غلط فيه بعض أهل الطريق الذين يجوعون تلامذتهم أو يصومونهم ثم يطعمونهم قبل غروب الشمس فهذا غلط وان قصدوا به مخالفة النفوس بل الذى ينبغى ان تخالفوها فى تعيين المأكول على حد مخصوص ووجه معين وميزان مستقيم يعرفه أهل الله تعالى فاذا مالت الى طعام مخصوص معين عندها ردها الى غيره حتى لا تكره شيأ من نعم الله تعالى ولقد عملت على هذا زمانا حتى طاب لى كل شئ كنت لا أقدر على أكله وتمجه نفسى وكذلك فى

التقليل من الطعام فان أشد ما يكون على النفس ان تشرع فى الشئ فيحال بينها وبينه وقد ذكر الغزالى فى احيائه نبذة فى فضائل الجوع ان أردت ان أذكر شيأ من ذلك فمن ذلك ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السموات والارض من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أى الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته وقال النبى صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف * وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا فى انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم التفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه فى الدنيا يقول الله تعالى انظروا الى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتى ما من أكلة يدعها الا ابدلته مهادرجات فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه * وروى الحسن عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألبسوا الصوف وشمروا وكلوا بانصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وقيل مكتوب بالتوراة ان الله عز وجل ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود رضى الله عنه ان الله تعالى يبغض القارئ السمين من الشبع وفى خبر مرسل ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش * وفى الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص * وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معاء واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء أى يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته ويكون المعاء كناية عن الشهوة لان الشهوة هى التى

تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعاء وليس المعنى زيادة معاء الكافر على معاء المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم * قلت وكيف ندیم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وكانت عائشة رضى الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدى وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ومنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدنى استحى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب الى من أن ينقص حظى غدا فى الآخرة ومامن شئ أحب الى من اللحوق باصحابى واخوانى قالت والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وقال عمر رضى الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة ثقل فى الممات وقال شقيق البلخى العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها الجماعة * وقال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان الفضيل يقول لنفسه أى شئ تخافين أتخافين ان تجوعى لا تخافى أنت أهون على الله من ذلك وانما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان كهمس يقول الهى أجعتنى وأعريتنى وفى ظلم الليالى أجلستنى فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى وكان فتح الموصلى اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهى ابتليتنى بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فبأى عمل أؤدى شكر ما أنعمت على وكان سهل التسترى يطوى نيفا وعشرين ليلة لا يأكل وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافى القيامة عمل برأفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أكله وقال لم ير الابليس شيأ أنفع من الجوع فى الدنيا والدين وقال لم أعلم شيأ أضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال ما عبد الله بشئ أفضل من مخالفة الهوى فى الشبع وقال ما عبد الله تعالى بشئ أفضل من مخالفة الهوى بترك الحلال وقال ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال رأس كل برتنزل من السماء الى الارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم

والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما على وجه الارض احد يشرب من هذا الماء حتى يروى فيسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام * وسئل حكيم باى قيد تقيد النفس فقال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخماد الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى الاغنياء وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الرحمن ابن زيد يقسم بالله تعالى ما صافى الله تعالى أحدا الا بالجوع ولا مشوا على الهوى ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع * وروى ان عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى على فقد المناجاة واذا بشيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولى الله ادع الله لى فانى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى * (فان قلت) هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما هو سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغى ان يعظم الاجر فى كل ما يتأذى به الانسان من ضره لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الاشياء المكروهة وما يجرى مجراه * فاعلم فى الجواب أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه فى خاصته من الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوّع نفسه مصدقا لما جاء فى الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان أردت أن ترتقى من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات * فنقول فى الجوع عشر فوائد * (الاولى صفاء القلب) وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبى اذا أكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك * قال أبو سليمان الدارانى عليك بالجوع فانه مذلة للنفس

ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى وقال النبى صلى الله عليه وسلم أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه * وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسى قلبه ثم قال لكل شئ زكاة وزكاة البدن الجوع * وقال الشبلى ما جعت لله يوما الا رأيت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة * وقال النبى صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله تعالى الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم * (الفائدة الثانية) رقة القلب وصفائه الذى به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق فى بعض الاحيان فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه * وقال أبو سليمان أحلى ما يكون لى العبادة اذا التصق ظهرى ببطنى * وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة * وقال أبو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمى وغلظ فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية * (الفائدة الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشئ كما تذل بالجوع فعنده تسكن كبرياؤها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها فسعادة الانسان فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا ان مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولاجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبى صلى الله عليه وسلم فاعرض وقال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل والانكسار

باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر *(الفائدة الرابعة) ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغى ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه الذى يهيج الخوف فمن لم يكن فى ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسى عذاب الآخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغى ان يكون العبد فى مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الاسباب الذى اقتضاه اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل *(الفائدة الخامسة) وهى من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وان السعادة كلها فى ان الرجل يملك نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس ولهذا قال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت أو هممت بمعصية وقالت عائشة رضى الله عنها أول بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل خزانة الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فاذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين ترنى كما ان الفرج يرنى وان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة ما تشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك فى اثناء صلاته قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شأ من الشهوات ويأكل فى نصف نصف بطنه رفع الله عنه مؤونة النساء *(الفائدة السادسة) تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان

فى شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل البدو الخلال ثم يكثر تردداده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا الوصرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثرة بحه *قال السرى رأيت لعلى الجرجانى سويقا يستف منه فقلت ومادعاك الى هذا فقال انى حسبت مابين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز أربعين سنة *(الفائدة السابعة) يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لايخل الانسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصى واقتحام الشهوات وفى الجوع مايمنع عنه ذلك *(الفائدة الثامنة) خفة المؤونة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعود بالشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذ بمخنقه فى كل يوم فيقول ماذا آكل اليوم فيحتاج الى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصى أومن الحلال فيذل ور بما احتاج ان يمد عين الطمع الى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤن خفيف المؤونة *(الفائدة التاسعة) أن يتمكن من الايثار والصدقة بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته كما ورد الخبر به ومايأكله نخزانته الكنيف ومايتصدق به نخزانته فضل الله تعالى *(الفائدة العاشرة) دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب المسببة عن كثرة الاكل ولهذا أعقب الشيخ رضى الله عنه الحض على الجوع بالنهى عن كثرة النوم عاطفا قوله *(واياك وكثرة الهجوع) على ماتقدم عطف مسبب على سببه ولازم على ملزومه والهجوع النوم قال تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون والسهر احد أركان الطريقة الاربعة التى تصيرها الابدال ابدالا وهى السهر والجوع والصمت والعزلة وقد استوفاها الشيخ رضى الله عنه على هذا النسق والترتيب المذكور والنوم حالة طبيعية يتعطل منها القوى بسبب ترقى البخارات الى الدماغ اه *وقال الشعرانى قدس الله سره فى ميزان الذرية * واعلم ان حقيقة النوم انه برزخ بين

الحياة والموت فالنائم لاحي ولا ميت وله وجه للموت ووجه للحياة فهو أخو الموت من وجه واحد لا من الوجهين قال الله تعالى وجعلنا نومكم سباتا يعني راحة لكم ولتألفوا حالكم في البرزخ فان حالكم فيه كالنوم في الصورة قال شيخنا رضي الله عنه ومحل النوم ما تحت فلك الكواكب فلك القمر خاصة فالملك لا رؤيا له لان نشأته غير عنصرية هذا حكم الدنيا وأما في الآخرة فكان الرؤيا ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة ولذلك كان أهل النار ينامون في بعض الاوقات نسأل الله العافية اه * وفي الحديث النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة وفيه اشارة الى ذم كثرة مفاسده الاخروية بل والدنيوية فانه يورث الغفلة والنسيان وفساد المزاج الطبيعي والنفساني ويكثر البلغم والسوداء ويضعف المعدة وينتن الفم ويولد دود القرح ويضعف البصر والباه حتى لا يكون له داعية للجماع ويفسد الماء ويورث الامراض الزمنة في الولد المتخلق من تلك النطفة حال تكوينه ويضعف الجسد هذا في النوم في غير وقت العصر والصبح اما فيهما فأعظم ضررا لانه يفيد كيموس صحة حكم عين المزاج المأوى والصورى لا يمكن استقصاء مفاسده في العقل والنفس والروح ومنها انه يورث ضعف الحال بحكم الخاصية وعدم الايمان بالبعث والنشور وقال بعضهم اياكم وكثرة النوم تبعا لما ترونه من بعض العارفين فان لهم أحكاما خلاف حكمكم فان بعضهم يخلع الله تعالى عليه القوة على خلع نفسه عنه متى شاء وسراحها الى أي وجه من غير ارتباط بعالم الخيال * واعلم ان نوم العارفين من جملة أورادهم وعندهم كل نوم لا يحبه الوحي لا يعول عليه وهذا الملتقى خيال والنازل كذلك والوحي كذلك وثم من الوحي ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه ما هو بمعنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال لمن نزل به وقد يكون كناية ويقع كثيرا من الاولياء كما جرى لابي مدين الغوث لما حضره فراق زوجته وجد ثوبه مكتوبا امسك عليك زوجك وبعضهم لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة وهو أضعف الجماعة وله ضروب أخر غير هذه وطرائق شتى والمراد منه الالهام المختص بالاولياء ويطلق في عرف اللغة الوحي عليه كما في قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل واذا نام العارف طاهر القلب من حب الدنيا ودنس الحقد والاوصاف الذميمة طاهرا الظاهر تائبا من كل ذنب فانه لا يدري أتعود روحه الى هذا العالم أم تمسك على الهيئة المسنونة المستأنسة فان الله يكرمه غالبا ويفيده علوما لم

تكن

تكن عنده واما الاكابر فان منامات هم لا تكاد تصح لئلا يقف عندهم رحمة من الله بهم والبعض من أرباب التحقيق ممن علم الله منهم عدم الوقوف والشفوف لا يختلف عليهم رؤياهم واذا أكرموا فيها بكشف عن أمر جاء كفلق الصبح وافادة علم باخفاء كل قبح ولذا قال أبو الحسن علي الشاذلي قدس الله سره المل لا توقظوني من وردي فلهم في نومهم علوم يستفيدونها من ربهم واسرار يشاهدونها وقد أنشد الحاتمي قدس الله سره في أول باب تسع وتسعين في معرفة النوم واسراره

النوم جامع أمر ليس يجمعه * غير المنام ففكر فيه واعتبر
ان الخيال له حكم وسلطنة * على الوجودين من معنى ومن صور
وليس يدرك في غير المنام ولا * تبدو له صورة في حضرة الصور
تختص بالصاد لا بالسين حضرته * فهو المحيط بما في الكون من صور
ومن لا يكيف يأتي النوم يحصره * بالكيف والكم بالتحديد للغير

ثم قال النوم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس الى عالم البرزخ وهو أكمل العوالم لأكمل منه هو أصل مصدر العالم لوالوجود الحقيقي والتحكم في الامور كلها بتجسد المعاني ويرد ما ليس قائما بنفسه وما لا صورة له يجعل له صورة ويرد المحال ممكنا ويتصرف في الوجود كيف شاء فاذا كان له هذا الاطلاق وهو خلق مخلوق لله تعالى فما ظنك بالخالق سبحانه وتعالى الذي خلقه وأعطاه هذه القوة فكيف تريد ان تحكم على الله تعالى بالتقييد وتقول ان الله تعالى غير قادر على المحال وتشهد من نفسك قدرة الخيال على المحال والخيال خلق من خلق الله ولا تشك فيما تراه من المعاني التي جسدها لك وأراك اياها أشخاصا قائمة فكذلك يأتي الله بأعمال بني آدم مع كونها اعراضا صورا قائمة توضع في الموازين لاقامة القسط ويأتي بالموت وهو نسبة لا عرض له بين بل هو اغتراب على وجه مخصوص بين اثنين جسم وروح فيأتي به في صورة كبش أملح أو أبيض يريد انه في غاية الوضوح فيعرف جميع الناس انه الموت فهذا محال مقدور فأين حكم الله على العقل وفساد تأويله وكذلك في نعيم الجنان في فواكه لا مقطوعة ولا ممنوعة فيتناول من لا علم له يحمله على فصول السنة ان الفاكهة تنقضي بانقضاء زمانه ثم تعود في السنة الاخرى وفاكهة الجنة دائمة التكوين لا تنقطع هذا مبلغ علم في هذه المسئلة وهي عندنا كما قال تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة * فان الله تعالى جاعل لنا فيها رزقا يسمى قطفا وتناولا كما

جعل لعالم الجن فى العظام رزقا وما نرى ينقص من العظم شئ ونحن بلا شك نأكل من فاكهة الجنة قطفا دانية مع كون الثمرة فى مواضعها من الشجرة ما زال عينها لانها دار بقاء لما يتكون فيها فهى دار تكوين وكذلك سوق الجنة تدخل فى أى صورة منها مع كوننا على صورتنا لا ينكر أحد من أهلها ولا من معارفها ونحن نعلم انا قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا عند معارفنا وعند نفوسنا فأين العقول والمعقول هنا

لا يعرف الله الا الله فاعتبروا * ما عقل عين كعقل قلد الفكرا

ولما نزه الحق تعالى نفسه عن صفة النوم فقال لا تأخذه سنة ولا نوم أى ما يغيبه البرزخ عن شهود العالم الحسى من شهود المعانى الخارجة من المواد فى حال عدم حصولها فى البرزخ وقد يمنح الله بعض عباده هذا الادراك مع كونه لا يتصف بانه لا ينام أعنى فى حالة الدنيا ونشأتها وأما فى الآخرة فانه لا ينام أهل الجنة فى الجنة ولا يغيب عليهم شئ من العالم بل كل العالم فى مرتبته مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم اه كذا فى شرح ورد السحر الكبير لشيخ شيخنا العارف بالله تعالى سيدى مصطفى الصديقى وقال فى الكتاب المذكور نقلا عن حلية الابدال للشيخ الاكبر * والسهر سهران سهر العين وسهر القلب فسهر القلب انتباهه من نومات الغفلات طلبا للمشاهدات وسهر العين رغبة فى بقاء المشاهدة فى القلب لطلب المسامرة فان العين اذا نامت بطل عمل القلب فان كان القلب غير نائم مع نوم العين فغايته مشاهدة سهره المتقدم لا غير وأما ان يلحظ غير ذلك فلا فغاية السهر استمرار عمل القلب وارتقاء المنازل العلية المخزونة عند الله تعالى وحال السهر تعبير الوقت خاصة للسالك والمحقق غير ان المحقق فى حاله زيادة تخلق ربانى لا يعرفه السالك وأما مقامه فمقام القيومية ثم نازع من قال بعدم التخلق فيها وحقق بان الانسان الكامل لا يبقى له فى الحضرة الالهية اسم الا وهو حامل له اه وعنه صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبى قال المناوى رحمه الله تعالى لان النفوس الكاملة القدسية لا يضعف ادراكها بنوم العين واستراحة البدن ومن ثم كان اذا نام لم يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه نومه بالوادى عن الصبح لان رؤيتها وظيفة بصرية اه ولهذا كان ينام حتى ينفخ ثم يقوم فيصلى ولا يتوضأ اذ من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان وضوءه لا ينقض بالنوم وعنه صلى الله عليه

وسلم أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين * واعلم ان من السادة من لا يتطلب استيقاظا ولا مناما لانه يشاهد فعل ربه به فان أنامه نام وان أقامه قام وبعضهم من تدعوه بعض العوالم النورانية للمنام ليدخل معها فى عالمها حال تجرده عن هذا العالم فلا يمكنه عدم اجابتها وربما اذا دعوه وقصد السهر جاءه وارد منام فاستولى عليه وله قهر وربما تطلب بعض العوالم مضاجعته فى فراشه ويتغى ذلك لاجل حظه وانتعاشه وبعضهم من يضرب الماء الكثير ولا ينام لحرارة الفؤاد بالذكر والهيام وحكى مثل هذا السيد محمد مراد النقشبندى عن المنلا عبد الرحمن الكابلى المقدام فقال ان المنلا عبد الرحمن يشرب الماء فوق العادة ولا ينام وبعضهم من يتناوم وما به من نوم لانه شاهد مطلوب فؤاده فى خير ليلة أو يوم وأنشد

رأيت سرور قلبى فى منامى * فاحببت التناعس والمناما

وبعضهم اذا نام ليلة عن حزبه عوقب بسلب قلبه وربما رأى اثر ذلك فى منامه ليتفرغ لصلاته وقيامه كما حكى اليافعى فى رياض الصالحين عن الشيخ أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال كان فى جوارى شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءنى يوما وقال يا أستاذى انى نمت عن وردى الليلة فرأيت كان محرابى قد انشق وكانى بحوار وقد خرجن من المحراب لم أر أحسن وجها منهن واذا فيهن واحدة شوهاء لم أر أقبح منها منظرا فقلت لمن انتن ولمن هذه فقلن نحن ليالى اللاتى مضين وهذه ليلة يومك ولو مت فى ليلتك لكانت هذه حظك ثم أنشأت الشوهاء تقول

اسال لمولاى يردنى الى حالى * فأنت قبحتنى من بين أشكالى
لا ترقدن الليالى ما حييت فان * نمت الليالى فهن الدهر أمثالى
نحن السرور لمن نال السرور ربنا * جوف الظلام بسكنى المنزل العالى
وقد أريت بخير اذ وعظت بنا * فابشر فأنت من المولى على بال

قال فأجابتها جارية من الحسان تقول

ابشر بخير فقد نلت الغنى أبدا * فى جنة الخلد فى روضات جنات
نحن الليالى اللواتى كنت تسهرنا * تتلو القرآن بترجيع ورنات
نحن الحسان اللواتى كنت تخطبنا * جوف الظلام بلوعات وزفرات

ابشر فقد نلت ما ترجوه من ملك * بر يجود بأوصال وفرحات
غدا تراه تجلى غير محتجب * تدنو اليه وتحظى بالتحيات

قال ثم شهق شهقة خر ميتا رحمه الله ورضى عنا به * وحكى فى الكتاب المذكور أيضا عن بعض العارفين قال نمت عن حزبى فرأيت جارية فى المنام حسناء لم أر أحسن منها وجها ولا أطيب منها رياحا فناولتنى رقعة فى يدها وقالت اقرأ ما فيها فقرأته فاذا هو شعر

لذذت بنومة من غير عيش * مع الولدان فى غرف الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها * وتبقى فى الحسان مع الحسان
تيقظ من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقرآن

قال فاستيقظت مرعوبا فوالله ما ذكرتها قط بعد ذلك الا طار نومى رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به * (فان قلت) كم يكفى الانسان من النوم فى اليوم والليلة بحيث انه اذا تعدى ذلك يكون مضيعا لوقته ومن جملة أهل السرف المؤدى الى التلف (قلت) سمعت شيخنا المصنف رضى الله عنه يقول راحة العين عين يعنى ان الانسان يكفيه أن ينام فى اليوم والليلة سبعين درجة وهى أربع ساعات وثلث ساعة فما زاد على ذلك فهو من حكم التوسع والفضول قلت ولعل ذلك لغير أرباب الكد والتعب وأما أهل الكد والتعب فيكفيهم كما قال الغزالى ثلث اليوم والليلة ثمان ساعات فى اليوم والليلة فما زاد على ذلك يعد سرفا وتضييعا للعمر فى غير منفعة وهو المذموم المنهى عنه وهو الذى أشار اليه المصنف رضى الله عنه بقوله واياك وكثرة الهجوع فانه انما حذر من الكثرة أما أصل النوم فانه مما تقتضيه الطبيعة البشرية والجبلة الانسانية سيما اذا صحبته النية على سهر الليل فانه يكون من جملة العبادات كما تقدم عن العارف بالله أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يقول لاصحابه اذا نمت لا توقظونى من وردى اه * واعلم انه مما ينبغى اجتنابه النوم فى نهار الشتاء لان نوم النهار ما شرع الا للاستراحة والاستعانة على سهر الليلة الآتية وطول ليل الشتاء يغنى عن ذلك بخلاف الصيف فان ليله قصير ونهاره طويل فشرع النوم فى نهاره للاستعانة على الليلة الآتية والاستراحة من سهر الماضية ومن كلام سيدى عبد العزيز الدرينى رحمه الله تعالى النوم قبل الزوال دواء للسهر الماضى وبعد الزوال دواء للسهر الآتى * (تنبيه) * قال سيدى على الخواص رضى الله عنه اياكم

والنوم فى الاوقات المنهى عن النوم فيها كنوم الانسان من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروب الشمس فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه للهلاك اذ النوم فى هذين الوقتين يؤثر بالخاصية فى كل نائم الفساد سواء كان صحيح المزاج أو غير صحيحه وقال سيدى أفضل الدين النوم من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس ومن بعد صلاة العصر الى غروب الشمس لا اقدر على وصف مفاسده فى العقل والصفات الانسانية الروحانية أقلها أنه يورث ضعف الحال بحكم الخاصية وعدم الايمان بالبعث والنشور وما يقارب ذلك من غير تعقل لما يدفع عنه ذلك *(تنبيه)* آخر قال سيدى أفضل الدين النوم الكثير فى النهار يورث الغفلة والنسيان وفساد حكم المزاج الطبيعى والنفسانى ويكثر البلغم والسوداء وينتن الفم ويولد دود القرح ويربى الغشاوة على العين ويضعف المعدة والباه على الفور حتى يصيره لا يشتهى الجماع ويفسد المنى ويورث الامراض المزمنة فى الولد المتخلق من ذلك المنى حال تكوينه ويميت القلب من تعاطى أسباب الدنيا فضلا عن أسباب الآخرة وقال أيضا بما استحكم فى الانسان كثرة النوم حتى يصير نومه مخالفا لحكم نوم الطبيعة الذى جعله الله راحة للجسد ونشاطا للنفس فيفسد على العبد صحة مزاجه الاصلى الذى خلق عليه ويضعف نفسه الروحانية لكثرة ارتباطها بعالم الخيال وقلة ارتباطها بجسدها المأمورة بمساعدته على ما لابد للعبد منه لا سيما ان كان الجسد مظلما كثيفا بالاعمال الخارجة عن السنة المحمدية فانه يتركب من ذلك الارتباط فساد القوة الخيالية المصورة للاشياء فى مرآة العقل فيصير لا يشهد أمرا الا مقيدا مرتبطا منعقدا فعلم ان النوم بالنهار مضر جدا الا أن يكون فى مثل أيام الصيف وقت القيلولة للاستعانة على قيام الليل كما ورد *(تنبيه)* آخر قال بعضهم كثرة النوم من أكل الحرام فمن أكل الحلال قل نومه ومن أكل الحرام كثر نومه واعلم ان السهر انما يحمد شرعا اذا كان منوطا بالعبادة كتلاوة القرآن وذكر الله تعالى والصلاة ونحو ذلك من أنواع العبادات أما اذا كان مصحوبا بلغو الكلام وهذيان العوام كما هو متعارف فى هذه الاعوام من اجتماع الناس فى السهرات وتكلمهم بما دب ودرج من أنواع الخرافات سيما اذا اشتمل على الغيبة والنميمة والبهتان فذلك من أقبح القبائح والنوم حسن بالنسبة اليه كما قيل نوم الظالم رحمة أى للمظلومين فان الظالم اذا نام استراحت الناس من شره حال نومه فان آفات الكلام

لا تعد بعدّ ولا تدخل تحت حصر ولا حد فاذا لم يشتغل فى سهره بوظائف أوراد فليكن منوطا بالصمت الذى فيه السلامة من حسرة يوم القيامة فلذا أعقب المصنف رضى الله عنه ذلك بقوله ﴿الصمت من صفات الاصفياء﴾ واعلم ان الصمت بمعنى السكوت عما لا يعنى أحد الاركان أربعة التى يصير بها الابدال ابدالا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى ومنهم من يشترى لهو الحديث واعلم ان اللغو من الحديث يطفئ النور الحاصل من التوحيد وانما كان الصمت من صفات الاصفياء أى الذين اصطفاهم الله لحضرته لانه باب السلامة من كل خطر كما روى فى الخبر من سره ان يسلم فليلزم الصمت وقال صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالمنطق وقال عليه الصلاة والسلام ان أكثر خطأ بنى آدم فى لسانه وفى حديث آخر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وقال صلى الله عليه وسلم ليس شئ من الجسد الا وهو يشكو حدة اللسان وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله امرأ سكت فسلم أو قال خيرا فغنم وقال عليه الصلاة والسلام من صمت نجا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما النجاة فقال احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال أهل الحقيقة الصمت سلامة وهو الاصل والنطق عارض واختلف الناس فى تفضيل أحدهما على الآخر والاصح ان كل واحد منهما أفضل من الآخر فى بعض المواضع لكن الموفق من يعرف موضع الصمت فيصمت وموضع النطق فينطق فان السكوت عن الحق حرام ولذا قال ابو على الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس وقال بشر الحافى اذا أعجبك الكلام فاسكت واذا أعجبك السكوت فتكلم وقال لقمان لابنه لو كان النطق فضة لكان السكوت ذهبا ولقد ندمت على الكلام مرارا ولم أندم على السكوت مرة واحدة * واعلم ان الصمت على نوعين صمت العوام وهو امساك اللسان كفا عن الكذب والغيبة وصمت الخواص وهو امساك اللسان لاستيلاء سلطان الهيبة وذلك الصمت هو من آداب الحضرة وينقسم أيضا قسمين آخرين صمت العوام وهو كف باللسان وحده وصمت الخواص وهو كف باللسان والقلب فالمتوكل صمت قلبه عن طلب الرزق والراضى صمت قلبه عن حركة الاعتراض وسئل أبو بكر

الفارسى عن صمت القلب فقال ترك الفكر فى الماضى والمستقبل وقد آثر الاصفياء السكوت لما رأوا فى الكلام من الآفات وحظ النفس واظهار صفة المدح وميل الانسان بالطبع الى ان يتميز بين أقرانه وأشكاله وروى عن داود الطائى ان سبب توبته انه كان يجالس أبا حنيفة رضى الله عنه فقال له أبو حنيفة يوما يا اباسليمان اما الاداة فقد أحكمناها فقال له داود فأى شئ بقى فقال العمل بها قال داود فنازعتنى نفسى الى العزلة فقلت لا أعتزل حتى أجالس هم سنة ولا أتكلم فى مسألة فجالسهم سنة ولم يتكلم فى مسألة قال وكانت المسألة تمر بى وأنا الى الكلام فيها أشد شوقا من العطشان الى الماء ولا أتكلم وكان عمر بن عبد العزيز اذا كتب كتابا وأعجبه لفظه مزقه وكتب غيره وقيل اذا نطق العبد فيما يعنيه وفيما لا بد له منه فهو صامت وقيل ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يضع فى فيه حجرا كذا كذا سنة ليقل كلامه وقال ابن مسعود ما من شئ يطول السجن أحق من اللسان وقيل لذى النون المصرى من أصون الناس لنفسه فقال أملكهم للسانه وقال على بن بكار جعل الله لكل شئ بابين وجعل للسان أربعة أبواب فالشفتان مصراعان والأسنان مصراعان وقيل ان أبا حمزة البغدادى كان حسن الكلام فهتف به هاتف تكلمت فأحسنت بقى ان تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك حتى مات ومات قريبا من هذه الحالة على رأس أسبوع أو أقل أو أكثر قال فى الرسالة القشيرية والصمت من آداب الحضرة قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وقال مخبرا عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما حضروه قالوا انصتوا وقال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وكم بين عبد يسكت تصاونا عن الكذب والغيبة وبين عبد يسكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه وفى معناه أنشدوا

أفكر ما أقول اذا افترقنا * واحكم دائبا حبج المقال
فانساها اذا نحن التقينا * وانطق حين أنطق بالمحال

وأنشدوا فياليل كم من حاجة لى مهمة * اذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا

وربما يقع السكوت على المتكلم تأديبا له لانه أساء أدبه فى شئ * كان الشبلى اذا قعد فى حلقته ولا يسألونه يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا الآية وربما يقع السكوت على المتكلم لان فى القوم من هو أولى منه بالكلام سمعت ابن السماك يقول فى بغداد كان بين شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه

لا يحضر مجلسه فقيل له فى ذلك فقال الصواب هذا فما زال وابه حتى حضر يوما مجلسه وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ فلما أخذ يحيى بالكلام سكت ثم قال ههنا من هو أولى بالكلام منى فارتج عليه فقال شاه قلت لكم الصواب أن لا أحضر مجلسه وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى فى الحاضرين وهو انه يكون هناك من ليس بأهل السماع لذلك الكلام فيصون الله لسان ذلك المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله وربما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم ان بعض الحاضرين كان معلوم الله تعالى من حاله أن يستمع ذلك الكلام فيكون فتنة له اما لتوهمه انه وقته فلا يكون أولانه يحمل نفسه مالا تطيق فيرحمه الله عز وجل بان يحفظ سمعه عن ذلك الكلام اما صيانة له أو عصمة عن غلطه وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن اذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول اعتللت مرة بمرو فاشتقت أن أرجع الى نيسابور فرأيت فى المنام كان قائلا يقول لى لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فان جماعة من الجن استحلوا كلامك ويحضرون مجلسك فلاجلهم تجلس ههنا * وقال بعض الحكماء انما خلق للانسان لسان واحد وعينان واذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول ودعى ابراهيم بن أدهم الى دعوة فلما جلس أخذ واقى الغبيبة فقال عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز وأنتم ابتدأتم باكل اللحم أشار الى قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقال بعضهم الصمت لسان الحكم وقال بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان كان الكلام يهديك فان الصمت يقيك وقيل عفة اللسان صمته وقيل مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وسئل أبو حفص أى الحالين للولى أفضل الصمت أو النطق فقال لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت ان استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله عز وجل ضعفى عمر نوح حتى ينطق وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه وقيل الحب اذا سكت هلك والعارف اذا سكت ملك سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه * (تنبيه) * من أعظم ما يحذر عنه الكلام عند الاذان فان الكلام عنده يورث المقت والعياذ بالله تعالى قال بعض العارفين من ترك الكلام حال الاذان لاجل الله تعالى عظمه الله بين الناس ويسر

حسابه * وماتت امرأة من الباغيات فرؤيت فى هيئة حسنة فقيل لها كيف ذلك فقالت أذن المؤذن مرة وكنت فيما لا ينبغى من رفع الصوت فامرت رفقتى بالسكوت حتى فرغ المؤذن فغفر الله لنا بذلك بل ينبغى أن يكون الانسان مصغيا لما يقول المؤذن قائلا مثل ما يقول ثم بعد ذلك يدعو الله تعالى بما شاء * وأحب بعده أن يقول الدعاء المأثور اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وأكثر من الدعاء بين الاذان والاقامة لقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذانين لا يرد * ومن أقبح أنواع الكلام الذى يطلب السكوت عند المراء والجدال فانهما يوغران الصدور ويوحشان القلوب ويولدان العداوة والبغضاء ولهذا قال رضى الله عنه (والجدال حرفة الاغبياء) أى الجاهلين أرباب النفوس الذين هم لا يدخلون حضرة القدوس والجدال المحاجة وطلب القهر والغلبة وهو المراء المرادف الحديث الذى رواه الترمذى من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها وروى أيضا كفى بك اثما ان لا تزال مخاصما وروى أيضا ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم والالد بتشديد الدال المهملة هو الشديد الخصومة والخصم بكسر الصاد المهملة هو الذى يحج من يخاصمه قال السهروردى فى عوارف المعارف ومن أخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب الا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك ان النفوس تثب وتظهر فى المماريين والصوفى كلما رأى نفسه ظاهرة عليه قابلها بالقلب واذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطلقت الفتنة قال الله تعالى تعليما لعباده ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ولا ينزع المراء الا من نفوس زكيه انتزع منها الغل ووجود الغل فى النفوس هو مراءا لباطن ذهب من الظاهر أيضا وقد يكون الغل فى النفس مع من تشاكله وتماثله لوجود المنافسة ومن استقصى بتذويب النفس بنار الزهادة فى الدنيا ينمحى الغل من باطنه ولا يبقى عنده منافسة دنيوية فى حظوظ عاجلة من جاه وما قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة ونزعنا ما فى صدورهم من غل واعلم ان من لم تكن سجيته التى جبل عليها مكارم الاخلاق وحسن الصبر على معاشرة الناس التى لا تنفك غالبا عن المراء والمجادلة فلا بد له من العزلة عنهم ظاهرا وباطنا ولا ينوى بعزلته عنهم كف ضررهم عنه وتوقى شرهم

بل ينوى كف أذاه عن غيره وسلامة الناس من شر نفسه فان العزلة اذا كانت بهذه المثابة كانت أعظم سبب الى السلامة فلهذا قال رضى الله عنه ﴿ العزلة للمبتدى سلامة لدينه ﴾ وهى عند عامة أهل الطريق عبارة عن هجر الخلائق وملازمة البيوت طلبا لسلامة المعتزل من الناس وسلامة الناس منه فان ارتقى الى طور أعلى من هذا وصار من الخاصة جعل عزلته رياضة وتقدمة بين يدى خلوته لتألف النفس قطع المألوفات من الأنس بالخلق فان الانس بهم من العلائق الحائلة بينه وبين مطلوبه من الانس بالله تعالى والانفراد به فاذا انتقل من العزلة بعد احكامه شرائطها سهل عليه أمر الخلوة * واعلم ان العزلة والخلوة مطلوبتان شرعا وهما صفتا أهل الوصلة والصفوة قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله الى قوله وكلا جعلنا نبيا وقال تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من خير معائش الناس لهم رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ان سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغى الموت أو القتل فى مكانه أو رجل فى غنيمة له فى رأس شعفة من هذه الشعاف أو بطن وادمن هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين وليس من الناس الا فى خير وقال صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله تعالى الفرارون بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم عليه السلام يوم القيامة ومن حق العبد اذا اعتزل أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق كما قدمناه فان الاول من القسمين نتيجة استصغار نفسه والثانى شهود مزيته على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر * رؤى بعض الرهبان فقيل له انك راهب فقال لا أنا حارس كلب عقور ان نفسى كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها ومر انسان ببعض الصالحين فجمع ثيابه منه فقال الرجل لذلك الصالح لم تجمع ثيابك عنى وليست ثيابى بنجسة فقال الشيخ وهمت فى ظنك ثيابى هى النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك لا لكيلا تنجس ثيابك ثيابى * ومن آداب العزلة ان يصحح من العلوم ما يصحح به عقد توحيده لكيلا يستهويه الشيطان بوسواسه ثم يحصل من علوم الشرع ما يؤدى به فرضه ليكون قد بنى أمره على أساس محكم والعزلة فى الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة وايثار تبديل الصفات لا التنائى

عن الاوطان فان العزلة نوعان للعوام وهى مفارقة الناس بالجسد طلبا للسلامة وعزلة للخواص وهى موافقة الصفات البشرية الى الصفات الملكية وان كان مخالطا للناس ومجاورا لهم ولهذا قالوا للعارف كائن بائن معناه كائن مع الناس بظاهره بائن بباطنه وسره * وقال أبو على الدقاق البس مع الناس ما يلبسون وكل معهم ما يأكلون وانفرد عنهم بسرك * وفى العزلة فوائد جليلة منها السلامة من الغيبة والرياء والنفاق والاشتغال بزينة الدنيا ولهوها والامان من ملل الاصدقاء وستر الفاقة عن العدو والشامت والصديق المتوجع والتفرغ للنظر فى العلم واستنباط الحكمة ومن أراد العزلة ينبغى ان يكون فى عزلته خاليا عن ذكر كل شئ سوى ذكر ربه ومن ارادة كل شئ بعزلته سوى ارادة ربه ثم يأخذ نفسه فى عزلته بتأديبها وتهذيبها بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات * والحاصل ان العزلة الحقيقية عند القوم اعتزال الصفات المذمومة ومفارقتها * قال أبو يزيد رأيت ربى تبارك وتعالى فى المنام فقلت له كيف أصل اليك فقال تعالى فارق نفسك وتعال * وقال يحيى بن معاذ من كان أنسه بالخلوة ذهب أنسه اذا فارقها ومن كان أنسه بالله فى الخلوة استوت عنده الاماكن كلها * وقال أبو بكر الوراق وجدت خيرى الدنيا والآخرة فى العزلة والخلوة وشرهما فى الخلطة * وقال الشبلى علامة الافلاس الاستئناس بالناس * وقيل اذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية الى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره عيوب نفسه فمن أعطى ذلك فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة * واعلم بان التوفيق للعزلة دليل سعادة الابدان من خالط الناس داراهم ومن داراهم راآهم من راآهم نافقهم ومن نافقهم استحق الدرك الاسفل من النار بنص الكتاب العزيز فعليك أيها العاقل بمحو اسمك من صحائف القلوب ومحائف الالسن فان العرفان بلاء والمعروف ناقص والخامل كامل وطالب الاسم والرسم ظاهره عامر وباطنه خراب وطالب الحق والحقيقة باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فمن آثار العزلة حصل العزلة * قال ذو النون المصرى لم أر شيأ أبعث على الاخلاص من الخلوة * قال أبو القاسم الجنيد فى زمنه يقول من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة فانظر يا أخى هذا فى زمان الجنيد فكيف فى هذا الزمان الذى والله لا تخلو مجالس خاصة من الغيبة والنميمة ولهو الحديث فضلا عن عوامه فلا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم * قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه تنبيه المغترين ومن أخلاقهم كثرة عزلتهم عن الناس وقلة مخالطتهم الا لحاجة وعلى ذلك درج السلف الصالح ففى كل يوم لا يجتمع بهم أحد فيه يعدونه يوم عيد ومن أكثر من مخالطة الناس خرج عن طريق سلفه وفاته النفع من الناس وبالعكس وذلك لان كل من كثرت رؤية الناس له هان فى عيونهم وكثر سقطه عندهم ورأوه كاحدهم فى دناءة الاخلاق والغفلة عن الله عز وجل قلت وما أتذكر أننى زرت أحدا من مشايخ هذا الزمان وسلم مجلسى معه من الغيبة الا قليلا فلذلك أقللت من زيارتهم خوفا على دينى ودينهم لاتساهلا فى حقهم فاذا كان هذا حكم مجالس الاشياخ فكيف بغيرهم فاحفظ نفسك كل الحفظ اذا زرت أحدا فى هذا الزمان ولا تتهاون بذلك * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول خذوا حظكم من العزلة وكان طلحة ابن عبيد الله يقول من أراد أن يقل من معرفة الناس ويتبصر بعيوبه فليجلس فى بيته فان من خالط الناس سلب دينه وهو لا يشعر وكان حذيفة بن اليمانى يقول وددت أن أغلق باب دارى فلا أخرج لاحد حتى أموت * وكان الشعبى يقول لم يجلس الربيع بن خيثم فى مجلس قومه طول عمره الا مرة واحدة جلس على باب داره فسقط عليه حجر فشج رأسه لا يدرى من رماه فقال لقد وعظت يا ربيع فما خرج من بيته الا لضرورة حتى مات * وكان يقول من جلس على الطريق فليؤد حقه وذلك برد السلام ونصرة المظلوم والشهادة على الظالم ومعاونة كل من كان فى ضرورة * قال ابن سيرين العزلة عبادة * وقال فضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا * وقال أبو ربيع الزاهد لداود الطائى عظنى * قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد * وقال الحسن رضى الله عنه كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروأته صبر قليلا فتمتع طويلا * وقال وهيب بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشرة فى عزلة الناس * وقال يوسف بن مسلم لعلى ابن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم * وقال سفيان الثورى هذا وقت السكوت وملازمة البيوت * وقال بعضهم كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فحك سبعا لا نسمع

له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت * ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما * فغايته التفكر والسكوت

*وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا ينبغي للمرء أن يخبر بكل عذر * وقال الفضيل أني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني أن لا يسلم علي واذا مرضت أن لا يعودني * وقال أبو سفيان الداراني بينما الربيع بن خيثم جالسا على باب داره اذ جاءه حجر فصك وجهه فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فدخل داره فما خرج حتى أخرجت جنازته * وقال يوسف بن أسباط والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال ألك حاجة قال نعم قال ماهي قال لا تراني ولا أراك * وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال اذا مات أحدنا فمن يصحبه الى الآخرة فليصحبه الآن * وقال بعض الحكماء الى أي شئ أفضى بهم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله عز وجل * وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ماتهنأت بالعيش الا ههنا أفريدني من شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس وجمال أو ملاح * وقيل بينما أويس القرني جالس اذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال أويس ما كنت أعرف أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره * وقال فضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلوا بربي واذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهة للقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي * وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة * قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة * وقال ذو النون المصري رضي الله عنه سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه * وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره * وقال ابن المبارك ما أحسن من انقطع الى الله عز وجل * وروى عن بعض الصالحين قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام اذا أنا بعابد خارج من تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل

على يالنظر اليك فقال ياهذا انى أقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا وأهلها فطال فى ذلك تعبى وفنى عمرى فيه فسألت الله عز وجل أن لايجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبى فسكنه الله تعالى عن الاضطراب وأنس الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت أن أوقع فى الامر الاول فالبك عنى ثم نفض يديه وقال اليك عنى يادنيا لغيرى تزينى ولاهلك فغرى ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين باللذة الحلوة وحلاوة الانقطاع ماألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وجمع همهم فى ذكره فلاشئ ألذ عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس وفيه قيل

وأنى لاستغشى ومابى غشوة * لعل خيالا منك يلقى خياليا
واخرج من بين الجلوس لعلنى * أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء انما استوحش الانسان عن نفسه بخلوذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله أو بدوام الفكر التحقق فى معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل مايتعلق بالمخالطة فان عناية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الانسان محبا لله عارفا بالله فلامحبة الابالانس الحاصل بدوام الذكر ولامعرفة الابدوام الفكر وفراغ القلب شرط فى كل واحد منهما ولافراغ مع المخالطة وفى العزلة أيضا فائدة وهى التخلص عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى أربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا وقد روى عن عبدالله بن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام قال سيأتى على الناس زمان لايسلم لذى دين دينه الامن فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذى يروغ قيل ومتى ذلك يارسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصى الله * فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فان لم يكن له فعلى يد قرابته قالوا وكيف ذلك يارسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف مالايطيق حتى يورد موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لايستغنى المتأهل عن المعيشة

والمخالطة ثم لا تنال المعيشة الا بمعصية الله * قال الغزالى فى الاحياء ولست أقول هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بامصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثورى والله لقد حلت العزلة * وقال سفيان بن عيينة قال لى سفيان الثورى فى اليقظة فى حياته وفى المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا أحسب أنى رأيت ما أكره الا ممن عرفت * وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان أسلب دينى ولا أشعر وهذا اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء * وقال أبو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم مار كبوا ظهر بعير الا دبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه * وقال بعضهم اقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عليك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع * وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف * حكى عن بعضهم قال كنا بالمدينة نتكلم فى بعض الاوقات فى آيات الله المنعم بها على أوليائه وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع ما نقول فتقدم وقال أنست بكلامكم اعلموا انه كان لى عيال وأطفال فخرجت الى البقيع أحتطب فرأيت شابا عليه قميص كتان ونعله فى أصبعيه فتوهمت انه تائه فقصدت ان أسلبه ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال مر فى حفظ الله * فقلت له الثانية والثالثة فقال ولا بد فأشار بأصبعه الى عينى فسقطتا فقلت بالله عليك من أنت قال أنا ابراهيم الخواص ومناسبة هذه الحكاية ان الانسان اذا اعتزل الناس وصدق فى عزلته أكرمه الله مثل هذه الكرامة قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا ان يعتريهم وان ينزل العذاب بأولئك الاقوام فلا يسلمون منه فرأوا ان مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء فى نعيمهم وقرأ ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله فى النبوة من السر لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع يمر باحدهم فينادبها فتجيبه ويسألها أين أموت فتخبره وليس بنبى * وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام أحدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون

فجعلوا يردون عليه ولا يرتدعون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم انى نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى وقاتلتهم فقاتلونى ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم انى قد نهيتهم فلم يطيعونى فسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لقاتلونى ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم انى نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم غلبونى ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم انى لو نهيتهم عصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم غلبونى قال ابن مسعود كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله * وحكى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه قال وقع لى تردد فى بدايتى بين الانقطاع فى البرارى والقفار والرجوع الى العمران والديار ومحبة العلماء فوصف لى ولى فى رأس جبل فقصدته فوصلت اليه بعد ما أمسيت فقلت ما أدخل عليه فى هذا الليل الى الصبح فبت على باب المغارة فسمعته يقول من داخل اللهم أن أناسا من عبادك سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم لهم فرضوا منك بذلك وانى أسألك أن تنفرعنى خلقك حتى لا يكون الى ملجأ الا اليك فقلت اسمعى يا نفس من أى بحر يغترف هذا الشيخ فلما أصبحت دخلت عليه فسلمت عليه وملئت منه رعبا وقلت له سيدى كيف حالك فقال أشكو الى الله تعالى من برد القضاء والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت له يا سيدى أما حر التدبير والاختيار فانا أعرفه وأنا فيه الآن فما برد القضاء والتسليم ولم تشكو ذلك فقال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عنه فقلت يا سيدى سمعتك تقول اللهم ان أناسا من عبادك سألوك وذكر ما تقدم فتبسم وقال يا بنى عوض ما تقول سخر لى قل كن لى أترى من كان له لا يحتاج الى شئ آخر فما هذه الجناية رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين * فانظر يا أخى فوائد العزلة وثمراتها وكيف كلام الاخيار فيها والحث عليها * واعلم أن العزلة اذا لم تكن مصحوبة بأنواع الطاعات والقربات فقد خابت عزلته كما قال مالك بن دينار من لم يجالس النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فقد خابت عزلته فقيل له كيف يجالسهم فقال يدرس القرآن بتدبر وينظر فى أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعال أصحابه وأقوالهم فمن فعل ذلك فقد حادث الله تعالى وحادث رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم * ولما اعتزل داود الطائى لامه أصحابه فى ذلك فقال انما اعتزلت حين رأيت الصغير لا يوقر الكبير ورأيت

الكبير يحصى على عيوبى ليحجونى بها حال سخطه على فكان بعدى عنه أولى * ومن جملة العزلة الجميلة انك اذا خرجت لحاجة أن تضع على رأسك شيأ تتلفع به مثل الشال أو الطيلسان حتى لا يقع بصرك على منكر لا تقدر على تغييره ولا على شئ يشغل قلبك عن ربك كالنظر الى ما لا يحل النظر اليه من وجه صبيح من أمرد أو امرأة أجنبية فتخسر مع الخاسرين وكذلك تقصد المشى فى المواضع القليلة الناس حتى ترجع وكان لعمر بن عبد العزيز ولد اسمه عبد الله لا يخرج من السرداب الذى يجلس فيه الا فى أوقات الصلاة قالوا ولعله القبر الذى كان والده حفره له أيام ولايته كان ينزله من بعد العشاء فلا يزال يصلى ويبكى الى الصباح وكان الفضيل ابن عياض يقول انما طلبوا العزلة والوحدة لانها تورث الانتباه من رقدة الغفلة وتورث كثرة مراقبة الله بالغيب وكان يقول اذا استطعت أن تمشى للناس ولا يمشوا اليك وتسألهم ولا يسألونك فافعل وكان يقول ما أحب عبد ربه الا أحب أن لا يشعر أحد به * قال ابن عطاء الله فى الحكم ما نفع القلب مثل عزلة يدخل فيها ميدان فكره * وفى شرحها للمناوى أوحى الله تعالى الى موسى يا ابن عمران كن يقظانا وارتضى لنفسك اخوانا وكل أخ أو صاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو * وقال الجنيد قال لى المصطفى صلى الله عليه وسلم فى النوم أن استطعت أن لا تعرف ولا تعرف فافعل * وقال ابن العربى قال لى شيخى سد الباب واقطع الاسباب وجالس الوهاب ليكلمك بغير حجاب (تنبيه) قال بعض الكاملين الخلوة أخص من العزلة وهى بوجوهها وصورها نوع من الاعتكاف لكن لا بالمسجد وربما كانت به وأكثرها عند القوم لا حد له لكن السنة تشير للاربعين كمواعيد موسى * وفى الحديث من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والقصد فى الحقيقة الى الثلاثين اذ هى أصل المواعيد وجاور المصطفى صلى الله عليه وسلم بحرا شهرا كما فى مسلم وغيره للكامل زيادة فى حاله ولغيره ترقيه ولا بد من أصل يرجع اليه والقصد بها تطهير القلب من أدناس المخالفة وافراد القلب بذكر واحد وحقيقة واحدة لكنها بلا شيخ خطرة ولها فتوح عظيم وقد لا تصلح لقوم فليعتبر كل أحد بها * قال الخضرمى من الناس قسم اذا عمل الخلوة لا يصلح له شئ واذا ترك نفسه مع ما هو به فتح له مع ذلك من قوة الباطن وذلك لان نفس العارف تأخذ من كل شئ بحسبه فاذا أوقفت على شئ

واحد تقيد * قال التونسي وكل قلب اشتغل بحالة من الحالات أو مقام من المقامات فهو محجوب عن الرقي لما فوقه سواء وقف السالك أو سار أو هرول أو طار مالم يحط رجل راحلته بباب الفناء المبلغ كنه المنى * واعلم أن العارف اذا فنى في الله حتى صار الحق له سمعا وبصرا ويدا ورجلا كما أشير اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث فان هذه الخلطة خير له من العزلة لانه ملك دواعي نفسه واستغرقه الله في حضرة قدسه فلسانه ترجمان الحضرة الالهية لا ينطق الا بالفتوحات الربانية فهذا الذي نظره اكسير وهو في خلطة على خير كثير وهو الذي أشار اليه الشيخ رضي الله عنه بقوله ﴿ والخلطة للمنتهي زيادة في يقينه ﴾ لانه يستمد من سائر الكائنات فكل ذرة من ذرات الوجود يشاهد فيها الواحد المعبود وفي كل شئ له آية تدل على انه الواحد على أن الخلطة اذا سلمت من الآفات كان في طيها سديد الخيرات فان الانسان بالخلطة يتأتى له عيادة المرضى وتشييع الجنائز وصلة الارحام ومواساة ذي الاعدام واغاثة اللهفان وزيارة الاخوان وصحبة الاخيار وارشاد الخلق الى الحق الذي هو منصب النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام * قال بعض العارفين والحق انه لا بد للناس من الناس فربما أنقذ مهجة من التلف فحصل له من الله عما فاته في وحدته الخلف سيما اذا كان عالما عارفا بالله تعالى وبصفاته سالكا للطريق على يد عارف مسلك فان هذا خلطته خير له من عزلته لان النفع المتعدى أفضل من النفع القاصر فلان يهدى الله على يديه أحدا خير له من حمر النعم * والحاصل ان القوم اختلفوا هل العزلة والتخلي للعبادة والطاعة أفضل أو الخلطة أفضل فالذي ذهب اليه جمهور الصوفية كابراهيم ابن أدهم وفضيل بن عياض وداود الطائي وسليمان الخواص ومن ذكرناهم سابقا في فضل العزلة ترجيح العزلة على الاختلاط وانكروا الصحبة والائتلاف كما ذكرنا واستدلوا على ذلك بما ذكرناه ولما في العزلة من خمول النفس والاعراض عن الدنيا وهو أول طريق الصدق والاخلاص ويهيج من حب الخلوة الانس بالله تعالى وقلة الخلف في المواعيد وكثرة القوة في كظم الغيظ والقنوع والتوكل والرضا بالكفاف وسقوط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخلاص عن مداهنة الناس ومراياتهم وغير ذلك مما ذكرناه * وذهب جماعة الى ترجيح الصحبة

والخلطة

والخلطة على العزلة ورغبوا في الخلطة والاخوة في الله تعالى ورأوا أن الله تعالى من على أهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال سبحانه فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم * وورد في الخبر ان أحبكم الى الله تعالى الذين يألفون ويؤلفون * وقال أبو يعقوب السوسي الانفراد لا يقوى عليه الا الاقوياء ولامثالنا الاجتماع أنفع يعمل بعضهم على رؤية بعض * وقال أبو عثمان المغربي الخلوة والسماع لا يصلحان الا لعالم رباني وممن اختار الصحبة والاخوة في الله سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما من أكابر السلف قالوا ومن فوائد الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ويكسب الانسان منها علم الحوادث والعوارض ويتصلب الباطن برزين العلم ويتمكن الصدق بطروق هبوب الآفات ثم التخلص منها بالايمان ويقع بالخلطة التعاضد والتعاون ويتقوى جنود القلب وتستريح الارواح بالالتئام وتتفق في التوجه الى الرفيق الاعلى ويصير مثالها في الشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا انفردت قصرت عن بلوغ المرام الى آخر ما ذكر في كتب القوم وقد وفق الشيخ المصنف رضي الله عنه بينهما بأن العزلة المحمودة في الشريعة محمودة على حال المبتدي فانها أسلم وأنفع وأعظم تأثيرا والخلطة التي وردت الآيات والاخبار في مدحها أولى بالمنتهي كما ذكرنا لكن الخلطة مع الخلق وان كان نفعها عظيم وبرها جسيم تحتاج الى آداب كثيرة * فلهذا قال رضي الله عنه ﴿ الادب مع الخلق راجع الى الحق ﴾ لان الله تعالى أمرنا بالادب معهم سيما اذا كان الباعث على الادب معهم نسبتهم الى حضرة الحق سبحانه وتعالى بالعبودية والملكية فان ذلك أدب معه تعالى * وحقيقة الادب اجتماع خصال الخير فالاديب الذي اجتمع فيه خصال الخير ومنه المأدبة لاجتماع أنواع الطعام عليها * والادب ينقسم باعتبار طبقات الناس الى ثلاثة أقسام أدب أهل الدنيا وأدب أهل الدين وأدب أهل الخصوص * فاما أهل الدنيا فاكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وآثار الملوك وأشعار العرب ونحو ذلك * وأما أدب أهل الدين فاكثره في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات * وأما أهل الخصوص فاكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر وحسن الادب في مواقف الطلب وأوقات

الحضور ومقامات القرب وهذا أدبهم مع الله تعالى وكمال الادب لا يوصفوا
للانبياء والصديقين كما قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قيل معناه حفظ
آداب الحضرة * وأما الادب مع الخلق فعبارة عن معاشرتهم بالنصح لهم كافة وان
يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ويحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويميط الاذى عن
ظاهرهم وأعمالهم بالموعظة والزجر ولا يذكر أحدا بما يكره فان الله ملكا وكل
بالعبد يرد عليه ما يقول لصاحبه ولا يستبشر بمكروه أحد من الناس كائنا من كان
قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى
بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى وليتودد الى الناس بالاحسان الى برهم وفاجرهم
والى من هو أهل والى من ليس بأهل له * ومن الادب معهم ان يتحمل الاذى منهم
ويجعل من شتمه أو جفاه أو آذاه في حل منه ولا يطمع في السلامة من آذاهم فان الله
تعالى لم يقطع لسان الخلق عن نفسه فأنى يسلم خلق من مخلوق مثله فقد روى ان
موسى عليه السلام قال الهي أسألك ان لا يقال لي ما ليس في فأوحى الله تعالى اليه
ما فعلت ذلك لنفسي فكيف أفعل لك ويتحمل ثقل الناس ومؤنهم طوعا واختيارا
شكرا لنعم الله تعالى عليه ويسعى في قضاء حوائجهم ففي الحديث من سعى في
حاجة لاخيه المسلم لله تعالى فيها رضاه وله فيها صلاح فكأنما خدم الله تعالى ألف
سنة لم يقع في معصية طرفة عين * ومن الادب معهم ان ييسر على معسرهم وينفس
على مكروبهم فان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه المسلم وفي الحديث
ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على قلب أخيك المسلم ويتشفع للجاني الى
المجني عليه ويسعى في اصلاح ذات البين ولو بزيادة كلمة فانه من أفضل الصدقة
قال عليه الصلاة والسلام أفضل الصدقة اصلاح ذات البين وقال عليه السلام
اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وقد قال
عليه السلام ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا وكذلك من جملة الادب
معهم ان يذب عن اعراض المسلمين وينصرهم بظاهر الغيب حيث ينتهك
حرماتهم لقوله عليه الصلاة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه المسلم
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة * ومن الادب معهم ان يعفو
عمن ظلمه قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ويحسن لمن أساء
اليه ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويحسن الظن به فان الظن أكذب

الحديث ولا يحسد أحدا على ما أتاه الله تعالى فيتمنى زواله ويحتال لزواله ويتجافى عن ذنب السخى وعن عقوبة ذوى المروءة مالم يكن حدا من حدود الله تعالى وينجز الوعد اذا وعد فان العدة احدى العطيتين وهى عند أهل الله دين وان خلف الوعد من النفاق ولا يتبع عورة أحد بل يسترها ولا يعير أحدا بما يعلم منه فربما يبتلى بمثله ويطلب لزلة أخيه سبعين عذرا فان لم يجد اتهم نفسه ويحمل المسلمين على الامر الرشيد عنده وامثال ذلك كثيرة والكتب فى الادب شهيرة ومن أحل ما ألف فى كتب الادب بقسميه رسالة العارف بالله سيدى على المصرى رضى الله عنه التى يقول فى أولها عليكم بالادب فانه أشرف مكتسب ومنه الفرار من الاعوجاج فى التوبة الى آخر ما ذكره وهى عديمة المثيل فى هذا الباب ومن جملة الادب الجامع لقسميه الادب مع الخلق والادب مع الحق ترك الطمع فيما فى أيدى الناس فلهذا قال المصنف رضى الله عنه ﴿والطمع فى الخلق شك فى الخالق﴾ الطمع عبارة عن انبعاث النفس لما فى أيدى الناس وانما كان شكا لان الانسان لو اعتمد على ضمان الله لرزقه لما طمع فى مخلوق فطمعه دليل على عدم وثوقه بالله فهو شبيه بالشك من حيث تعلق النفس واضطرابها وعدم قرارها على شئ تعتمد عليه وهذا هو الطمع المذموم أما المحمود فهو الطمع فى عفو الله ونيل القرب منه الموجب ذلك للذل والانكسار والافتقار اليه تعالى فاذا علق العبد أطماعه بما عند الله تعالى وقطعها عما سواه فهو القانع صاحب الحياة الطيبة المرادة فى آية فلنحيينه حياة طيبة عند بعض المفسرين وقد ورد فى المذموم منه عدة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه الفقر الحاضر *وعنه صلى الله عليه وسلم عليك بالاياس مما فى أيدى الناس واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع واياك ومايعتذر منه *وعنه صلى الله عليه وسلم الطمع يذهب الحكمة من قلوب الحكماء قال المناوى فى كبيره ولهذا قال كعب الاحبار بحضرة عمر رضى الله عنه مايذهب العلم من قلوب العلماء بعد ان حفظوه وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحاجة الى الناس وقال الوراق لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدور ولو قيل ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك لقال الحرمان وقال بعضهم الطمع حروفه مجوفة فلذا كان صاحبه لا يشبع وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم من نفس لا تشبع وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم فى العلم لا يشبع ومنهوم فى الدنيا لا يشبع

فنهمة صاحب العلم محمودة وكذا طمعه فى الاستكثار منه ونهمة الثانى مذمومة لانها تشغله عن الله تعالى * وقال صلى الله عليه وسلم الصفاء الزلال الذى لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع والصفا بالقصر الحجارة الملس تجمع صفاة كحصا وحصاة ويطلق أيضا على المفرد والزلال بفتح الزاى وتشديد اللام الاولى وانما لم تثبت أقدام العلماء على الطمع لانه يذهب الحكمة من قلوبهم اذ الشيطان رصد لهم فيدعوهم للطمع حتى يشتغلوا عن الله تعالى بالكدورات وطول الغموم فى التدبيرات الى انقضاء أعمالهم على تلك الحال فيكون علمهم عليهم لا لهم * قال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب والطمع فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم وقال الراغب العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فاذا حوا الطبيب الداء الى نفسه فكيف يداوى غيره وقال بعضهم الطمع هو الذى يذل الرقاب ويسود الوجوه ويميت القلب وعلاجه سلوكه طريق القناعة ويحصل بسد باب التوسعات والاقتصار على ما لا بد منه مأكلا وملبسا ومسكنا وغير ذلك * وقال أبو جعفر البغدادى ست خصال لا تحسن بست رجال لا يحسن الطمع فى العلماء ولا العجلة فى الامراء ولا الشح فى الاغنياء ولا الكبر فى الفقراء ولا السفه فى المشايخ ولا اللؤم فى ذوى الاحسان * واعلم ان الطمع من آفات النفوس وصاحبه أبدا فى عكوس قال ابن عطاء الله فى حكمه ما بسقت أغصان ذل الا عن بذر طمع فالطمع يكسف نور الايمان وبالطمع تنكشف قدر همة الانسان وغاية أمره الحرمان والذل والهوان فالعاقل من أفرد ربه بالطلب وأعرض عن الخلق وعن كل سبب هذا هو الحازم على التحقيق الفائز بحظه من التوفيق هذا ومن الناس من يستطيب ركوب الاخطار ولحوق العار والشنار لاجل الطمع فى الدرهم والدينار ويستلذ سف الرماد وطى البلاد ويصبر على نحت الجبال طمعا فى شهوة المبال وربما بدل الايمان بالكفر وحفر الجبال بالظفر طمعا فى الدنانير الصفر ولج ما صنعى الاسود للدراهم البيض والسود * وسئل الحسن البصرى ما فساد الدين فقال الطمع قيل وما صلاحه قال الورع وقال ابن عطاء الله أنت حر ممن أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع وعليه قيل

العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع

ولا يرضى بالعبودية لمخلوق الا أرذل العالم وقيل السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين فمن تفرغ قلبه من الاشياء فقد تحرر ومن طمع فيها فهو فى رقها تقرر

فبالطمع سقط من علو عزه العقاب وتشبك فى حبائل العذاب لاجل قطعة لحم يأخذها بمخلبه فيصيده صبى يلعب به وقيل لو تطهر الطامع فى الخلق بسبعة أبحر ماطهره الا اليأس منهم فعليك برفع الهمة عنهم فقد سبقت قسمته وجودك وماقدر لماضغيك ان يمضغاه فلابد منه فكله بعز ولا تأكله ببذل قيل مر بعض اعوان السلطان على بعض الحكماء يلتقط ماسقط من البقل ليتقوت به فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج لهذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى السلطان وقد وضع تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع الغنى فى القناعة والعز فى الطاعة والذل فى المعصية والحكمة فى خلو الباطن والهيبة فى قيام الليل *واعلم ان من لازم الطمع فى الخلق محبة اطلاع الناس على كمالات الطامع وعباداته ومجاهداته وهذا هو الشرك الخفى الذى لا يشعر به الأرباب القلوب النيرة فلهذا حذر المصنف منه عقب ذلك فقال ﴿واحذر من الشرك الخفى ولو كنت فى الخلوة﴾ *اعلم ان الشرك على قسمين جلى وخفى فالاول هو الموجب للخلود فى النار والعياذ بالله من ذلك وأقسامه كثيرة وأعظمه ان يتخذ مع الله الها آخر *والثانى وهو الشرك الخفى يوجب نقص الايمان ولا يضر فى أصله وانما يحبط العمل الذى قارنه فقط وهذا الشرك لا يكاد يسلم منه أحد الا من عصمه الله تعالى وقد ورد فى بعض الآثار الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل فى الليلة الظلماء وقد قال بعضهم فى تفسير قوله تعالى ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال يؤمنون بالاقرار أن الله وحده لاشريك له ويشركون فى الاعتماد على الاسباب وردالافعال اليها وانما يتحقق المريد الحذر من الشرك الخفى بالاخلاص فى أفعاله كلها وأقواله وحركاته وسكناته وهو كما قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى الاخلاص افراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعات بالقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق واكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب الى الله تعالى ويصح ان يقال الاخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقد ورد خبره مسندا ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عن جبريل عن الله عز وجل انه قال الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى والاخلاص فى الاخلاص أن لا يشاهدوا فى اخلاصهم الاخلاص كما

قال أبو بكر الدقاق نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا أراد الله تعالى أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا ولهذا كان المخلصون على خطر عظيم * وعلامة الاخلاص كما قال ذو النون المصرى ثلاث استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال فى الاعمال واقتضاء ثواب العمل فى الآخرة وقال السرى السقطى رضى الله تعالى عنه من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله عز وجل وانما قال الاستاذ فى حكمته ولو كنت فى الخلوة اشارة الى ان الشرك الخفى لا يختص بأرباب الخلطة بل يعترى أهل الخلوة أيضا لان الشيطان له بالمرصاد وأقل ما يكون شركه محبته لاطلاع الناس على عبادته ومجاهدته فى خلوته وذلك شرك خفى قطعا وهذا كما قال ابن عطاء الله فى حكمه ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الناس اليك فلا بد له من المجاهدة والدأب على تصفية عمله من هذه الشائبة فانها تحبط العمل بحسب مقام العارف قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا * ومن جملة الشرك الخفى فى الخلوة أن يختلى لاعتقاد الناس فيه وتعظيمهم له فان ذلك محبط لعمله بحسب مقامه وقال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلاة فرأيت فى البيت حية فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى فقال ادخل لا يبلغ أحد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شئ يخافه ثم قال هل لك فى صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فاخذ بيدى فما كان الا قليل حتى رأيت المسجد فدخلناه وصلينا ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل * وللاخلاص سر عظيم فى تعمير الباطن والنطق بالحكمة فقد ورد من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكم من قلبه على لسانه وقد ذكر صاحب الرسالة عن يوسف ابن الحسين انه كان يقول أعز شئ فى الدنيا الاخلاص وكم أجتهد فى اسقاط الرياء عن قلبى وهو كانه ينبت فيه وكان أبو سليمان يقول اذا أخلص العبد انقطع عنه الوساوس والرياء ولما كان الاخلاص لا يتأتى الا باصلاح النية قال الشيخ رضى الله عنه ﴿لانه﴾ أى الحال والشان ﴿اذا ما خلصت لك النية فذلك من أكبر المصائب والبلوة﴾ يعنى اذا لم تخلص نيتك فى عملك لله بان تجعله خالصا لوجهه الكريم من سائر الشوائب والاكدار فأنت فى مصيبة وأى مصيبة وبلوة وخيبة فما فى قوله

اذا مانافية على خلاف القاعدة الاكثرية من ان ما بعد اذا زائدة والنية فى العمل هى الركن الاجل اذ لا عمل الا بنية *وقد ورد فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه ولكن يناله النيات منكم وقال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وقال تعالى ربكم أعلم بما فى نفوسكم وقد ورد أحاديث كثيرة فى اصلاح النية أجلها وأعظمها الحديث السابق وعليه مدار كثير من قواعد الفقه حتى قال الامام الشافعى رضى الله عنه يدخل هذا الحديث فى سبعين بابا من الفقه وقال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فيه ثلث العلم وقد ورد فى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو جيش الكعبة حتى اذا كانوا ببيداء من الارض يخسف بأولهم وآخرهم قالت عائشة قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم قال يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم يعنى فيعامل كل بقصده ونيته من الخير والشر وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا يعنى ان المفارقة عن الاوطان المسماة بالهجرة المطلقة انقطعت لكن المفارقة بسبب الجهاد باقية مدى الدهر وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى كطلب العلم والفرار بدينه ونحوه وعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض وفى رواية الا شركوكم فى الاجر *والحاصل ان النية الحسنة عليها مدار العمل للعامل والقاصد والامور بالمقاصد ولا يتأتى للمريد الصادق اخلاص العمل لله من سائر الوجوه والتبرى من الشرك الخفى الا بقطع طمعه من الناس وعدم ملاحظتهم حتى كانهم لديه أموات ولا يتأتى له ذلك الا اذا تردى برداء القناعة وتسربل بسربال اليأس مما فى أيدى الناس فلهذا قال رضى الله تعالى عنه ﴿اقنع بالقليل ان كنت عاقلا﴾ القناعة فى اللغة الرضاء بالقسم وفى

اصطلاح أهل الحقيقة هي السكوت عند عدم الموفات وقيل هي الاكتفاء بالقليل وقيل هي الاستغناء بالموجود وترك التطلع الى المفقود وقال عكرمة وغيره من أئمة اللغة والتفسير في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ان المراد بالحياة الطيبة القناعة وقيل في قوله تعالى لنرزقنهم الله رزقا حسنا انه القناعة وقيل في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت أي البخل والطمع وقوله ويطهركم تطهيرا أي بالسخاء والقناعة وقيل بالسخاء والايثار وقيل في قوله تعالى هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انه أراد بالملك كمال الحال في القناعة وقيل في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم انه القناعة في الدنيا وان الفجار لفي جحيم انه الحرص في الدنيا وقال النبي عليه الصلاة والسلام ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وفي الزبور القانع غني وان كان جائعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى وقال صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقيل الفقراء أموات الا من أحياه الله بعز القناعة وقال بشر الحافي القناعة ملك لا يسكن الا في قلب مؤمن وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا أول الرضاء وهذا أول الزهد وقيل القناعة ما قاله أبو بكر المراغي العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف وقال وهب ان العز والغنى خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا وقيل من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم *واعلم ان القناعة في ذاتها شريفة ممدوحة في الكتاب والسنة وهي في العلماء أشرف كما ورد في بعض الاحاديث الورع حسن وهو في العلماء أحسن لان بالقناعة والتعفف عما في أيدي الناس يحصل لهم العز والشرف وفي عزهم وشرفهم عز العلم والاسلام وشرفهما قال الفضيل بن عياض لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوا العلم حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادلهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام أهله ولكنهم أذلوا

أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيدى الناس فذلوا وهانوا على الناس ولله در القائل

يقولون لى فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أدا قيل هذا مورد قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لى يستفزنى * وما كل أهل الارض أرضاه منعما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى * وأخدم من لاقيت الا لاخدما
أ أغرسه عزا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقال وهب بن منبه لعطاء الخراسانى كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنياهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى علمهم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم قال ذو النون المصرى كان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة فى باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد فى الظاهر والباطن فانظر رحمك الله ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان وما هذا الا لعدم قناعتهم بالموجود وتطلبهم الى المفقود وانتظارهم لما فى أيدى الناس فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * ولقد صدق ابن المبارك حيث قال

وهل أفسد الدين الا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا * ولم تغل فى البيع أثمانها
لقد رتع القوم فى جيفة * يبين لذى العقل انتانها

وروى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه انه أخذ حصاة بيضاء فوضعها فى كفه ثم قال ان الدين قد استضاء كاضاءة هذه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذى نفسى بيده ليجيء أقوام يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل قال بعض العارفين ومنشأ وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم

وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين وانكساف أنوار الايمان فيها وافلاسهم من حقائق ذلك وعدم احتظائهم بشئ منه فصاروا بذلك مأسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم وآرائهم فسدت بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات واذا كانت النيات صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها آثار صالحة وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وجميد أخلاق ويؤذن ذلك وجود القرب من الله تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت النيات فاسدة كانت الاعمال فاسدة أيضا وترتب عليها آثار فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة تقتضى البعد من الله والمقت منه نعوذ بالله تعالى من شر أنفسنا والشيطان * وقيل وضع الله خمسة أشياء فى خمسة مواضع العز فى الطاعة والذل فى المعصية والهيبة فى قيام الليل والحكمة فى البطن الخالى والغنى فى القناعة وكان ابراهيم المارستانى يقول انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال ذو النون المصرى من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقيل من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل وقال الكتانى من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة وقيل من تبعت عيناه ما فى أيدى الناس طال حزنه وأنشدوا

واحسن بالفتى من يوم عار * ينال به الغنى كرم وجوع

وقيل رأى رجل حكيما يأكل ما يتساقط من البقل على رأس ماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقيل لابى يزيد البسطامى بم وصلت الى ما وصلت فقال جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها فى منجنيق الصدق ورميت بها فى بحر اليأس فاسترحت * وحكى عن بعض أصحاب الجنيد قال كنت جالسا عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرة من العجم والمولدين فجاء انسان بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه وقال تفرقها على هؤلاء فقال ألك غيرها فقال نعم لى دنانير كثيرة فقال تريد غير ما تملك فقال نعم فقال الجنيد خذها فانك أحوج اليها منا ولم يقبل تلك الدنانير من الرجل * وورد فى بعض الاحاديث القناعة مال لا ينفد أى لانها تنشأ عن غنى القلب وقوة الايمان وقيل لبعض الحكماء ما القناعة فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقال بعضهم وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخصبهم عيشا أرفضهم

للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط اه فمن قنع أمد بالبركة ظاهرا وباطنا لان الانفاق منها لا ينقطع اذ صاحبها كل ما تعذر عليه شئ قنع بما دونه ورضى فلا يزال غنيا عن الناس ولذلك قال عثمان لابنه يا بني الدنيا بحر عميق غرق فيها أناس كثير فاجعل سفينتك فيه القناعة * واعلم ان القناعة انما تطلب في الامور الدنيوية أما الامور الاخروية كمعرفة الله تعالى وفعل الطاعات فالمطلوب الاكثار من ذلك قال الله تعالى وقل رب زدني علما وقوله ان كنت عاقلا أي زاهدا في الدنيا مقبلا على الآخرة فان العاقل الكامل من كان كذلك ولهذا قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لو أوصى انسان بوصية للعقلاء انما تنصرف للزاهدين في الدنيا * والعقل اطلاقات أحدها الوصف المعنوي الذي يفارق به الانسان سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو المراد بقول بعضهم غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء الثاني العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين أكثر من الواحد وان الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين بقوله في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف بذلك يقال انه غبي غمر جاهل الرابع أن تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا لان اقدامه واحجامه حينئذ يصيران بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذا هو المراد في غالب الاحاديث كما في قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال صلى الله عليه وسلم اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك عز وجل القرب والعزة وعن سعيد بن المسيب ان عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل قالوا فمن أعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن أفضل الناس فقال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروأته وظهرت فصاحته وجادت

كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم ان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا وفي حديث آخر ان العاقل من آمن بالله وصدق برسله وعمل بطاعته وعن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة بعد المرسلين أفضلهم عقلا وأفضل الناس أعقل الناس وعن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون لاهل العقل ودرجة لسائر الناس الذين دونهم وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينما عابد في بني اسرائيل في صومعته اذ أشرف فنظر الى العشب فقال يارب لو كان لك حمار لكنت أعلفه من هذا العشب فهم نبي من الانبياء أن يقتله فاوحى الله تعالى اليه ان دعه فاني لست أعطيه من الجنة الا على قدر عقله وعن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت جبريل ما السودد في الناس قال العقل وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن وعدته العقل وعن الحسن هجران الاحمق قربان عند الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم الصحبة مع العاقل زيادة والصحبة مع الاحمق نقصان في الدنيا وحسرة وندامة عند الموت وخسارة في الآخرة * وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل لا غاية له ولكن من أحل حلال الله وحرم حرام الله سمي عاقلا فان اجتهد بعد ذلك سمي عابدا فان اجتهد بعد ذلك سمي جوادا وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ياعلي اذا اكتسب الناس أنواع البر ليتقربوا بها الى الله تعالى فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلف والقرب والدرجات في الدنيا والآخرة وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ماخلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال ادبر فادبر ثم قال ماخلقت شيأ أحسن منك بك آخذ وبك أعطي قال بعض العارفين معنى قوله اقبل فاقبل ثم قال ادبر فادبر كن آلة وعدة صالحة للمقبل فيكتسب بك السعادة الابدية فصار له آلة صالحة وعدة وعونا له على شأنه وكذلك في المدبر الذي كتب له الشقاوة فكان آلة صالحة له ولسانا أيضا هاد باله الى سيآت الاعمال واقتراف المعاصي الى أن يوصله الى الدرك الاسفل من درجات الجحيم فلهذا قال بك آخذ وبك أعطي فافهم * واعلم ان العقل أول ما يبدو اشراقه عند سن التمييز

ثم لا يزال ينمو ويزداد شيأ فشيأ على التدريج الى أن يتكامل بقرب الاربعين سنة كنور الصبح فان أوائله يخفى حتى يشق ادراكه ثم يأخذ فى الزيادة الى أن يكمل بطلوع الشمس بل سنة الله فى جميع خلقه بالتدريج شيأ فشيأ فان الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ بغتة بل على التدريج وكذلك جميع الصفات وهو متفاوت فى الناس تفاوتا عظيما حتى قيل ألف كألف وواحد كألف ودليل تفاوته اختلافهم فى فهم العلوم وانقسامهم الى بليد لا يفهم الا بعد تعب وذكى يفهم بأدنى اشارة وكامل ينبعث فى نفسه حقائق أمور دون تعلم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الاولياء * وروى ان ابن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العقل وان الملائكة قالت يارب هل خلقت شيأ أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال عز وجل فانى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والاربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم وسقا ومنهم أكثر من ذلك وأما العقل بمعنى استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل الشخص الواحد تتفاوت أحواله وهذا التفاوت تارة تكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض فقد يعجز الشاب عن ترك الزنا فاذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون بتفاوت العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا كان العالم أقدر على ترك المعاصى من العامى لقوة علمه بضررها وقد يكون لتفاوت غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة أشد وكذلك بالمعنى الثالث وهو علم التجارب فان الناس يتفاوتون فيه بكثرة الاصابة وسرعة الادراك والله سبحانه وتعالى أعلم * ولا تهن نفسك ان كنت كاملا لان الله تعالى قد تكفل لك بالرزق وقام به عنك وطلب منك أن تتفرغ لعبادته فاشتغالك بطلب الرزق مع ضمان الله تعالى اياه واهتمامك به وتكالبك على تحصيله دليل على انطماس البصيرة وسعى فى ضلال ووبال وموقع للنفس فى مهانة واذلال قال ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك واجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك قال الله تعالى وكأى من دابة لا تحمل

رزقها الله برزقها واياكم وقد ورد فى بعض الآثار عن الله عز وجل انه قال عبدى أطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى فيما يصلحك * وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه العلم كله فى كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فعليك أيها المريد برفع الهمة عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قاله بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لما ضغيك ان يمضغاه فلابد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تاكله بذل * وهذا معنى كلام الشيخ رضى الله عنه بقوله ﴿ ماقسم لك فهولك ومالم يكن لك ليس لك ﴾ هذا من الشيخ رضى الله تعالى عنه فى قوة التعليل لما تقدم فكانه يقول أرح نفسك من الاهتمام بالمعيشة واقنع منها بالقليل واعتمد على ماقسم الله لك فى الازل فان الرزق مقسوم والاجل محتوم وماقسم لك لا يتعدى لغيرك وماقسم لغيرك لن يصل اليك منه شئ ففوض الامر كله لله ولا تعتمد على سعيك وكدك واجتهادك وجدك قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ومتى غفلت عن هذا الملحظ جهلت قدرك وكنت مدعيا مالیس لك ونازعت ربك فى حكمه ولهذا قال رضى الله عنه ﴿ اياك والدعاوى ولو كنت صادقا ﴾ الدعاوى جمع دعوى كفتوى وفتاوى بكسر الواو وفتحها وهى ان ينسب الانسان الى نفسه أو غيره حكما أو ينفيه عنه سواء كان صادقا فيه أو كاذبا وقد قال العارفون بالله تعالى ان الدعوى تطفئ نور المعرفة اذا كانت بحق وذلك ان فيها شائبة انانية ورؤية نفس على غيره وذلك محض التكبر والترفع على الاقران وفيها خروج عن أصل العبودية ومنازعة لاوصاف الربوبية وقل ان تظهر الدعاوى من أهل الله تعالى الا من مقهور بالحال أو محدث بالنعم كما وقع لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال الحمد لله الذى لم يجعل فوقى أحدا وسئل سيدى اسمعيل السلمى جد سيدى عبد الرحمن السلمى رضى الله تعالى عنهما عن هذه الدعاوى من أين تتولد فقال من الاغترار وتشويش الاسرار وكان يقول الملامتى لا تكون له دعوى قط لانه لا يرى لنفسه شيأ يدعى به وكان سيدى أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز رضى الله عنه يقول أبعد الناس من الله عز وجل من يدعى المعرفة والقرب وأكثرهم اشارة اليه أى الى القرب أمقتهم عنده ومن كلام ذى النون المصرى رضى الله عنه اياك أن تكون للمعرفة مدعيا أو بالزهد محترفا أو بالعبادة متعلقا وفر من كل شئ الى ربك اه وكان سيدى ابراهيم الدسوقى

قدس الله سره يقول ياولدى احذر أن تقول أنا فان الله عز وجل يجز المدعين ولو كنت على عمل الثقلين هبطت أوصاحب منزلة سقطت وكان يقول اياكم والدعاوى الكاذبة فانها تسود الوجه وتعمى البصيرة واياكم ومؤاخاة النساء واطلاق البصر فى رؤيتهن والمشى مع الاحداث فى الطرقات فان هذا كله نفوس وشهوات ومن أحدث فى طريق القوم ماليس فيها فليس هو مؤمنا وكان رضى الله عنه يقول عليك بالعمل واياك وشقشقة اللسان بالكلام فى الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها وقد كان صلى الله عليه وسلم يجوع حتى يشد الحجر على بطنه الشريف وقام حتى تفطرت قدماه ثم تبعه أكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم على ذلك فكان الصديق اذا تهدبشم لكبده رائحة الكبد المشوى وأنفق فى سبيل الله ماله كله وكان عمر شديد العمل والكد حتى رقع دلقه بالجلود ولف رأسه بقطعة حشيش وكان سيدى عثمان يختم القرآن قائما كل ليلة على أقدامه وكان على بن أبى طالب من زهاد الصحابة مع قربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كان علمهم وزهدهم وورعهم فاحكموا الحقيقة والشريعة ولا تفرطوا ان أردتم أن تكونوا ممن يقتدى بكم وماسميت الحقيقة حقيقة الا لكونها تحقق الامور بالاعمال وتنتج الحقائق من بحر الشريعة وكان يقول مادام لسانك يذوق الحرام فلا تطمع ان تذوق شيأ من الحكم والمعارف وكان رضى الله عنه يقول كيف يدعى أحدكم انه مريد لطريق الله وهو ينام وقت الغنائم ووقت فتح الخزائن ووقت نشر العلوم واظهار الرقوم ووقت تجلى الحى القيوم ياكذابون أما تستحون من الدعاوى وهممكم راقدة وعزائمكم خامدة هكذا درج أهل الطريق فالله تعالى يلهم أولادى طريق الفلاح آمين اه وقال سيدى محيى الدين رضى الله عنه فى كتاب العبادلة لولا الدعاوى ماخلقت المهاوى فمن أدعى هوى فيها وان كان صادقا ألاتراه يطالب بالبرهان وقال العارف بالله سيدى مصطفى البكرى الصديقى رضى الله عنه فى حكمه دعاويك دعاويك الى الاعجاب ودلوك شمسك بعد شروقها يؤذن بالحجاب * وقال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فى فتوح الغيب لاتدع حالة القوم ياصاحب الهوى أنت عبد الهوى وهم عبيد المولى أنت رغبت فى الدنيا ورغب القوم فى العقبى أنت ترى الدنيا وهم يرون رب الارض والسماء وأنت أنست بالخلق وأنس القوم بالملك الحق أنت قلبك متعلق بمن فى الارض وقلوب القوم

متعلقة برب العرش أنت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى بل يرون خالق
الاشياء وما ترى فان القوم حصلت لهم النجاة وبقيت أنت مرتهنا بما تشتهى من
الدنيا وتهوى من الهوى فالقوم فنوا عن الخلق والهوى والارادات والمنا فوصلوا
الى الملك الاعلى فأوقفهم على غاية ما رام منهم من الطاعة والحمد والثنا ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء فلازموا ذلك ورابطوا بتوفيق منه وتيسير بلا عنا فصارت
الطاعة لهم روحا وغذا وصارت الدنيا اذ ذاك فى حقهم نعمة وحذا فكانها لهم جنة
المأوى الى آخر ما قاله رضى الله تعالى عنه * وقال سيدى على المصرى رضى الله عنه
فى كشف القناع ومنه أى من الادب الفرار من دعوى علم وذلك لان دعواه لغير
غرض شرعى لا تجوز شرعا ومن كلام سيدى على الخواص اياك ان تقر النفس على
دعوى العلم فمن أقرها على ذلك فقد أقرها على الرياء والفخر ولا يخفى ما فيهما من
المقت والطرد ومن كلام سيدى أفضل الدين من نظر فى علوم السلف الصالح حكم
على نفسه بالجهل ولم تحدثه نفسه قط بانه من العلماء وقد نقل أصحاب الطبقات ان
ابن شاهين صنف ثلاثمائة وثلاثين مؤلفا منها تفسيره للقرآن العظيم فى ألف وستمائة
مجلد وذكروا انه حاسب الحبار فى استجراره منه الحبر للكتاب أو آخر عمره فبلغ نحو
ألفى رطل ونقلوا أيضا ان خزانة كتب المدرسة النظامية حرقت فى حياة نظام الملك
فشق عليه ذلك فقالوا له لا تحزن فان ابن الحداد يملى الكتبة جميع ما حرق من حفظه
فأرسلوا خلفه فأملى جميع ما حرق فى مدة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه
وأصول وغير ذلك ونقلوا أيضا ان الشيخ أبا الحسن الاشعرى ألف تفسيرا ستمائة
مجلد * وحكى الشيخ تقى الدين السبكى ان محمد بن الانبارى كان يحفظ فى كل جمعة عشرة
آلاف ورقة * وحكى أيضا ان الواحدى كان يحفظ من كتب العلم وقر مائة وعشرين
بعيرا قال وكان الليث بن سعد يقول لو كتبت ما فى صدرى ما وسعه مركب قال ومن
الغريب ان محمد بن سينا لامه انسان على عدم حفظه للقرآن الكريم فحفظه كله
فى ليلة ولم يكن سبق له قبل ذلك حفظ سورة منه غير الفاتحة وسورة الاخلاص
والمعوذتين وكان لا يسمع شيأ الا حفظه أول مرة فانظر يا أخى الى عملك مع هذه
العلوم التى أوتيها غيرك من العلماء الذين ذكرناهم ومن لم نذكرهم تجده لا يجىء
قطرة من البحر المحيط وهناك تحكم على نفسك بالجهل * ثم قال * ومن الادب الفرار
من دعوى مقام قبل بلوغه وبعد بلوغه * وذلك لان دعواه قبل بلوغه يكون كذبا

وبعد بلوغه ولم يؤذن لصاحبه فى اظهاره يكون رياء ومن أصول طريقهم انهم لا ينطقون الا بما شاهدوه ولا يتكلمون أبدا عما لم يذوقوه * ومن كلام سيدى على الخواص اياكم ان تبادروا الدعوى مقام لم تبلغوه فتقعوا فى الكذب والرياء والنفاق وحرمان ذلك المقام بعد ذلك وانظروا الى النبات لما عدم روح التصريف بالحركة الحيوانية وطلب التشبه بالحيوان حين قام على ساقه طالبا للانفصال عن رتبته كيف عوقب بالحصاد والدوس بحوافر البهائم الى أن صار كالتراب تحت الاقدام فما ساوى صعوده هبوطه وهكذا يكون سياط القدرة على أهل الدعاوى * قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه الانوار القدسية فى آداب العبودية قال ومن شأن العارف ان يحذر من الالفاظ التى ظاهرها الدعوى والتزكية للنفس كقوله نحن ما بقينا ناس الا من حين اجتمعنا بالشيخ الفلانى وكقوله الكشف انما يقع للناقصين والكاملين لا كشف لهم موهما للحاضرين انه كامل حيث لم يقع له كشف على شئ أو كشف ولم يصادف الواقع كما يقع ذلك كثيرا للناقصين لانهم يكشف لهم عن الامر فيتكلمون به فيقع بخلاف ذلك وهم صادقون فيما أخبروا به لكن المحو والاثبات واقع ليلا ونهارا والحق لا يتقيد عليه فيما يفعل فهم يظنون الامر باق على ما شهدوه رضى الله عنهم أجمعين فلهذا كان من الادب السكوت على ما يكشف لهم ولا يبرزونه الى الوجود حتى يبرزه الله تعالى فان وافق كان والا كانوا قد لزموا الادب مع الله تعالى وبالجملة فأهل الكشف عزيز فى الوجود لان العارفين أجمعوا على ان من لم يكن مأكله حلالا لا يعرف الفرق بين الخواطر وهذا عزيز فكيف بالكشف اه وقال رضى الله عنه فى كتاب المنن ومما من الله تعالى به على معرفتى بأهل الدعاوى الصادقة والكاذبة وذلك بعلامات يلهمها الله تعالى لى حتى تصير عندى كالعلم الضرورى وقد دخل شريف نحيف البدن بعمامة وله لثام فكلمنى فى علوم لا يعرفها الا المهدى عليه السلام وأخبرنى انه هو وانه قرب ظهوره فلم احتفل بأمره فقال لى ما عندك تصديق فقلت لا مع انه شاب مهيب المنظر حسن السمت فقلت له صوتك ليس هو صوت شريف والمهدى شريف بيقين فكشف اللثام عن وجهه وقال صدقت وقد امتحنت خلقا كثيرا فى المغرب فصدقونى انى المهدى الاكبر وصاروا يقولون قد خرج المهدى فقلت له فما حملك على ذلك فقال ليكون المهدى على بالهم فانه قد قرب ظهوره ومرادى بقولى أنا

المهدى لأن الله تعالى قد هدانى الى دين الاسلام اه وقد حكى الشيخ عبد العزيز المنوفى رحمه الله تعالى انه ورد فى زمان الملك الكامل فقير جميل الصورة وله علوم ظاهرة وباطنة وهو شريف وكان له أحوال جليلة وصنف كتابا ذكر فيه انه المهدى فوصل الى السلطان فقال له الملك الكامل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر ان المهدى يخرج من بين الصفا والمروة ويبايع الناس له عند الحجر الاسود فقال للسلطان أنت جاهل انما أراد صلى الله عليه وسلم بالصفا والمروة العلماء والفقراء يخرج من بين هؤلاء رجل هو المهدى وأنا ذلك الرجل وليس مراده بالصفا والمروة الطوب والحجارة فلم يشوش عليه السلطان بل أمر بتجهيزه الى المغرب فجهزوه قال الشيخ عبد العزيز فاستخبرت عنه بعض أهل المغرب فقال رأينا رأسه معلقة على باب مراكش * قال الشيخ عبد العزيز وبلغنى ان ابن تومرت لما ادعى انه المهدى اهتدى على يديه خلق كثير وانه مر على قوم ينكرون دين الاسلام والبعث فعمل حيلة وأعطى جماعة مالا جزيلا وانهم يدخلون فى القبور ويسقفونها عليهم ففعلوا ثم صار يأتى بهؤلاء المنكرين جماعة بعد جماعة وينادى أهل تلك القبور أما وجدتم دين الاسلام حقا أما جاءكم منكر ونكير فيقولون نعم وجدنا ذلك حقا اه وهذا الامر لم يقع بأرض المغرب لكنى بحمد الله اجتمعت بالشيخ حسن العراقى المدفون فوق الكوم المطل على بركة الرطلى بمصر وذكر لى انه اجتمع بالامام المهدى الحق بعد مواظبته على سؤال ربه ان يجمعه به سنة كاملة وقال لى ان وجهه يشبه وجه جده صلى الله عليه وسلم لكن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلى وأملح وقال لى سألته عن عمره فقال لى ستمائة سنة وشئ وان له بعد مفارقته الى الآن مائة سنة وهو من ولد الحسن العسكرى هكذا أخبرنى عنه والله أعلم بحقيقة الحال فانى لم أجتمع به حتى أعرفه والحمد لله رب العالمين اه فعلم مما تقرر شؤم الدعوى ومافيها من القبائح فاللائق بمقام العبد حينئذ اظهار العجز والضعف فى سائر أحواله ولهذا قال الشيخ رضى الله تعالى عنه ﴿ عليك باظهار العجز ان كنت صادقا ﴾ مراده رضى الله تعالى عنه بالعجز التردى برداء العبودية وعدم الترفع على الاقران وترك التميز والالتحاق فى المراسم والهيئة بالعوام فان ذلك أولى بالعبد بل هو الصدق المحض * وهذه هى طريقة الصحابة والتابعين وهى طريقة سهلة نافعة لعامة المسلمين لان كل الخلق لا يخرجون عنها من أعلى وأدنى لما فيها من

الذل الذى هو وصفهم ومن خرج عنها انما هو دعوى لا حقيقة لها كمن ادعى الالوهية من العبيد * واعلم ان سبب تعدى العبد عن حدوده كونه خلق على الصورة وهو تعالى له العظمة والعزة والكبرياء فسرت هذه الاحكام فى العبد تحقيقا للواقع والكامل من العبيد هو الذى لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية لما يعرف من نفسه من العجز والضعف والافتقار الى أدنى الاشياء والتألم من قرصة برغوث هذا يدركه كل انسان من نفسه ذوقا فليحذر العبد من رؤية نفسه على أحد من رعيته ولو عبده الذى فى رقه لانه ربما يكون عند الله تعالى أحسن حالا منه كما ورد فى الحديث وليحذر من قوله له تجعل رأسك برأسى أو مثلك بمثلى أو غير ذلك فان هذا كله دليل على الجهل والغباوة والكبر والله لا يحب المتكبرين * واعلم ان هذه الطريقة لا يحتاج سالكها الى مراجعة شيخ فى الغالب لانه لا يقف مع كشف ولا منام ولا خاطر ولا غيرهما مما يحتاج اليها فقهاء الصوفية فان تشوفت نفس العارف الى اظهار ما منحه الله اياه من الاسرار فليفض على أبناء جنسه ما أفيض على قلبه من الانوار ﴿ فالسر لا يخفى ﴾ فى قوة التعليل لما سبق ولا يخفى حسن موقعه فان من أسر سريرة حسنة ألبسه الله رداءها كما فى الحديث وأظهر الله له من الثناء الحسن وحب الخلق واقبالهم عليه فوق ما عنده وان كتم ذلك غاية الكتمان فان كل اناء بما فيه ينضح ولسان الحال أفصح من المقال وأوضح ﴿ ونور الحق لا يطفى ﴾ قال الله تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فصاحب السر اذا نطق سبق نوره كلامه ولاحت عليه لوائح العرفان واكتسى كلامه اشراقا من قلبه فلا يحتاج الى ان ينطق عما فى باطنه من الانوار

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

قال العارف بالله سيدى ابن عطاء الله الاسكندرانى رضى الله تعالى عنه فى حكمه تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير * وأنوار العارفين هى أنوار معرفتهم التى هى عبارة عن قوة يقينهم بأن الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم باذن الله تعالى سبقت أنوار قلوبهم كلامهم فيتكلمون بكلام مشرق له حسن موقع فى القلوب وحسن تأثير * فلهذا قال رضى الله عنه كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى برز منه وقال

فى موضع آخر لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها فى قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه اه ولهذا قال رضى الله عنه ﴿ واصدق فى الطلب ﴾ أمر من صدق يصدق بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع وبابه نصر والصادق الاسم اللازم من الصدق والصديق المبالغة منه وهو كثير الصدق الذى الصدق غالبه كالسكير والخمير وبابه * وأقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق فى أقواله والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله * قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم * قال لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا * وقال الاستاذ الصدق عماد الامر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالى درجة النبوة قال تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية * وقال أحمد بن حضرويه من أراد ان يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله تعالى قال ان الله مع الصادقين وقيل فى تفسير الصدق انه النطق بالحق فى مواطن الهلكة وقيل الصدق موافقة السر النطق * وقال بعضهم الصدق منع الحرام من الشدق * وقال عبد الواحد الصدق الوفاء لله بالعمل * وقال القشيرى فى الرسالة بسنده الى سهل بن عبد الله يقول لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره * وقال أبو سعيد القرشى الصادق الذى يتهيأ له أن يموت ولا يستحى من سره لو كشف قال تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقد استعمل الصوفية الصدق فى الاقوال والافعال بمعنى استواء السر والعلانية والظاهر والباطن بأن لا تكذب أحوال العبد أعماله ولا أعماله أحواله وجعلوا الاخلاص لازما أعم فقالوا كل صادق مخلص وليس كل مخلص صادقا وفى شرح رسالة القشيرى للشيخ زكريا سئل الجنيد أهما واحد أم بينهما فرق فقال بينهما فرق الصدق أصل والاخلاص فرع والصدق أصل كل شئ والاخلاص لا يكون الا بعد الدخول فى الاعمال والاعمال لا تكون مقبولة الا بهما اه * وفى الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان

الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه * وعن أبي محمد الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الصدق طمانينة وان الكذب ريبة وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل قال هرقل فماذا يأمركم يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان قلت يقول اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيأ واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والصلة * وعن خالد بن حزام رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما متفق عليه * وقال في الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول كان أبو علي الثقفي يتكلم يوما فقال له عبد الله بن المبارك يا أبا علي استعد للموت فلا بد منه فقال أبو علي وأنت يا عبد الله استعد للموت فلا بد منه فتوسد عبد الله ذراعه ووضع رأسه وقال قدمت فانقطع أبو علي لانه لا يمكنه أن يقابله بما فعل لانه كان لابي علي علاقات وكان عبد الله مجرد الاشغل له سمعت الشيخ أبا العباس السلمي يقول كان أبو العباس الدنيوري يتكلم فصاحت عجوز في المجلس صيحة فقال أبو العباس موتي فقامت وخطت خطوات ثم التفتت اليه وقالت قدمت ووقعت ميتة وقال الواسطي الصدق صحة التوحيد مع القصد وقيل نظر عبد الواحد بن زيد الى غلام من أصحابه وقد نحل بدنه فقال يا غلام أتديم الصوم فقال ولا أديم الافطار فقال تديم القيام بالليل فقال ولا أديم النوم فقال فما الذي أنحلك فقال هواي دائم وكتماني دائم عليه فقال عبد الواحد اسكت ما أحوجك فقام الغلام وخطى خطوتين وقال الهي ان كنت صادقا فخذني اليك فخر ميتا * وحكي عن أبي عمرو الزجاجي أنه قال ماتت أمي فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت بابل استقبلني واحد من القيافة وقال ايش معك فقلت في نفسي الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فعدها فاذا هي خمسون دينارا فقال لي خذها فلقد آخذني صدقك ثم نزل عن الدابة فقال اركبها فقلت لا أريد فقال لا بد وألح فركبتها فقال وأنا على أثرك فلما كان العام المستقبل لحق بي ولازمني حتى مات وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول الصادق لا تراه الا في فرض يؤديه أو في نفل يعمل

فيه وسمعته يقول سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت جعفرا الخواص يقول سمعت الجنيد يقول حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه الا الكذب وقيل ثلاثة لا تخطى الصادق الهيبة والحلاوة والملاحة وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وقيل دخل ابراهيم بن دوحة مع ابراهيم بن ستنبة البادية فقال ابراهيم بن ستنبة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت كل شئ الا دينارا فقال لي لا تشغل سري اطرح ما معك * قال فطرحت الدينار فقال ابراهيم اطرح ما معك من العلائق فتذكرت أن معي شئوعا للنعل فطرحتها فما احتجت في الطريق الى شئ وجدته بين يدي فقال ابن ستنبة هكذا من عامل الله تعالى بالصدق * وقال ذو النون الصدق سيف الله ما وضع على شئ الا قطعه * وقال سهل بن عبد الله أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وسئل فتح الموصلي عن الصدق فادخل يده في كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق * وقال يوسف بن أسباط لان أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب الي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله وسمعت الاستاذ أبا علي يقول الصدق أن تكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكون وسئل الحارث المحاسبي عن علامة الصدق فقال الصادق هو الذي لا يبالي ولو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل اصلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين * وقال بعضهم من لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض الموقت قيل ما الفرض الدائم قال الصدق وقيل اذا طلبت الله عز وجل بالصدق أعطاك مرآة تبصر بها كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة وقيل عليك بالصدق بحيث تخاف انه يضرك فانه ينفعك ودع الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك وقيل كل شئ شئ ومصادقة الكذاب لا شئ وقيل علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف * وروى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني اذا أحببت عبدا ابتليته ببلاء

لا يقوم الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جذوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم أبال اه فكتمان المصائب من علامات الصدق وكذلك الصبر على تحمل اذاء الخلق والتجاوز عن جهلهم اذا جهلوا عليك ولهذا قال رضي الله عنه ﴿ ولا تصغ الى ألسن العباد فانجا منها أحد حتى سيد الاسياد ﴾ يعني الحق سبحانه وتعالى فقد نسبوا له الولد والشريك والصاحبة والنظير أو الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نسبوه صلى الله عليه وسلم الى السحر والشعر ورموه بالجنون ونوع القول في حقه صلى الله عليه وسلم الى أنواع وفنون وقد قتل بنو اسرائيل كثيرا من أنبياهم كما قال تعالى ويقتلون الانبياء بغير حق وما جاء نبي من الانبياء ولا رسول من الرسل الى قوم بشرع الا وقوبل بالاذى والضرر فصبروا على ما اوذوا فكانت لهم العاقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم أشدكم بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ومنشأ ذلك كله الحسد فان حسد الحاسدين بقدر نعمة الله على عبيده وكلما كثرت نعمة الله على العباد سلط الله عليهم الالسنة الحداد فان من أبرز تاليفا مثلا واطلع غيره عليه من أهل عصره ورأى انه لا يمكنه الاتيان بمثله اشتعلت فيه نار الحسد فلم يجد له سبيلا الا التصدي للطعن فيه وذمه وتنقيصه لينفر الناس حتى لا يتميز عليه بذلك وحتى لا يتميز على غيره وهم عن الآخرة غافلون وعن عقاب الله معرضون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وما يضيع الله حقا لاحد أما علموا ان المصطفى عليه الصلاة والسلام قال ان الله تعالى عند لسان كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد لكن هذه سنة الله في الذين خلوا من قبل ألا ترى ان حجة الاسلام الغزالي لما أبرز كتاب الاحياء ثاروا عليه وبالغوا في ايذائه حتى بالغ بعض المخذولين وأفتى بوجوب احراقه وجمع سلطان المغرب يوسف بن تاشفين ما في بلاده من نسخه وحرقها * وقال ابن الجوزي هذا رجل طوى بساط الشريعة ولما ألف الحريري المقامات حسدوه وقالوا للسلطان انه سرقها فأحضرها وقال له هذه خمسون مقامة فان كانت من انشائك فزدها واحدة والا عاقبتك وحبسه ومنع كل أحد من الدخول عليه فزادها واحدة في ليلته ولما ألف التاج السبكي جمع الجوامع وكان بالشام فحسدوه ووشى به أهل مصر ورموه عند السلطان بعدة كبائر حتى أحضره على البريد في القيد والزند فبرأه الله مما قالوا وأطلقه وألبسه خلعة ولما ألف الحافظ بن

مغلطاى ٣ حسدوه وقالوا للسلطان هذا كله خطا فنادى فى سوق الكتبيين ان من اشترى الكتاب أو باعه شنق ولما ألف الامام الرازى التفسير قال حاسدوه فيه كل شئ الا التفسير ولما ألف البقاعى المناسبات ثاروا عليه ورموه بالكفر وقالوا هو ينقل من التوراة والانجيل وذلك لا يجوز وأفتى جماعة بوجوب اعدامه وأمر السلطان باحراقه وضرب مؤلفه ونفيه فكتب شيخ الاسلام قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى عليه بحسن صنيعه وبالغ فى تعظيمه فكفوا عنه ولما ألف الجلال السيوطى ما ألف قال السخاوى ما الذى فعله جلال الدين احتوى على المدرسة المحمودية وغير منها ما بين دياجة وورقة ونسبها لنفسه ولما ألف رسالة اسبال الكساء على النساء ووقف عليها الشمس الجوهرى قال قد غلط جلال الدين ثلاث غلطات فى هذه الثلاث ورقات * وقال الشيخ الرملى عن أبيه لما ادعى الشيخ جلال الدين تلك الدعوى العريضة وأبرز مؤلفاته قام عليه معاصروه وأذوه فكانت تأليفه يطاف بها للبيع بسعر الورق الابيض فلا يرغب فيها أحد ولا يشتريها وكان الداودى يميل للشيخ ويعتقد كماله ويكتب مؤلفاته سرا فاطلع عليه المجاورون فضربوه وأخرجوه من الجامع الى هنا كلام الشيخ وما الحامل على ذلك كله الا الحسد ومازال الناس هكذا من قديم وقد اقتضت الحكمة الالهية أن يسلط الله على خواص خلقه الاعداء والحساد حتى لا تركن قلوبهم لغير الله تعالى وليدوم افتقارهم وضراعتهم اليه ولا يشغلهم القدح بما أتوا عن ذلك وللصوفية من هذا البلاء الحظ الاوفر ولما اختصر ابن أبى حمزة البخارى وشرحه وعرض فيه انه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظه قاموا عليه وعقدوا له مجلسا والزم بالجلوس فى بيته فلزمه فلم يخرج الا للجمعة حتى مات ولما ألف الحكيم الترمذى نوادر الاصول وختم الاولياء وعلل الشريعة ثاروا عليه ورموه بالعظائم وبطشوا به بجمع كتبه كلها وألقاها فى البحر فاستمرت فيه سنين ثم لفظها على حالها فانتفع الناس بها وثاروا على البوشنجى ونفوه من بلده فسكن نيسابور الى ان مات وأفتوا بتكفير أبى الحسن الخراز بمواضع التقطوها من كتبه ونفوه من بلده وشهدوا على الشبلى بالكفر مرارا مع كمال علمه وكثرة مجاهداته وزهده واتباعه للسنة وشهد عليه آخرون بالجنون وادخل البيمارستان ثم نفوه الى ان مات وقام أهل المغرب على الامام أبى بكر الطرطوشى مع علمه وزهده وورعه وتمسكه بالسنة وأمره بالمعروف

ونهيه عن المنكر فأخرجوه من بلاد المغرب بالقيد والزند الى مصر وشهدوا عليه
عند السلطان بكلمات من كلام القوم فاقرها وأصرها فأمر بسلخه حيا منكوسا
ففعل بذلك فصار وهو كذلك يقرأ القرآن وأنكروا على أبي القاسم النصراباذي مع
علمه وصلاحه وزهده واستقامة طريقه واتباعه للسنة ونفوه الى مكة فلم يزل بها حتى
مات وقاموا على أبي عبد الله السجزي صاحب الفوائد الحديثية وأخرجوه ونفوه
وقاموا على ابن سمعون الواعظ وأذوه وضربوه ومنعوه من الجلوس للوعظ في الجامع
فانقطع في بيته حتى مات فمنعوا الناس من حضور جنازته مع كماله وجلالته
وطعنوا على أبي القاسم بن جميل ورموه بالعظائم فلم يتزلزل عما هو فيه من الاشتغال
بالفقه والحديث وصيام الدهر والتزهد والتعبد حتى مات وآذوا الامام العارف
شيخ الجماعة أبا الحسن الشاذلي وأخرجوه من بلاد المغرب باتباعه ثم كاتبوا نائب
اسكندريه بانه زنديق فاحذروا منه على أنفسكم وأهل بلدتكم ووشوا به الى السلطان
فحج في جماعته وكان الحج قد انقطع لكثرة القطاع فما رأوا الا خيرا فاعتقده
الناس وعظموه وأجمعوا عليه حينئذ وقتلوا الحلاج والامام أبا القاسم بن قسي
صاحب كتاب خلع النعلين وابن برجان صاحب التفسير المشهور والجرجاني مع
كونهم أئمة يقتدى بهم ولما قام عليهم الحاسدون عجزوا عن ان يثبتوا عليهم ما يوجب
القتل فعملوا الحيلة وقالوا للسلطان انه خطب لابن برجان من نحو مائة وثلاثين
بلدا فامر بقتلهم وقاموا على العفيف التلمساني صاحب التآليف المشهورة وقالوا
هو لحم خنزير في صحن صيني وضربوه ونفوه وعقدوا للشيخ عز الدين بن عبد السلام
عدة مجالس بسبب كلمة قالها في العقائد ولطف الله به وظفره وغيروا السلطان
بيبرس على قاضي القضاة ابن بنت الاعز بعدما كان بينهما من كمال المودة حتى
أمر بشقه ثم أمده بلطفه في حكاية طويلة وكان الشيخ عمارة اليمني متضلعا من الفقه
والحديث وغيرهما فاغروا به السلطان صلاح الدين وقالوا انه هجاك بقصيدة فلم
يتغير السلطان لما كان عليه من مزيد الحلم حتى قالوا انه ينتقص النبي صلى الله عليه
وسلم في شعره ولم يثبت عليه ذلك بل أنكر ان تلك القصيدة التي ذكر ذلك فيها من
نظمه فحسن له القاضي الفاضل قتله فقتله وحسدوا شيخ الاسلام ابن أبي شريف
وانتهزوا الفرصة باغراء السلطان عليه حتى تشوش منه بسبب افتائه بعدم جواز
قتل امرأة ورجل أجنبيين وجدوا في خلوة فهم بالبطش به ثم شنق الرجل والمرأة

على بابه وأمره بالخروج من البلد الى بلده بيت المقدس فوافق ذلك قدوم الخبر بان السلطان سليم قدم الى حلب يريد غزوه فاشتغل بنفسه الى غير ذلك من الوقائع التى لا يمكن حصرها وما يضيع الله حقا لاحد ولا يظلم ربك أحدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * ولما كان من أكبر الصدق فى طلب الحق محاسبة النفس ومناقشتها والتنقير عن عيوبها ومساويها اتبع ذلك بقوله رضى الله عنه ﴿ عد لنفسك الحساب حتى فى الانفاس فبالاولى المطعم والملبس والمنكح والاساس ﴾ اعلم ان محاسبة النفس أصل عظيم من أصول الطريق فمما لا بد منه فى سلوك الطريق محاسبة النفس فى سائر أحوالها وتقلباتها وأطوارها ومراعاة الخواطر مع الاوقات باستشعار الحياء من الله تعالى وملاحظته انه مطلع عليك فبمحاسبة النفس اراحة الملائكة من التعب اذ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فينبغى لكل مؤمن أن يحاسب نفسه على كل فعل قبل القدوم عليه حتى لا يلتبس به الا بعد معرفة حكم الله فيه لان من حاسب نفسه بالدنيا هان عليه حساب الآخرة وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا * فقد كان عمر بن الخطاب يكتب عمل الاسبوع فى صحيفة ويعرضها على نفسه يوم الجمعة فاذا بلغ شيأ لم يجد فيه رضاء الله ضرب نفسه بالدرة وقال فعلت هذا فلما مات وأريد غسله وجد جنبه وظهره مسودا من كثرة الضرب * قال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محيى الدين العربى رضى الله عنه ولقد كان لنا شيخ يقيد حركاته فى نهاره فى كتاب فاذا أمسى جعل صحيفته بين يديه وحاسب نفسه على ما فيها فما كان من خير حمد الله وشكره وما كان بخلاف ذلك ندم واستغفر ولم ينم الا على توبة قال رضى الله عنه وزدت أنا عليه بتقييد الخواطر وقوله حتى فى الانفاس أى فلا تخرجها الا ملتبسة بطاعة من ذكر أو فكر أو عبادة مع مراقبة المولى وحضور القلب معه فكل نفس من الانفاس خرج من غير عبادة فهو عليك لا لك وقوله فبالاولى المطعم والملبس يعنى اذا كانت المحاسبة مطلوبة فى الانفاس الخارجة والصاعدة فمن باب أولى محاسبة النفس على ما تتناوله من المطاعم التى بها قوام البدن ولا يتناول شيأ يدخل جوفه الا بعد أن يكون من الحلال الصافى والاوقع فى الحرام ولا بد فان كل اناء بالذى فيه ينضح ولهذا قال أهل التحقيق ان كمال التوفيق بين الماء والدقيق * ومن كلام القطب الغوث سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه كل مؤمن مكلف

بالتوقف والتفتيش عند حضور ما قسم له فلا يتناوله حتى يشهد له الحكم بالاباحة وكلما ارتفع الفقير درجة وجب عليه التفتيش أكثر وقد كان السلف الصالح لا يأكلون طعاما حتى يفتشوه الى عاشر يد تتداول عليه بالحل فان لم يجدوا الايدى العشرة تداولت عليه بالحل امتنعوا من أكله وطووا حتى يحصل لهم الاضرار وكان ذو النون المصرى يقول من لم يفتش على الرغيفين من الحلال لا يفلح فى طريق الله عز وجل وذهب القوم اذا قدم لهم شئ وشكوا فى حله كان تركه واجبا وكذلك ينبغى الاحتياط فى الملبس بان يستخلصه من الحلال المحض فلا فيه شك ان ترد أعماله كما ورد فى معنى ذلك الاحاديث ومن جملة المحاسبة فى المأكل والملبس عدم الاعتناء بهما والتغالى فى أثمانهما * قال العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى منته ومما من الله على به عدم اهتمامى بشئ من ملابس الدنيا فلا أذهب قط الى سوق الخوخ أو الصوف ولا أجلس فى دكان لاجل ذلك وكذلك لا ادعى قط الى الذهاب الى السوق فى مثل يوم الخميس ويوم الاثنين مثلا بقصد وقوع قطعة رخيصة بل أرسل وكيلى الى السوق أى وقت كان وأعزم عليه أن لا يأتينى بالقماش قط ليعرضه على بل أقول له كل شئ انشرح صدرك له فاشتره لى فان رجع الوكيل الى السوق ثانيا يشاورنى اثقل على من وزن ذلك هروبا من ثقل المنة على لا سيما ان كان ماشيا صائما فى الحر وفى كلام القوم الفقير لباسه ما وجد وقالوا اذا رأيت الفقير فى زية لبق فاعلموا انه عن الاستقامة زلق وفى الحديث ان الله يحب المؤمن المتبذل الذى لا يبالى ما لبس وفى كلام السيد عيسى عليه الصلاة والسلام والله ان لبس المسوح وسف الرماد والنوم على المزابل لكثير على من يموت وكانت ثياب الشعبى رحمه الله تعالى لونها لون التراب وكانوا اذا قالوا له ان ثوبك قد اتسخ يقول ليت قلبى فى القلوب كلون ثوبى فى الثياب اه وقوله والمنكح مصدر ميمى بمعنى النكاح الذى هو الوطء ومحاسبة النفس فيه ايقاعه بنية صالحة من قصد اعفاف النفس والزوجة والولد الصالح الذى يدعو له وفيه تكثير للامة المحمدية والحياء من الله تعالى حال الجماع كما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يضع خرقة على رأسه حياء من الله تعالى أن يراه فى هذه الحالة وقوله والاساس يحتمل أن يكون بالسين وعليه تحصل الموافقة فى السجع بمعنى الاصل يعنى المال الذى يتحصل به هذه الاشياء والمحاسبة فيه ظاهرة بان لا يكسبه الا من حل أو ما قلت

شبهته ويحتمل أن يقرأ بالثاء المثلثة بمعنى أمتعة البيت ولكن تفوت نكتة التسجيع وقوله ﴿لا تقس نفسك بالكمل من الرجال﴾ أى فى ترك المجاهدة بل ينبغى لك المداومة عليها بشرط ان تكون تلك المجاهدة على يد شيخ عارف ناصح فان معرفة الله تعالى لا تحصل غالبا الا بذلك وقد تحصل بالجذب ولكن السالك أكمل لانه سالك ومجذوب فهو أعرف بالطريق وذلك مجذوب فقط وقد مدح الله العالمين فى آيات كثيرة * قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ونحو ذلك من الآيات الواردة فى مدح العمل فان الله تعالى ما أثنى على أحد من عباده فى كتابه ولا على لسان نبيه فى حديثه الا ان كان سبب الثناء عمل من الاعمال فلم يمدحهم الا بأعمالهم مع توليسه لهم فيها وهذه عادة الكريم الجواد أن يعطيك ويثنى عليك كما قال بعض العارفين اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك ﴿ولا بالمجاذيب﴾ أى ولا تقس نفسك بالمجاذيب أيضا فى ترك المجاهدة وكذا يقال فيما سيأتى والمجاذيب جمع مجذوب وهو من صادفته جذبة الهية وهى كما قال بعضهم تقريب العبد بمقتضى العناية الالهية مهيأله كل ما يحتاج اليه فى وطء المسافة الى الحق بلا كلفة وسع اه فكل جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين ولها علامات قلبه يعاينها السارق بطريق الوجدان ويتأيد ذلك بان يرى نفسه طائرا أو فى السماء أو غير ذلك * وأهل الجذب على أقسام كما ان أهل السلوك كذلك فمنهم مجذوب سالك ومنهم مجذوب دائم له الجذب ومنهم مجذوب وقف بعد سيره والاول هو الذى يصلح للارشاد لمعاينة منازل السائرين فى حلول سلوكه بخلاف غيره وبعضهم يكشف له فى لمحة واحدة عن ميادين السلوك فيعرف حقائقها وهذا عبد أعتق الله تعالى به ليقيمه داعيا عباده اليه قال فى عيون المعارف وحقيقة الجذبة هى الخطفة من الله تعالى لمن يشاء من عباده يخطفه اليه ويبلغه الى أعلى المقامات من عليين ثم للمجذوبين عند الله مقامات متفاوتة تفاوتا بعيدا كتفاوت مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكلهم مجذوبون قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا وأعلى مقاماتهم ان يعلوا عن عالم الصفات الى عوالم الذوات وهو الحصن الذى عرف فى قوله تعالى المعرفة حصنى والتوحيد حصارى * واعلم ان المشايخ متفقون على كينونة الجذبة وهى اجتباء الله تعالى من يشاء من عباده اليه وخطفه له بلحظة الى

أعلى المقامات جودا وافضالا لاجزاء وعملا قال الجنيدى رحمه الله تعالى من نال عند الله تعالى مانال الا ببذل المجهود وليس من عرف الله تعالى ببذل المجهود كمن عرفه ببذل الجود ثم المعرفة بغير بذل المجهود ليس الا ما قالوا من الجذبة وبذلك تبين ان ذرة من القبول من الله تعالى خير من أعمال الثقلين ودلت النصوص على ذلك قال الله تعالى يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * والابدال جمع بدل وهو من له قدرة على ان يقيم غيره مقامه بدلا عنه اذا أراد مفارقة محله مثلا وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دعائم أمتى عصائب بساحل اليمن وأربعون رجلا من الابدال بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر مع انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين * وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البدلاء أربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات واحد منهم بدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر قبض كلهم وعن أبى عبيد الخولانى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال الخضر فى البحر والياس فى البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذى بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويحجان فى كل سنة ويشربان من زمزم شربا يكفيهما الى قابل طعامها ذلك وعن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان لله عبادا فى الارض قلوبهم أنور من الشمس وفعلهم فعل الانبياء وهم عند الله أفضل من الشهداء ليس لهم من الدنيا قليل ولا كثير وهم راضون بقسم الله والله عنهم راض بما هم فيه قال عمر صف لنا أمرهم يا رسول الله قال الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة الراضون بقضاء الله وقدره وعن معاذ بن جبل عن النبى عليه الصلاة والسلام قال ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين هم قوام الدين الرضاء بقضاء الله والصبر على محارم الله والغضب فى ذات الله وعن عبد الله بن عمر عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة * والابدال أربعون ولا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل من الاربعين أبدل من خمسمائة مكانه وأبدل من الاربعين مكانه يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويتواسون فيما آتاهم الله تعالى وعن عبادة بن الصامت عن النبى عليه الصلاة والسلام قال لا يزال فى أمتى ثلاثون رجلا كلهم فى الفضل مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر * وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

الابدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة * وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى في الارض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع بهم البلاء * وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصوم ولا صلاة ولكن بسلامة الصدور وسخاوة النفس ونصيحة المسلمين وتقدم وجه لتسميتهم ابدالا ان أحدهم اذا فارق موضعا وأراد أن يخلف به رجلا آخر بدلا منه لامر يريده فيه مصلحة وقربة كان له القدرة على ذلك فيترك شخصا على صورته لا يشك كل من رآه انه عين ذلك الرجل وليس كذلك بل هو شخص روحاني أقامه مقامه فكل من له هذه القوة فهو من الابدال اما من يقم الله بدله شخصا لامر ما ولا علم له به فليس منهم ومعنى قولهم فلان على قدم فلان انه مثله في علومه ومعارفه التي ترد على قلبه فان المعارف الالهية انما ترد على القلوب وكل علم يرد على قلب الشخص الكبير من ملك أو رسول فانه يرد على قلب من ورثه في مقامه وقد يقولون فلان على قلب فلان ومعناه ماذكر أي ينقلب في علومه ومعارفه وقد تطلق الابدال على أربعين رجلا يسمون أيضا الرجبيين وهم رجال لهم القيام بعظمة الله تعالى وهم الافراد وأرباب القول الثقيل المذكور في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا سموا رجبيين لان حالهم لا يكون لهم الا في شهر رجب من أوله الى انفصاله ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم الى دخول رجب من السنة الآتية ولما كان لا تتم تلك الاحوال السنية والمقامات العلية ويبلغ تلك المجاهدة الا بالخمول وعدم الشهرة أشار رضي الله تعالى عنه الى ذلك بقوله ﴿ واياك وحب الشهرة والاظهار كم فتن بهما سادة أخيار ﴾ أي احذر أيها الطالب للطريق السالك في بيداء التحقيق من حب الظهور فانه يقصم الظهور واياك والشهرة فانها توجب الندامة والحسرة فانه لا شئ أضر على المريد من حب الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من أعظم حظوظ النفس القاتلة وفيها منافضة للعبودية المطالب بها العبد وقد قالوا من طلب الشهرة بين الناس فمن لازمه أن يرضيهم بما يسخط الله عز وجل وقالوا من أقبل على الخلق قبل الكمال سقط من عين

الله تعالى قال ابراهيم بن أدهم ما صدق الله تعالى من أحب الشهرة * وقال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست بأرواحهم المزابل وقال أيوب السختياني والله ما صدق الله عبده الا ستره الا يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحارث أوصني فقال اخمل ذكرك واطب مطعمك وقال بشر رضي الله عنه ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك * ثم ان محبة الاشتهار مما يقدح في اخلاص العبد لانه بذلك لا ينفك عن الاغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فيصبغ عمله بالرياء انصباغا لا يتفطن له فلهذا قال رضي الله عنه كم فتن بهما سادة أخيار في الظهور والشهرة من هذه الحيثية فتنة للعبد عظيمة ومحن جسيمة الا من رحم الله فاذا أخمل العبد نفسه وألزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار لها خلقا وجبلة بحيث لا يجد لاضعته ألما ولا لمذلته طعما فحينئذ يتزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من الله أعلى درجات الخصوصية ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال أبو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لاضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح هما صنعتان له كسائر الصنائع وربما فخروا بهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه فهذا مقام محبوب وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المستكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه فاذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخماد ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من أعين الناس كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلما سمع ذلك السائح استدعى بقلا وجعل يأكل أكلا عنيفا بمرآى من الملك فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له وقد بالغ بعض أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علة

الجاه الذى علق بالقلوب حتى استعملوا فى ذلك أشياء منكرة فى ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمر وابه وذلك مثل قصة الرجل الذى دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك مهملا بحيث يرى ويظن به السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف بلص الحمال فحينئذ وجد قلبه ومثل ما روى عن أبى يزيد رضى الله عنه فى قصة الشاهد الذى أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز فى عنقه واعطائه فى ذلك لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة فى المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام أبو حامد الغزالى قال بعض المصنفين واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال ان يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به ولا يفوته الاحياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين اولى اذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت نفسه وحيى قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان التى تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهى نتيجة الحكمة التى اثبتها الله فى قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال عيسى عليه السلام لاصحابه ان تنبت الحبة قالوا فى الارض فقال كذلك الحكمة لا تنبت الا فى قلب مثل الارض قلت وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة منها ما روى أبو امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ان اغبط أوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ له حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه * وفى حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره * وروى معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان يسيرا من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بادى الله بالمحاربة وان الله يحب الاخفياء الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة * وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه الذى نوه فيه باسم أويس القرنى وأشار

بذكره ونبه على عظيم أمره أنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم
في حلقة من أصحابه اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من أهل الجنة * قال أبو هريرة
فطمعت أن أكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم
فاقمت في المسجد حتى انصرف الناس وبقيت أنا وهو فبينما نحن كذلك اذ أقبل
رجل أسود متزر ببرقة معه تدبر رقعة فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
بالشهادة وانا نجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم انه
لمملوك بني فلان قلت أفلا تشتريه فتعتقه يا رسول الله قال وانى لي بذلك ان كان
الله يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا
الاسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه
الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من
كسب الحلال الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات
لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا
لم يشهدوا فقالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم * قال ذلك أويس القرني قالوا
وما أويس قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد
الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله
يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر ازار صوف ورداء صوف
مجهول في أهل الارض معروف في أهل السماء لو أقسم على الله لابر قسمه ألا وان
تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا
ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر
ويا علي اذا أنتما لقيتماه فاطلبا اليه أن يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث
* وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي رجل يقال له
أويس القرني يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر لو قسم على الله لابره فمن لقيه
بعدي فليقرئه مني السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل أصهب أشهل ذو
طمرين أبيضين له أدم وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار
الدينار أو الدرهم لا يؤبه له مجهول في الارض معروف في السماء وكان قد بلغ من
شدة خموله ونهاية صنعته أن الناس كانوا يسخرون منه ويستهزؤن به ويؤذونه

ويرون فيه أهلية الخداع والتلصص وينسبونه الى ذلك * فقد روى أنه دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لاجل العرى فردهما عليه بعد أن أخذهما * وقال ان الناس يقولون من أين له هذان الثوبان ترى من خدع عليهما وكان فى ذلك الوقت يجالس الفقهاء ويظهر للناس وذلك قبل أن يعرف برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضى الله عنه به على المنبر فلما رأى أن الناس قد عرفوا حاله هرب عنهم واستخفى منهم ولبس أمره عليهم برعاية الابل وغير ذلك وقيل لعمر رضى الله عنه لما سأل عنه قومه ما فينا أخمل منه ذكرا فلما لقيه هو وعلى رضى الله عنهما وسأله من هو فقال له راعى غنم وأجير قوم وستر ذكر أويس فلما سأله عن اسمه قال عبد الله فلما سأله عن اسمه الذى سمته أمه امتنع أن يجيبه عن ذلك فلما أخبراه بصفة النبى صلى الله عليه وسلم وأنهما عرفاه بذلك * قال لهما عسى أن يكون ذلك غيرى فلما قالا له أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحت منكبك الايسر لمعة بيضاء وطلبا منه أن يوضحها لهما لم يجد بدا من أن يوضحها لهما وذلك والله أعلم لبرهما رؤية عين صحة قول النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه فى اخباره بالغيب وذلك أمر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما فعل فى كل ما يسأل عنه ثم بعد ذلك لما سأله عمر أن يلتقى معه ويجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه * قال له يا أمير المؤمنين لا ميعاد بينى وبينك ولا أعرفك ولا تعرفنى بعد اليوم ثم دفع الابل الى أصحابها وخلا عن الرعاية وكذلك فعل مع هرم بن حيان لما لقيه بشاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف * قال له حدثنى بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك فقال له لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسى لا أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغ من الكلام الذى كانا بصدده وسأله مداومة الاجتماع به فابى وامتنع * وقال له لا أراك بعد اليوم لا تطلبنى ولا تسأل عنى انطلق أنت من ههنا حتى أنطلق أنا من ههنا ثم بعد ذلك اجتهد فى طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر * ومن عجيب أمره ان حقق الله هذا الحال من التخفى والتستر وأمه له بعد موته مع ما أظهره بسببه من الآيات والعبر حينئذ * قال عبد الله بن سلمة غزونا اذربيجان زمن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ومعنا أويس القرنى فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه

ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر قلت والحكايات والآثار فى مدح الخمول وذم الاشتهار أكثر من أن يأتى عليها انحصار وقد أورد كثيرا منها الائمة المصنفون فى هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى حسن التوفيق والتأييد * وانما قال الاستاذ رضى الله عنه اياك وحب الشهرة اشارة الى أن المذموم حبها وميل القلب اليها أما من أشهره الله تعالى ورفع ذكره فذلك فضل الله فلا ينبغى للعبد أن يختار مع سيده شيأ والحق أن يقوم العبد حيث أقامه الله وينزل حيث أنزله ولتكن همته فى كل حال ومقام متعلقة بالله تعالى لا يقف مع شهرة وظهور ولا ليستأنس بخمول وارخاء ستور وانما الشان ان يسلم الامر لله فى حالتيه وينطرح كالميت بين يديه وهذا هو الذى رمز اليه المصنف بقوله وأشار اليه ﴿ حيث لا يحجب بالخمول عن الوصول ﴾ أى لا تستأنس به وتقف معه ﴿ بل فوض أمرك لخالق الفروع والاصول ﴾ ان شاء أخمل ذكرك وستر عن الابصار وكرك وان شاء أشهرك ورفع فى الملأ ين ذكرك والله يعلم وأنتم لا تعلمون فالاولى بك أن تكون مسلما له القياد والله يفعل فى ملكه ما أراد ولهذا قال رضى الله تعالى عنه التسليم أشرف المقامات يعنى التسليم لله تعالى فيما يجريه عليك من أحوال الظاهر والباطن من أشرف المقامات المكتسبة للعبد باعتبار بدايته وان كان حالا باعتبار نهايته اذ هو معنى يحل بالقلب كسائر الاحوال كما قالوا مثل ذلك فى الرضا اذ هما متقاربان فى المعنى وهو كما قال أبو عثمان الحيرى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حالة فكرتها وما نقلنى الى غيرها فسخطتها وقوله وعدمه أى وعدم التسليم بمعنى التعلق والتضجر من الحالة التى أقامك الله فيها وطلب الانتقال الى غيرها كان يهيئ الله لك أسباب الشهرة فتريد أنت الخمول وتميل اليه وعكسه وكان يهيئ لك أسباب الاكتساب فتميل الى التجريد وعكسه من الشهوات الخفيات أى من شهوات النفوس الخفية * كما قال ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه اراد تك التجريد مع اقامة الله اياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية * واعلم أن العبد اذا سلم لله فى قياده وانطرح تحت أعتاب مراده ارتاح من الهم فؤاده فان أدخلك الله فى سبب من الاسباب سلم له ولا تقلق فانه يتولى اعانتك عليه وقل ربى أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه بربك لا بنفسك

والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم فان الذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجك كما يتولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب * قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركنى السبب فلم أعد اليه * قال العارف بالله سيدى بن عطاء الله الاسكندرى دخلت على شيخى وسيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه وفى نيتى العزم على التجريد قائلا فى نفسى أن الوصول الى الله تعالى فى هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لى من غير ان أسأله صحبنى انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذا الطريق شيأ فجاء الى وقال ياسيدى اخرج عما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذلك ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الى وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شئ حتى يكون الحق هو الذى يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولما كان فى التسليم لله السلامة وفى دوام الاقبال على الله الاستقامة حرض على عدم الوقوف مع المقامات والركون الى الكرامات بقوله رضى الله تعالى عنه ﴿ لا تقف بالمقامات عن الوصول ﴾ يعنى لا تركن الى ما يحصل لك من أنواع الكرامات والمكاشفات فى اثناء المقامات فانك ان وقفت عنده واستأنست به حجبك عما هو المقصود الاعظم وهو الوصول الى حضرة الحق سبحانه وتعالى وبلوغ المأمول * قال ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه ما ارادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا وناديته هواتف الحقيقة الذى تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكنونات الا ناديتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر اه * قال شارحها ابن عباد رحمه الله تعالى السائر الى الله تعالى يتجلى له فى اثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فاذا أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك لاعتقاده أنه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة ناديته هواتف الحقيقة المطلوبة التى تطلب امامك فجد فى السير ولا تقف وان تبرجت له ظواهر المكنونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها ناديته حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغمض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك * واعلم انما دامت لك همة وارادة فانت بعد فى

الطريق لم تصل فلو قد فنيت عنها لوصلت وما أحسن قول الشيخ أبي الحسن القشيري في هذا المعنى

فلا تلتفت في السير غيرا وكلما * سوى الله غيرا فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعز مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا

ثم قال وقد رأيت لسيدي أبي الحسن الشاذلي رحمه الله كلاما حسنا مناسبا للمقام من الترقي في الاحوال وظهور النقص في رؤية الكمال فرأيت ان أذكره ههنا بنصه لما فيه من سني الفوائد وشريف المقاصد قال اعلم انك اذا أردت أن يكون لك نصيب مما للاولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيأ على ذلك بل كن في ذلك عبد الله أمرك ان ترفض عدوه فان كنت العبد أتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الدنيا والزهد في الناس فأقم مع الله تعالى بالمراقبة والتزم التوبة بالانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة * وتفسير هذه الوجوه الاربعة ان تقوم عند الله فيما تأتي وتذر وتراقب قلبك انه لا يرى في المملكة شيأ لغيره فان أتيت بهذا ناداتك هواتف الحق من أنوار العز انك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شئ رقيبا فهناك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت انه قريب فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك ان لا يشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك ناداتك الهواتف أيضا من قبل الحق التوبة منه بدت والانابة عنه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك تظهر أوصافك فستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والانابة والاستغفار طلب الستر عن أوصافك بالرجوع الى أوصافه فان كنت بهذه الصفة أعني الاستغفار والانابة ناداك من قريب اخضع لاحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع ارادتي برفض ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا تقدر على شئ فمتى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شئ عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين اه ومما يعينك على ترك

الوقوف مع المقامات والاحوال والمكاشفات نظرك الى من فوقك من أهل الكمال السائرين على قدم المجاهدة الى حضرة ذى الجلال والجمال فانك اذا نظرت الى أحوالهم ومجاهداتهم واقبالهم على الله تعالى وعدم التفاتهم الى شئ من الاغيار انبعث منك داعى الى الاقتداء بهم والسير على منهاجهم ولهذا قال رضى الله تعالى عنه ﴿تنبه كم فوقك من كمل الفحول﴾ أى من الرجال الكمل أى الكاملين فى العرفان المشهين فى قوة المجاهدة والتمكن من المقام بالفحول جمع فحل وهو النجيب من الابل والمراد النظر فى سيرتهم وأحوالهم ومطالعة كتبهم ان كانوا أمواتا وان كانوا أحياء موجودين بين أظهرنا فبخدمتهم ومشاهدة أحوالهم وصحبتهم فى الله فان النظر الى المنقطعين الى الله تعالى دواء لعلل القلوب وأمراض الذنوب قال العارف بالله تعالى سيدى ابن عطاء الله الاسكندرانى رضى الله تعالى عنه لا تصحب الا من ينهضك حاله أو يدلك على الله مقاله فان النفس مجبولة على حب الاقتداء بمن يستحسن حاله وشأن الطبع ان يسرق من الطبع ان خيرا فخير وان شرا فشر بخلاف ما اذا نظر الانسان الى من هو أدنى حالا منه فانه ربما وقف عن السير وحرم كثيرا من الخير ولهذا قال سيدى العارف بالله المذكور ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو أسوء حالا منك حينئذ ترضى عن نفسك وهو أصل كل معصية وشرك لا يخفى ولهذا قال رضى الله عنه ﴿متى وصلت لا تكسل﴾ المراد من الوصول هنا الوصول المعنوى باتصاف النفس بالاوصاف الحميدة والانسلاخ عن الاوصاف المذمومة وانغماس المرء فى بحرى الشريعة والحقيقة حتى يبصر بالعينين ويشرب بكل من الكاسين ويتحقق بمعنى حديث لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى تمام الحديث القدسى وليس المراد من الوصول الوصول بمعنى قطع المسافة الحسية حتى يصل الى مكان حسى فان ذلك محال لانه يقتضى الحدوث الى الموصول اليه والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ولا يتحقق للعارف الوصول الى الله تعالى الا بالخروج عن الطبع والتأدب بآداب الشرع وقوله لا تكسل أى لا تترك المجاهدة بان تقلل منها اعتمادا على تهذيبها وانقيادها واستسلامها فاذا ما دامت حية تسعى فهى حية تسعى وهذا طريق الكمل من العارفين فانهم لا يفترون عن المجاهدة الظاهرة والباطنة والمجاهدة الباطنة أغلب عليهم فيراهم المحجوب نائمين وهم مستيقظون

ويراهم غافلين وهم ذاكرون حتى لا يكادون يتميزون عن العوام فى ظاهرهم بشئ والقرض بالمقاريض أيسر عندهم من ترك أدب من الآداب قياما بحق الامر * وقد قال سيدى عبد الغنى النابلسى فيما نقله عنه العارف بالله سيدى مصطفى الصديقى فى معنى حديث لا يزال يتقرب الى عبدى بالنوافل حتى أحبه ان ما زال يفيد الدوام والاستمرار أى لا يزال دائما ما بقى يتقرب الى حتى أحبه فاذا أحببته ومننت عليه بذلك لا ينتهى تقربه بل كلما ازداد تقربه ازدادت محبتنا له الى ما لا نهاية له فما تم مقام كمال ينعدم فيه التقرب اه فما دام المرء فى قيد الحياة فلا بد له من المجاهدة والانتباه اذ المرء لا يسلم من أعدائه ولو تناهى فى ارتقائه ولهذا قال رضى الله تعالى عنه * وعن مكر أعدائك لا تغفل * أى لا تغفل عن خديعة أعدائك بك النفس والشيطان والهوى والدنيا فمتى غفلت عن مجاهدة النفس والشيطان أوقعاك فى الذل والهوان وألبساك ثوب الخزيان وأسلماك الى الدنيا واتباع هواها فنزلت الى الحضيض الاسفل ولو كنت فوق السماك الاعزل قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى قيل معناه ونهى النفس عن الميل الى الشهوات وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود حذر أصحابك أكل الشهوات فان النفوس المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عنى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة * واعلم ان التنبه للنفس والتجرد من حظوظها رأس العبادة لانها أعظم حجاب بين العبد والرب ومتى طلعت طوارق النفس غربت شوارق الانس ومن أهمل نفسه أهلكها وكيف يصح للعاقل ان يغفل عن نفسه ولو بلغ فى أعلى مقام العرفان وقد قال يوسف الصديق وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال السرى طالبتنى نفسى ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس خزرة فى دبس فما أطعمتها فانظر لهذا العارف مع تمكنه فى مقام المعرفة كيف يقول فلا ينبغى للانسان ان يتكل على تمكنه فى المقام ووصوله الى مقام العرفان ويترك مجاهدة النفس والهوى فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع عصمتهم واستحالة وقوع الذنب منهم لما مالوا الى الهوى باعتبار مقامهم كيف عوتبوا وعوقبوا فانظر الى آدم أبى البشر لما اتبع هواه فى أكل الشجرة هبط من الفردوس الاعلى الى الارض ونوح لما اتبع هواه فى طلب تخليص ابنه من الغرق

كيف رد الله عليه قوله وزجره بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وابراهيم الخليل لما استراح ساعة في مضجعه قيل له قم واذبح ولدك ويعقوب فرح بلقاء يوسف ساعة فحبس في بيت الاحزان أربعين سنة ويوسف التفت يوما الى جماله وقال لو كنت عبدا اذا كنت أساوى فيبيع بثمن بخس وحبس في السجن بضع سنين وموسى ظن أنه أعلم أهل زمانه وتاه بعلمه وفضله فابتلي بالخضر وداود مال الى حظ نفسه فابتلي بالبكاء والنحيب أربعين سنة حتى ناحت الجبال والطير وسليمان استعظم ملكه فسلب منه وألقي على كرسيه جسدا اه وكثير من العارفين بالله الواصلين الكاملين ركن الى النفس ومال الى الهوى فنزل الى الحضيض الادنى ولهذا نبه الشيخ على شيء من ذلك بقوله ﴿ وما جرى لابيك آدم لا تجهل ﴾ أي لا تكن جاهلا ما جرى لابيك آدم من وسوسة ابليس له حتى أخرجه من الجنة وقصته مذكورة في كثير من كتب التفسير فارجع اليه ان شئت ذلك * واعلم ان الكامل كلما عظم مقامه في معرفة الله تعالى وكلما ازداد خوفه واستشعر قلبه يجد أعماله ناقصة مشوبة بأنواع المساوى فلا يكاد يرى لنفسه حسنة واحدة سالمة من النقص فلا يزال خائفا من رد أعماله عليه وعدم قبولها لديه فلهذا نبه الشيخ رضي الله عنه على ذلك بقوله ﴿ لا تغتر بالطاعات العبرة بالقبول ﴾ الاغترار بالطاعة الاعتماد عليها والركون اليها بحيث انه اذا وقع في زلة ما نقص رجاؤه في الله تعالى واعتماده عليها كما قال سيدي ابن عطاء الله الاسكندراني رضي الله تعالى عنه من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل فالاعتماد على الله تعالى لا على الاعمال نعت العارفين الموحدين والركون الى العمل والاعتماد عليه من وصف الجاهلين الغافلين الباقين مع نفوسهم في نسبة الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها فاعتمدوا على الاعمال وسكنوا الى الاحوال فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاءهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها من أعظم عددهم وأقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بها عن الصواب وما عرفوا أن العبرة من العمل قبوله فكم من عامل لا حظ له في القبول ولم يتحصل له من أعماله كبير محصول وكم من قائم ليس له من قيامه الا ترك الراحة والهجوع وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع لفقد شروط القبول وتلبسه بالعمل المعلول اذ من شرط قبول الاعمال وجود الاخلاص فيها والمخلصون على خطر عظيم وقد حضر عند المؤلف رحمه الله تعالى مرة رجل من

علماء

علماء المغرب فسأل الاستاذ عنه فقال له بعض الحاضرين انه عالم فقال دعونا من علمه فقال وعامل ياسيدى فقال دعونا من عمله فقال وماذا بعد العلم والعمل فقال الاستاذ لذلك القائل هات القبول فبكى ذلك الرجل وهكذا شأن العارفين يخافون ربهم من فوقهم ولا يعتمدون على عملهم خوفا من الرد للعمل ورؤية النقصان فيه والزلل قال العارف بالله ابن عطاء فى حكمه ربما فتح عليك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا فى الوصول قال شارحها ابن عباد ينبغى ان لا ينظر العبد الى صور الاشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضى وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة فى الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا يقتضى الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا فى وصوله الى ربه وحصوله فى حضرة قربه كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم وذلك انه يعجبه عند عمله بالطاعة ان يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويعجبه عند وقوعه فى الذنب اللجأ الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله قال أبو حازم ان العبد يعمل الحسنة ليسره حين يعملها وما خلق الله من سيئات أحقر له منها وان العبد يعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتجبج فيها ويرى ان له فضلا على غيره ولعل الله ان يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة يسوءه حين يعملها ولعل الله ان يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها فى جوفه لباق اه *قال بعض العارفين من لم يظن ان أعماله أهلكته فهو هالك وقال العارف بالله سيدى مصطفى البكرى الصديق رضى الله تعالى عنه فى توسلاته السحر به الهى انى أخاف ان تعذبنى بأفضل أعمالى فكيف لا أخاف من عقابك بأسوأ أحوالى واذا كان القبول مجهولا فكيف ينبغى للعاقل ان يغتر بعمله سيما وهو مشوب بالعلل المفسدة للعمل وهذا من الشيخ رضى الله عنه اشارة الى الخوف وهو من أهم المطالب عند القوم وعليه غالب العارفين سيما خوف سوء الخاتمة فانه فتت أكباد العارفين *ويحكى عن السرى السقطى رضى الله تعالى عنه انه قال انى

لا نظر الى أنني في اليوم كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أبو حفص منذ أربعين سنة وأنا أعتقد في نفسي ان الله تعالى ينظر الى نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقي آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادات فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم وكثير من أقاربه لم ينتفع بلقائه وعاداه كثير ممن عاصره يه ممن سبقت لهم الشقاوة وقيل خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله فقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح فقال اللهم لا تجمع بيني غدا وبين ذلك العاصي فأوحى الله تعالى الى عيسى اني قد استجبت دعاء هما جميعا ورددت دعاء ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله *وسئل الشبلي لم تصفر الشمس عند غروبها فقال لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام فكذلك المؤمن اذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام فاذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن اذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق *ويحكى عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال سألت ربي عز وجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يارب على قدر ما أطيق فسكن ذلك اه واعلم يا أخي انه لا ينبغي للعارف أن يخرج بخوفه الى حد القنوط من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله وليكن خوفه ورجاؤه كجناحي طائر فانهما اذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص واذا ذهبا صار الطائر في حد الموت واذا خرج الخوف عن حده ربما أدى الى ترك الطاعة وأدى الى الاضاعة ولهذا قال رضي الله عنه ﴿ولا تترك المجاهدات ولو صرت من أهل الوصول﴾ ولكن مع ذلك لا تعتمد على مجاهداتك وتركن الى عباداتك وكن مع ذلك خائفا حذرا وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وانما على المرء ان يقوم بالخدمة ويلازم آداب الحرمة ولكن

نظره الى الله تعالى فى سائر أحواله ويتبرأ من حوله وقوته وليكن عبد الله فى سائر أطواره ولا يتشوق الى ظهور شئ من الخوارق والكرامات على يديه فان ذلك مخرج له عن حده وبذلك ينعكس الحال الى ضده فالعبودية أشرف المقامات ومنها تتفرع سائر الاحوال السنيات وانما الاعمال بالنيات ولهذا قال رضى الله عنه ﴿ العبودية مع الاستقامة خير من ألف كشف وكرامة ﴾ العبودية عبارة عن القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر الى ماوقع منك بعين التقصير وقيل العبودية ترك الاختيار فيما يبدو من الاقدار وقيل هى التبرى من الحول والقوة والاقرار بما يعطيك ويوليك من الطول والمنة وقيل هى معانقة ما أمرت به ومفارقة ما زجرت عنه وسئل محمد بن حنيف متى تصح العبودية فقال اذا طرح كله على مولاه وصبر معه على بلواه * وقد قال سهل بن عبد الله لا يصح التعبد لاحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء من الجوع والعرى والفقر والذل وقيل من علامة العبودية ترك التدبير وشهود التقدير وعلى كل حال فهى ان تكون عبده على كل حال فحال من اتصف بها أن يكون ذليلا مفتقرا الى الله تعالى لا تظهر عليه دعوى آنية ولا رؤية له لشئ من أفعاله الصالحة بالكلية * قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى رسالته الانوار القدسية فى آداب العبودية واعلم ان سبب تعدى العبد عن حدوده كونه خلق على الصورة وهو سبحانه وتعالى له العظمة والعزة والكبرياء فسرت هذه الاحكام فى العبد تحقيقا للواقع والكامل من العبيد هو الذى لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية لما يعرفه من نفسه من العجز والضعف والافتقار الى أدنى الاشياء والتألم من قرصة برغوث هذا يدركه كل انسان من نفسه ذوقا فليحذر العبد من رؤية نفسه على أحد من رعيته ولو عبده الذى فى رقه لانه ربما يكون عند الله تعالى أحسن حالا منه كما ورد فى الحديث وليحذر من قوله له تجعل رأسك برأسى أو مثلك بمثلى أو غير ذلك فان هذا كله دليل على الجهل والغباوة والكبر والله لا يحب المتكبرين ولو لم يكن فى ذلك الا ان الله يكرهه لكان كفاية فى الزجر لان العبيد كلهم حرهم ورقيقهم ملك له تعالى لا فضل لاحد الا بما فضله به سيده وهذا لا يعلم الا بوحى فالزم الذل وترك الزجر لعبدك وخدمك ان كنت عبد الله واعلم ان هذه الطريقة لا يحتاج سالكها الى مراجعة شيخ فى الغالب لانه لا يقف مع كشف ولا منام ولا خاطر ولا غيرها مما

يحتاج اليه فقهاء الصوفية وقد ذكر أشياء كثيرة فى هذه الرسالة من آداب العبودية وهى رسالة حافلة فمن أراد التخلق بأخلاق العبودية فليطالعها فانها عظيمة النفع ان شاء الله تعالى والعبودية اتم من العبادة * فالمراتب ثلاث عبادة ثم عبودية ثم عبودة فالعبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخواص الخواص وبعبارة أخرى يقال العبادة لاصحاب المجاهدات والعبودية لارباب المكابدات والعبودة صفة أهل المشاهدات فمن لم يدخر عنه نفسه فهو صاحب عبادة ومن لم يضن عليه بقلبه فهو صاحب عبودية ومن لم يبخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة والكل مشتق من العبادة بمعنى الذلة من قولهم أرض معبدة أى مذللة فهى من وصف العبد خاصة ولهذا قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه فى بعض توسلاته فى حالة القرب والمشاهدة يارب بماذا أتقرب اليك فقال الله تعالى له تقرب الى بما ليس لى الذلة والافتقار قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى ليذلوا لى ولا يذل له من لا يعرفه ولذا فسرها بذلك ابن عباس بقوله ليعرفونى فهو تفسير باللازم وانما خص هذين الجنسين بالذكر دون غيرهما لانه لم يدع أحد الالوهية ولا التكبر على الله غيرهما من سائر المخلوقات ولم يتحقق بمقام العبودية على كماله أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عبدا مخلصا فى جميع الاحوال ولهذا شهد الله تعالى له بانه عبد مضاف اليه بقوله وانه لما قام عبد الله سبحان الذى أسرى بعبده فهو أشرف المقامات ولا يحصل للعارفين على كماله الا فى آخر الامر بعد السحق والمحق وقد حصل هذا المقام لسيدى عبد القادر الجيلانى فى آخر حياته بعد ما قال قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى وكان رأسه الشريف على وسادة فقال ازيلوا هذه الوسادة من تحت رأسى وضعوه على التراب لعل الله يرحم ذلى وقال بعضهم لما دخل مقام العبودية وتمكن فيه ذلى عطل ذل اليهود فمثال العبد فى عبوديته مثل الظل للشخص المقابل للسراج كلما قرب من السراج كلما عظم الظل وتزايد وكلما بعد عن السراج صغر الظل وتفانى فالعبد اذا قرب من أوصافه عظم عرفانه وضخم شأنه واذا بعد عن أوصافه صغر وحقر ورجع الى الحضيض الاسفل فالقرب من الله تعالى بما هو لك أيها العبد لا بما هو له سبحانه وتعالى وقوله مع الاستقامة مع مداومة العمل الصالح والدأب عليه قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال فى الرسالة الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها

وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال الله تعالى ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ومن لم يكن مستقيما فى صنعته لم يرتق من مقام الى غيره ولم يبين سلوكه على صحة فمن شأن المريد الاستقامة فى أحكام البداية كما ان من حق العارف الاستقامة فى آداب النهاية فمن علامة استقامة أهل البداية ان لا يشوب معاملتهم فترة ومن أمارة استقامة أهل الوسائط أن لا يصحب منازلتهم وقفة ومن أمارة استقامة أهل النهاية أن لا يتداخل مواصلتهم حجبة وقال سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول الاستقامة لها ثلاث مدارج أولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة فالتقويم من حيث تأديب النفوس والاقامة من حيث تهذيب القلوب والاستقامة من حيث تقريب الاسرار وقوله خير من ألف كشف وكرامة يعنى ان العبودية بمعنى التذلل لله والخضوع له فى امتثال أوامره واجتناب نواهيه مع الاستقامة على فعل الطاعات واجتناب المخالفات أفضل عند الله من ظهور الخوارق على يد العبد اذ العبودية مما ليس للنفس فيها حظ بخلاف ظهور الكرامة على يده وقد رأى رجل من أولياء الله رجلا واقفا على الهواء فقال له يا هذا هل مشيك فى الهواء يكتب فى صحائف الحسنات أو فى صحائف السيئات قال لا فى شئ من ذلك قال فاذا فصلى لله ركعتين خير لك من ذلك كله فاعترف بالحق ونزل اه وقد سمعت شيخنا العارف بالله تعالى المصنف الكرامات حيض الرجال وقد حكى لى مرة عن شيخه سيدى مصطفى البكرى قال قمت ليلة من ليالى الشتاء الباردة أتوضأ فرأيت الماء باردا جدا فقلت فى نفسى لو جعل لى الله تعالى هذا الماء سخنا دافيا ثم مددت يدى اليه مرة ثانية فاذا هو أحمى من ماء الحمام والبخار صاعد منه فخالا رجعت عن هذا الخاطر وتبت الى الله وقلت يا رب لا أريد أعده الى حاله فعاد كما كان فانظر الى هذا العارف كيف فر من الكرامة ولم يرض بظهورها على يده وماذاك الا خوفا من الركون اليها وميل القلب معها فيقف عندها ولا يلزم من وجود الكرامة وجود الاستقامة قال العارف بالله سيدى ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة قال شارحها ابن عباد الكرامة الحقيقية انما هى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها * ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ان لا يحرص الا

عليهما ولا يكون له همة الا في الوصول اليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة * قال الاستاذ أبو الحسن الشاذلي انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب أو ذو حظ في العمل والعلم بالصعاب كمن أكرم بشهود الملك على بيت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وكل كرامة لا يصحبها الرضاء عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص اوهالك مثبور * وقال الاستاذ أبو العباس ليس الشأن من طوى له الارض فاذا هو بمكة أو غيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عبد الله تعالى * وذكر عن سهل بن عبد الله الكرامات فقال وما الكرامات هي شئ تنقضي لذتها ولكن أكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود * وقال بعض المشايخ لا تتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيأ فيدخل يده في جيبه فيخرج ما أراد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيأ فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير * وقيل لابي محمد المرتعش ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم ممن يمشي على الماء وفي الهواء * وقال أبو يزيد لو أن رجلا بسط على الماء مصلاه وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له فلان يمر في ليله الى مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله تعالى اه وشأن العارفين بالله التشوف الى الاطلاع على ما فيهم من خفايا العيوب ورؤية التقصير في المعاملة والتزام الذلة والانكسار * قال العارف بالله تعالى سيدي ابن عطاء الله الاسكندراني في حكمه تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب قال شارحها العارف بربه ابن عباد حكم المريد ان يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي أن يحرص عليه ويصرف عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء أعماله من الآفات ونقاء أحواله من الكدورات وينتفي عنه الجهل والغرور وينقطع من باطنه موارد الشرور * وقد ذكر أبو حامد الغزالي فصلا في الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد * وقد جعل

حاصله

حاصله أربعة أوجه أحدها أن يجلس بين يدى شيخ بصير يبصره بالعيوب والآفات فيحكمه على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثانى مصاحبة صديق صدوق يجعله رئيسا على أحواله وأعماله لينبهه على مايخفى عليه من مذام خلاله والثالث أن يستفيد معرفة عيوبه من أعدائه اذ لابد من جريان ذلك على ألسنتهم عند تلبثهم وغيبتهم والرابع أن يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو عن شئ منها لان الطباع البشرية فى ذلك متقاربة وقد يظهر له فى نفسه ماهو أعظم مما يراه فى غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها هذا تلخيص ماذكره وأما طلبه للعيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فانه حظ نفس لاحق عليه فيه للحق تعالى فليطب عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسا وما أظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعود عليه فان ذلك من المعايب القادحة فى عبوديته ولهذا قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن صاحب الكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولان تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك * ومن الحكايات بهذا المعنى الذى ذكرناه ماروى فى الاسرائيليات عن وهب بن منبه ان رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سنة يفطر فى كل سنة ستة أيام فسأل الله تعالى أن يريه كيف تغوى الشياطين الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الامر الذى طلبته فأرسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى أرسلنى اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذى تكلمت به أحب الى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالارض واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال اى رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسيأتى بيان ان الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها عند كل عالم نبيل يعنى عند قوله فى الحكم ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه * والحاصل ان الاستقامة أمر عظيم واعظم مايجرى على العارفين أمره تعالى بها كقوله تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا أى لا ترتفعوا عن أمره بما تجدونه فى نفوسكم من خلقكم على الصورة الالهية وتقولوا مثلنا لا يكون مأمورا وسبب صعوبة ذلك على العارفين انهم لا يعرفون هل وافق أمر الله تعالى ارادته انهم يمتثلون أمره أو يخالفونه ولهذا

قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود واخواتها وطرق الاستقامة لا تحصر قال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا أى طرق الاستقامة بدليل قوله بعد ذلك اعملوا وخير أعمالكم الصلاة فهذا التفسير أولى من التفسير المشهور وهو ولن تحصوا ما الكم فى ذلك من الاجر والخير وهذا معنى الاستقامة المتعلقة بالنجاة وأما الاستقامة التى تطلبها حكمة الله تعالى فهى السارية فى كل كون قال الله تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى فكل شئ فى استقامة فاستقامة النبات ان تكون حركته منكوسة غالبا واستقامة الحيوان ان تكون حركته أفقية ولولا ذلك لم ينتفع بواحد منهما اذ لو لم تكن حركة الاول منكوسة لما شرب الماء باصوله فلم يحصل له قوة ولم يتم النفع به ولو لم تكن حركة الثانى أفقية بل كانت الى العلو مثلا لم ينتفع بالركوب على ظهره والحمل عليه مثلا وأخذ العالم كله على هذا النمط اه ولما ذكر المصنف رضى الله عنه ان الاستقامة خير من ألف كشف وكرامة اتبع ذلك بمسألة الامن من مكر الله للاشارة الى أن المستقيم لا ينبغى له أن يخلى قلبه من الخوف ولا يأمن من أن يمكر الله به ويستدرجه فلهذا قال رضى الله عنه ﴿الامن من مكر الله خسران﴾ وهو معنى قوله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ففيه شبه اقتباس من الآية الكريمة فاللائق بالعارف أن لا يخلى قلبه من خوف الله تعالى ولو كان على أثبت قدم فى الاستقامة فقد كان الثورى لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه فى سفينة يخشى الغرق فان أمر الامور مرارة الزوال بعد التقرب والوصال * روى ان بلعام بن باعوراء كان بحيث اذا نظر يرى العرش وعجائب الملكوت الى العرش وذلك ان العارف تتعشق نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضىء بأنوار قدس الجبروت ولم يكن له الا زلة واحدة مال الى الدنيا وأهلها ميلة واحدة وترك الولى من أوليائه تعالى فسلب الله تعالى معرفته وجعله بمنزلة الكلب والمطرود حيث قال فمثله كمثل الكلب فاوقعه فى بحر الضلال بعد أن كان فى مجلسه اثنى عشر ألف محبرة للمتعلمين وقس عليه برصيصا ممن سلب منه المعرفة بعد ان كان من المقربين فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون قال الجنيد لو أقبل صادق على الله تعالى ألف ألف مرة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله قال الله تعالى فى وصف أنبيائه العظام انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين أى دائمين الوجل * روى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال لو جمع بكاء أهل الدنيا الى بكاء

داود عليه السلام لكان بكاؤه أكثر ولو جمع ذلك الى بكاء نوح عليه السلام لكان بكاؤه أكثر ولو جمع الى بكاء آدم لكان بكاؤه أكثر وليس ذلك الا لطلب الثبات على ما كانوا عليه من الاحوال والكرامات لان العاقبة مجهولة والامور بخواتيمها لان الانسان قابل للانتقال من حال الى حال ومن منزل الى منزل وهذا الانتقال هو الذى أوجب حصول الخوف عند الرجال من الله تعالى لانهم لا يعرفون مراد الله تعالى ولا الى أين ينقلهم ولا فى أى صفة وطبقة يميزهم فلما انهم الامر عليهم عظم خوفهم منه وقد قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تبكون لا تدرون تنجون أو لا تنجون قال المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير بين به أنه ينبغى أن يكون خوف المرء أكثر من رجائه سيما عند غلبة المعاصى واشتهارها فلهذا كان ابن ميسرة اذا آوى الى فراشه يقول ليت أمى لم تلدنى فتقول له أمه ان الله أحسن اليك هداك الى الاسلام فيقول أجل لكنه بين لنا انا واردو اجهنم ولم يبين انا صادرون وقال فرقد السنجى دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لابسات الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا فى يوم واحد وفيه زجر عن كثرة الضحك وحث على كثرة البكاء والتخويف بما سيصير المرء اليه من الموت والفناء اه وعنه صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه وفى رواية أنا أتقاكم لله وأشدكم له خشية قال سيدى محمد البكرى قدس الله سره فى رسالة أخيار الاخيار وقد جاء عن جدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه كان كثير البكاء خوفا من ربه ورهبا وتضرعا اليه ورغبا فقيل له فى ذلك هذا وأنت بشرك النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة فقال أخشى أن يكون ذلك معلقا على شئ فانظر هذا التحرى الجليل ممن هو فى هذه الامة نظير ابراهيم الخليل اه فرجال الله تعالى يخافون من الاستبدال والانتقال من حال الى حال وهو الذى يدعوهم الى تفقد أحوالهم مع الله عز وجل فى كل نفس لا سيما والله تعالى يقول وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم يعنى فيما وقع منكم من المخالفة لامر الله تعالى بل يكونوا على أتم قدم واقواه فى طاعة الله تعالى ولما ظهر من ابليس ما ظهر وطرد ولعن بعد ذلك المقام المفخر طفق جبريل وميكائيل يبكيان زمانا طويلا فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقال يارب لا تأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا وقد ذكر القشيرى فى الرسالة ان رجلين

اصطحبا فى الارادة برهة من الزمان ثم ان أحدهما سافر وفارق صاحبه وأتى عليه مدة لم يسمع منه خبرا فبينما هذا الآخر كان فى غزاة يقاتل عسكر الروم اذ خرج على المسلمين رجل متقنع بالسلاح يطلب المبارزة فخرج اليه من أبطال المسلمين واحد فقتله الرومى ثم خرج آخر فقتله ثم ثالث فقتله فخرج هذا الصوفى وتطارد الفرسان الرومى عن وجهه فاذا هو صاحبه الذى صحبه فى الارادة والعبادة سنين فقال المسلم له ايش الخبر فقال له انه ارتد وخالط القوم وولد له أولاد واجتمع له مال فقال الصوفى وكنت تقرأ القرآن بقراءة كثيرة فقال لا أذكر منه حرفا واحدا فقال له الصوفى لا تفعل وارجع فقال لا أفعل فلى فيهم جاه ومال فانصرف أنت والا فعلت معك ما فعلت بأولئك فقال له الصوفى انك قد قتلت ثلاثا من المسلمين وليس عليك آنفة فى الانصراف فانصرف أنت وأنا أمهلك فرجع الرجل موليا فتبعه هذا الصوفى فطعنه وقتله فبعد تلك المجاهدات ومقاسات تلك الرياضات قتل على النصرانية فلا حول ولا قوة الا بالله نعوذ بالله من مكره وسخطه * واعلم ان الخوف من الله تعالى ومن عقابه شعار الصالحين ودثارهم وقد مدح الله الخائفين فى آيات كثيرة قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يخافون ربهم من فوقهم وخافونى ان كنتم مؤمنين واياى فارهبون وقد ورد فى الحديث لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله تعالى ودخان جهنم فى منخرى عبد ابدا وليس أنفع للقلب من الخوف فهو سراج القلوب به يبصر القلب ما فيه من الخير والشر قال أبو سليمان الدارانى ما فارق الخوف قلبا الا خرب * وقال بعض العارفين اذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه وليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه انما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه وعلامة الخوف كما قال شاه الكرمانى الحزن الدائم فانه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان وقد وجد فى بعض الكتب اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له فى نفسه ناصحة واذا أراد الله بعبد شرا جعل له فى نفسه مزمارا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة وعلى كل حال فالخوف مطلوب فى كل مقام وفى كل حال لكن لا يبلغ بذلك الخوف الى الدخول فى حد القنوط من العفو واليأس من الرحمة بل ينبغى أن يكون الخوف راجحا على قلب المؤمن فى حال صحته لانه أعون على الطاعة وازجر من المعصية وفى

حالة

حالة المرض والمواطن التى فيها مظنة القدوم على الله تعالى ينبغى ترجيح جانب الرجاء وحسن الظن بالله تعالى فانه سبحانه عند ظن عبده به ولهذا قال الاستاذ رضى الله تعالى عنه ﴿واليأس من رحمة الله كفران﴾ أى كفر حقيقى فان اليأس من الرحمة لا يحصل الا اذا اعتقد ان الله تعالى غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكريم بل بخيل وكل واحد من هذه الثلاث يوجب الكفر فاذا كان اليأس لا يحصل الا عند حصول أحد هذه الثلاث وكل واحد منها كفر ثبت ان اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا فلا ينبغى لمؤمن أن يقع فى حد اليأس من الرحمة ولو كان فى لجة العصيان مغمورا بالمخالفات فان الامور بخواتيمها قال تعالى ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقال تعالى يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ونظائر ذلك كثير فى القرآن العظيم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما آيتان فى كتاب الله تعالى ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله تعالى الا غفر له أحدهما والذين اذا فعلوا فاحشة الآية والثانى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية قال العارف بالله سيدى ابن عطاء الله فى حكمه اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك فالاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغى أن يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى انه طرده وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله فان ذلك من سوء ظنه بالله تعالى فليحسن العبد ظنه بالله تعالى مهما استطاع فانه يطلب من العبد فى أمر دنياه وأمر آخرته فاما أمر دنياه فان يكون واثقا بالله تعالى فى ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعى فيها أو بسعى خفيف مأذون فيه ومأجور عليه وبحيث لا يفوته ذلك شيأ من نظر ولا فرض فيوجب له ذلك سكونا وراحة فى قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب وأما أمر آخرته فان يكون قوى الرجاء فى قبول أعماله الصالحة وتوفية أجوره عليها فى دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الاوامر والتكثير من أعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى أوثق الرجاء رجاء العبد

ربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى كما سبق أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب فى الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك فى الجزع والسخط ومن أعظم مواضع حسن الظن بالله تعالى حالة الموت فقد جاء فى الخبر لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفى حديث جابر من استطاع منكم أن لا يموت الا وهو حسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلى هذه الآية وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ولانه تعالى فيما يروى عنه قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء قال أبو طالب المكى وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى الا أعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه مايظنه لان الذى حسن الظن به هو الذى أراد أن يحققه له وقد روى عن أبى النضر حسان قال خرجت عائد اليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو فى فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وطفق يشير اليه فأقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الاسود يكفى واثلة حتى جعلها على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شئ تخبرنيه قال لا تسألنى عن شئ أعلمه الا أخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظنى بالله حسن قال فابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا وان ظن شرا * وروى عن أبى سعيد الخدرى قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يارسول الله حسن الظن قال فظن به ماشئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به * وروى أبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله تعالى قلت والاخبار والآثار فى الرجاء وحسن الظن بالله تعالى وسعة رحمة الله أكثر من ان تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة فى هذا المقام فمن أراد الشفاء فى ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء والحكايات فى حسن الظن بالله تعالى كثيرة والاخبار شهيرة * ومما حكى عن شخص انه سمع برجل فى الحرم اشتهر بالولاية بين الناس قال فجئته وهو يطوف فلما قال لبيك سمعت منادا يقول لا لبيك ولا سعديك قال فقلت خابت سفرتى فى رجل مطرود فرفع رأسه الى وقال يا أخى اسمع ماسمعت أربعين سنة وهب انه طردنى عن بابه فالى باب من التجىء سواه وعزته

لا أبرح عن بابه فاذا النداء قد فتحنا لك الباب وأدخلناك مع الاحباب * وقيل تعبد رجل من بنى اسرائيل سبعمائة سنة فأوحى الله تعالى الى دانيال عليه السلام قل لعبدى فلان تعبدما شئت فانك من أهل النار فلما قال له ذلك قال مرحبا بحكم ربى ثم قال الهى عبدتك وأنا أظن انى لا أذعن عندك قليلا ولا كثيرا فاذا أنا أصلح لنارك وعزتك وجلالك مازادنى هذا الاحباوتلهفا فأوحى الله تعالى الى دانيال عليه السلام ان قل لعبدى المستحق لولائى بالصبر والرضا رضيت منى بأصعب حكم وقضاء وعزتى وجلالى لوملأت ذنوبك الارض والسماء لغفرتها لك ولا أبالى وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى فى حزبه الكبير فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وان عصاك وأعرض عنك وليس من الكرم ان لا تحسن الا لمن أحسن اليك وأنت المفضال الغنى بل من الكرم ان تحسن لمن أساء اليك وأنت الرحيم العلى كيف وقد أمرتنا ان نحسن لمن أساء الينا فأنت أولى بذلك منا اه وقيل ان موسى عليه السلام قال فى بعض مناجاته يارب فقال الله تعالى له لبيك ياموسى فقال موسى عليه الصلاة والسلام يارب أنت أنت فمن أنا حتى أجاب بالتلبية فقال ياموسى انى آليت على نفسى ان لا يدعونى عبد من عبادى بالربوبية الا أجبته بالتلبية فقال موسى عليه السلام يارب هذا لكل عبد طائع قال ولكل عبد مذنب قال يارب اما الطائع فبطاعته فما بال المذنب فقال الله تعالى ياموسى انى اذا جازيت المحسن باحسانه وضيعت المسيئ لاساءته فأين جودى وكرمى اه وحسن الظن بالله تعالى لا ينافى الخوف منه سبحانه وتعالى كذلك لا ينافى الخوف من عدم قبول الطاعة ولهذا قال الاستاذ رضى الله تعالى عنه * السعيد يعمل ويخاف من عدم القبول * لان العمل لا تكاد تفارق الانسان فى سائر أعماله وكل على حسب مقامه وحاله فحسنات الابرار سيئات المقربين فالاعتماد حينئذ على فضل الله لا على العمل وقد قال العارف بالله تعالى ابن عطاء الله الاسكندرانى من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل فالعارفون بالله تعالى لا يشاهدون لانفسهم عملا خالصا بل يخافون من العذاب بأعمالهم لشهودهم نقص أنفسهم ودخول العلل فى أعمالهم وأقل ذلك ان يطلب عوضا على عمله قال سيدى مصطفى الصديقى فى الاحزاب السحرية الهى انى أخاف ان تعذبنى بأفضل أعمالى فكيف لا أخاف من عقابك باسوء أحوالى اه

والناس على ثلاثة أجناس معتمد على عمله وموقفه التقصير وغايته التشمير ومقامه الاسلام لدورانه مع العمل رجاء أو خوفا وبساطه قوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وعلامته ماذكره ابن عطاء الله كما تقدم ومعتمد على فضل الله وموقفه شهود المنة وغايته التبرى من الحول والقوة ومقامه الايمان لدورانه مع القدرة فى اقباله وادباره وبساطه قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وعلامته الرجوع الى مولاه فى السراء بالحمد والشكر وفى الضراء باظهار الفاقة والفقر ومعتمد على سابق القسمة وماضى الحكمه وموقفه شهود التصريف وغايته الفناء فى التوحيد ومقامه الاحسان لما شهد به من المشاهدة والعيان وبساطه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وعلامته الاستسلام والسكون تحت جريان الاحكام فلا يزيد رجاؤه لعمله ولا ينقص خوفه بسبب فلو وزناهما التعادلا فى كل من أحواله بل هو دائم البشر متواصل الاحزان كما جاء فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم والحاصل ان السعيد كما قال الاستاذ يعمل ولا يعتمد على العمل ويخاف مع ذلك من عدم قبول عمله لما يطرأ على الاعمال مما يحبطها وصاحبها لا يشعر وقد كنت حاضرا مرة عند الاستاذ فجاء رجل عالم جليل من أهل المغرب فسأل عنه الشيخ رضى الله عنه فقيل انه عالم فقال دعونا من علمه فقيل وعامل فقال دعونا من عمله فقيل وماذا فقال هاتوا القبول فقال له العالم وقد بكى صدقت أيها الاستاذ واذا كان الانسان مغمورا قلبه بماء الشهوات غافل عما هو آت منقطع الى الدنيا وأهليها يعتمد على السابقة ويزعم انه مقبول وانه على نهج العرفان مجبول قاده الشيطان بزمامه وغره بهتانه والى ذلك رمز الاستاذ بقوله رضى الله عنه ﴿ والشقى يعصى ويقول أنا المقبول ﴾ حيث سول له الشيطان انه من أهل الوصول واحتج بالحقيقة وترك التمسك بالشريعة اعتمادا على السابقة وهذه منزلة قدم وزندقة فالسعيد من فطر بالعينين وشرب بكل من الكاسين والى هذا أشار بقوله ﴿ اعتبر يجف القلم فى الخبر ونسى اعملوا فكل لما خلق له ميسر ﴾ يعنى نظر الى ما ورد فى الخبر الصحيح جف القلم بما هو كائن ولم يلاحظ قوله اعملوا فكل لما خلق له ميسر وقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله فالسعيد موفق لعمل اهل السعادة والشقى موفق لعمل أهل الشقاوة فالاعمال دلائل على السوابق ولهذا قال بعض العارفين اذا أردت ان تعرف مالك عند الله تعالى فانظر ما أقامك الله فيه اه وفى الحكم

العطائية متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم انه أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة واياك ياأخي والاحتجاج بالقدر اذا وقعت منك هفوة أو قصور عن طاعة وتقول لو سبق لي في الازل شيء من الطاعة والحفظ فان ذلك سوء أدب منك وتعطيل للشريعة فان أول من احتج بالقضاء السابق ابليس قبحه الله تعالى فقيل له متى علمت ذلك بعد الوقوع أو قبله فقال بل بعده فقال بذلك آخذتك اه وقال الجنيد البغدادي قدس سره يقول اياك ان تقف في حضرة شهود الفعل لله وحده دون عباده فتقع في مهواة من التلف ولا ترى لك مع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين * وسئل سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه عن رجل يقول أنا كالباب لا أتحرك الا اذا حركت فقال هذا لا يقوله الا أحد رجلين اما صديق أو زنديق لان الصديق يقول هذا القول اشارة الى أن قوام الاشياء بالله تعالى مع أحكام الاصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك احالة للاشياء على الله تعالى واسقاطا للائمة أي اللوم عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه فاما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية اذا صدرت منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وان كان لقصوره ربما يركن الى البطالة ويستروح بهوى النفس الى الاسفار والتردد في البلاد متوصلا الى تناول اللذائذ والشهوات غير متمسك بشيخ يهذبه ويؤدبه ويبصره بعيوب ماهو فيه اه كذا في شرح شيخنا العارف بالله تعالى سيدي عبد الله الشرقاوي نقلا عن عوارف المعارف وانما حمل هذا القائل على هذه المقولة تماديه في غفلاته واعراضه عن الحق سبحانه وتعالى واستهواء الشيطان له بنوع من الغرور وذلك من المكر والاستدراج من الله تعالى بالعبد ولهذا أشار رضي الله عنه الى شيء من علامات المكر والاستدراج فقال ﴿ متى رأيت مسيئا مكرما فاعلم انه مكر به ومستدرج ومتى رأيته معترفا فبشره بانه محبوب متوج ﴾ اعلم أن تمادي المرء في العصيان مع ادرار النعم عليه وعدم تعجيل العقوبة له دليل على مكر الله به واستدراجه اياه فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام قل للعقلاء يخافون مني اذا ترادفت عليهم نعمي ويكثرون من النوح كلما زادت عليهم النعم فان ذلك استدراج لهم ولواني أحببتهم لجردتهم عن الدنيا * قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين يعني نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر ماخوذ من درج

الصبي اذا مشى شيأ فشيأ وهو لا يشعر لان المكور به يقع في وهمه انه على شئ وهو لا يشعر وقد ورد في الحديث اذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا ما أحب وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك منه استدراج رواه أحمد وغيره عن عقبة بن عامر * قال العارف بالله ابن عطاء الله الاسكندراني في حكمه خف من دوام وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ولذلك كان خوف الاكابر من النعم وادرارها عليهم أعظم من خوف البلاء ونزوله بهم * قال الشاذلي رضي الله تعالى عنه قيل لي ياعلي لا تأمن مكري وان أمنتك فان علمي لا يحيط به محيط * وقال الجيلاني قدس الله روحه أعطاني الحق سبحانه وتعالى أربعين عهدا وميثاقا أنه لا يمكر بي ومع ذلك فانا غير آمن مكره لعلمي بسعة اطلاقه وان له أن يفعل ما يشاء وسئل بعضهم هل يدخل الولاية استدراج قال نعم لان الحق ينزل لعباده رحمة بهم ليأخذوا عنه أحكامه وذلك التنزل فيه مكر خفي فان العبد متى حمل التنزل على صورة ما علمه من أحوال الخلق هلك فيقبل ذلك مع اعتقاده مغايرة صفاته لصفات الحق حذرا من المكر * وروي أن بعض الانبياء شكى الى الله الجوع والعرى فاوحى اليه اما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فرفع التراب على رأسه وقال بلى يارب فعلم من هذا أن ادرار النعم مع عدم القيام بشكرها والتمادي في المخالفات علامة واضحة على المكر والعياذ بالله تعالى والاستدراج بخلاف ما اذا قوبل المسيئ بالبلاء وأنواعه من الفقر والجوع والامراض والآلام ونحو ذلك من علامة لطف الله تعالى به فقد عجل له عقوبته ومحضه من الذنوب ليرجع الى الله تعالى فانه كما قال العارف بالله تعالى سيدي ابن عطاء الله في حكمه من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد بسلاسل الامتحان فاذا رأيت الرجل يذنب ويعاقب فبشره واذا رأيته يذنب فتدرعليه النعم فانذره اللهم انا نعوذ بك من المكر والاستدراج من حيث لا نشعر في ساعة من الليل والنهار واذا كان الامر كذلك فالخير كله في امتثال المأمورات واجتناب المنهيات * ولهذا قال رضي الله

عنه

عنه ﴿مخالفة الشريعة زندقة﴾ * قال الله تعالى ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله واعلم أن علم القوم كله مؤيد بالكتاب والسنة فكل من أتى بشئ يخالف ما فيهما فهو مردود عليه وأعماله مردودة ولو مشى على الماء والهواء * قال سيدى محيى الدين الشيخ الاكبر رضى الله تعالى عنه لا تقتد بالذى زالت شريعته عنه ولو جاء بالانباء عن الله ولم ينه عن العلم واتباعه وتعاطيه الاقطاع الطريق من نواب ابليس وأعوانه وشرطه * قال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد البغدادى رضى الله عنه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة وقال مذهبنا هذا مقيد باصول الكتاب والسنة وقال أبو حفص رحمه الله من لم يزن أحواله وأفعاله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد فى ديوان الرجال وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء طاعة كان أو معصية فهو عيش النفس وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء فهو عذاب النفس وقال السرى رحمه الله تعالى التصوف اسم لثلاث معان لا يطفئ معرفته نوره ورعه ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات على بقطة هتك استار محارم الله تعالى وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيأ أشد على من العلم ومتابعته ﴿وموافقة أهل الضلال موبقة﴾ أى مهلكة والمراد من أهل الضلال أهل البدع والاهواء وأصول البدع كما نقل فى المواقف ثمانية المعتزلة القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم وبنفى الرؤية وبوجوب الثواب والعقاب * وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطون فى محبة على رضى الله تعالى عنه وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة المكفرة له رضى الله عنه ومن أذنب كبيرة وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلة بأنه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس طرق والنجارية الموافقة لاهل السنة فى خلق الافعال والمعتزلة فى نفى الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد وهم فرقة واحدة والمشبهة الذين يشبهون الحق تعالى بالخلق فى الجسمية والحلول وهم

فرقة أيضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم فى النار والفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة المحمدية ذوى الطريقة النقية الاحمدية والشريعة ظاهر يسمى بالشريعة شرعة للعامة وباطن يسمى بالطريقة منهاجا للخاصة وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا لاصلها الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثانى نصيب القلوب من العلم والمعرفة والثالث نصيب الارواح من المشاهدة والرؤية قال القشيرى الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة قيام ما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر واخفى وأظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بأمره والحقيقة شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت بأمره ولله در من قال من أرباب الحال

الا فالزموا سنة الانبياء * ألا فاحفظوا سيرة الاصفياء

ومن يبتدع بدعة لم يكرم بوجدانه رتبة الاتقياء

فعليك بالجماعة أى أهل العلم والفقه الذين اجتمعوا على آثاره صلى الله عليه وسلم فى النقير والقطمير ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير قال شريح ان السنة قد سبقت قياسكم فاتبع ولا تبتدع فانك لن تضل ما أخذت بالاثر وعن سفيان لو ان فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة كذا ذكر فى شرح المشكاة وفى زماننا هذا ظهر أقوام من المبتدعين يدعون القرب والوصول ولا يتدينون بالدين الخالص ويتركون بزى الواصلين رجاء ان ينزل عليهم من بركاتهم وقد منعوا عن التزى بزيهم ما خالفوا الشرع وأوصوا بالتزام حدود الشرع القويم والصراط المستقيم فهم يعملون ما لا يؤمرون ويبغضون أهل العلم والفقه ومنهم من يلوون ألسنتهم ويقرؤن على الناس أطراف الاحاديث ويدسون ما خالف مسلكهم وان طابق فيحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال وقد كثرت التأليفات فى الاسلام وشاع البدع بين الانام حتى غلب السفهاء على العلماء والخطا على الصواب ولذا قال العلماء لا يجوز العمل بكل كتاب ولا الاقتداء بكل عالم وانما يقتدى بمن هو موثوق بعلمه ودينه وانما الصواب من الكتب ما وافق الاصول فمن لم يتعلم عقائد أهل الاسلام وفروع الائمة الاعلام ولم يتمسك بكتب الثقات ولم يعمل بموجبها يموت والعياذ بالله تعالى على أنواع البدع والكفريات

وهو

وهو لا يشعر ويكون من الذين وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون اه وحيث كانت موافقة أهل الضلال موبقة ومهلكة والعياذ بالله تعالى وكانوا يزعمون انهم على شئ تمكن الكبر فى نفوسهم فهم فى بحر الدعاوى غارقون فأشار الاستاذ الى الانفة عليهم والاغلاظ ومقابلتهم بالتشنيع من الالفاظ بقوله رضى الله عنه ﴿والتكبر على المتكبر صدقة﴾ لان فيه رد عاله عن كبره وهو لفظ حديث فى الجامع الصغير وفى الاحياء كما نقله شيخنا فى شرحه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار فينبغى للفقير اذا رأى متكبرا ان يظهر له الغنى بالله والعزة ويترفع عنه ولا يميل لما فى يده من حطام الدنيا فان ذلك من الحبرية واخلاق العارفين فرفع الهمة عن الخلق والتوجه الى الله بالكلية من أشرف خصال الحبرية بخلاف الترفع عن الفقراء والتعزز عليهم فانه من شؤم النفس الخبيثة ودسائس الشيطان الرجيم والاعمال بالنية والتكبر ضد التواضع وهو كما فسره النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الكبر بطر الحق وغمص الناس فبطر الحق رده وجحده والدفع فى صدره كدفع الصائل وغمص الناس احتقارهم وازدراءهم ومتى احتقرهم وازدراهم منع حقوقهم وجحدها واستهان بها وقد ذم الله تعالى المتكبرين فى مواضع عديدة من القرآن الكريم وكذلك فى السنة قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر رواه مسلم وفى الصحيحين مرفوعا ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ متكبر وفى حديث احتجاج الجنة والنار ان النار قالت مالى لا يدخلنى الا الجبارون والمتكبرون وهو فى الصحيح وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل العزة ازارى والكبر ياء ردائى فمن نازعنى فقد عذبته وفى جامع الترمذى لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى ديوان الجبارين فيصيبه ما أصابهم وقد مدح الله المتواضعين فى آيات كثيرة قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أى بسكينة ووقار متواضعين غير آشرين ولا مرحين ولا متكبرين قال الحسن رضى الله عنه علماء حلماء وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا والهون

بالفتح فى اللغة الرفق واللين والهون بالضم الهوان فالمفتوح صفة أهل الايمان والمضموم صفة أهل الكفران وفى صحيح مسلم من حديث عياض رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يمر على الصبيان فيسلم عليهم فكانت الامة تأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وكان اذا أكل لعق أصابعه الثلاث ويكون فى بيته فى خدمة أهله ولم يكن ينتقم لنفسه قط وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب الشاة لاهله ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين ويمشى مع الارملة واليتيم فى حاجتهما ويبدأ من لقيه بالسلام ويجيب دعوة من دعاه ولو الى أيسر شئ وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طلق الوجه بساما متواضعا من غير ذل جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين لين الجانب لهم وقال الا أخبركم بمن يحرم على النار أو تحرم عليه النار على كل قريب هين لين سهل رواه الترمذى وقال حسن وقال لو دعيت الى كراع أو ذراع لاجبت ولو اهدى الى كراع أو ذراع لقبلت رواه البخارى وكان يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف * وحقيقة التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وقيل التواضع ان لا ترى لنفسك قيمة فمن رأى لها قيمة فليس له فى التواضع نصيب وقال الجنيد رحمه الله تعالى هو خفض الجناح ولين الجانب وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى هو ان لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى فى الخلق شرا منه وقال ابن عطاء هو قبول الحق ممن كان والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر فهو كطلب الماء من النار وقال ابراهيم بن شيبان الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة ويذكر عن سفيان الثورى رضى الله عنه قال أعز الخلق خمسة أنفس عالم زاهد وفقيه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكر وشريف سنى وقال عروة بن الزبير رضى الله عنهما رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على عاتقه قربة ماء قلت يا أمير المؤمنين لا ينبغى لك هذا فقال لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها وولى أبو هريرة رضى الله عنه امارة مرة فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره وهو يقول طرقوا للامير وركب زيد بن ثابت رضى الله عنه فدنا ابن عباس رضى الله

عنهما

عنهما ليأخذ بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا ان نفعل بكبرائنا فقال زيد أرني يدك فأخرجها اليه فقبلها وقال هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين الصحابة حللا فبعث الى معاذ حلة مثمنة فباعها واشترى بثمنها ستة أعبد فاعتقهم فبلغ عمر فبعث اليه بعد ذلك حلة دونها فعاتبه معاذ فقال لانك بعت الاولى فقال معاذ وما عليك أدفع الى نصيبي وقد حلفت لاضربن بهار أسك فقال عمر رضي الله عنه رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ ومر الحسين بن علي بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل فأكل معهم ثم حملهم الى منزله وأطعمهم وكساهم وقال انما لهم لانهم لم يجدوا شيأ غير ما أطعمونى ونحن نجد أكثر منه ويذكر ان أبا ذر عير بلالا رضي الله عنه بسواده ثم انه ندم فألقى نفسه وحلف لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه فلم يرفع راسه حتى فعل بلال وقال رجاء ابن حيوة قومت ثياب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يخطب باثني عشر درهما وكانت قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة ورأى محمد بن واسع ابناله يمشي مشية منكرة فقال تدري بكم اشتريت أمك بثلاث مائة درهم وأبوك لا أكثر الله في المسلمين مثله أنا وأنت نمشي هذه المشية وقال ابراهيم ابن أدهم رضي الله عنه ما سررت في عمري الا ثلاث مرات كنت في سفينة رجل مضحك كان يقول كنا في بلاد الترك فآخذ العلج هكذا وكان يأخذ بشعر رأسي ويهزني كانه لم يكن في السفينة أحقر مني والاخرى كنت عليلا في مسجد فدخل المؤذن تلك الليلة وقال اخرج فلم أطق فأخذ برجلي وجرني الى خارج والأخرى كنت بالشام وعلى فروفنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل لكثرته فسرني ذلك * وفي رواية أخرى كنت يوما جالسا فجاء انسان وبال علي * وقال بعضهم رأيت في الطواف رجلا بين يديه شاكرية يمنعون الناس لاجله من الطواف ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يسأل شيأ فتعجبت فقال لي اني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه هناك فابتلاني الله بالذل في موضع يترفع الناس فيه وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابنا له اشترى خاتما بألف درهم فكتب اليه عمر بلغني انك اشتريت فصا بألف درهم فاذا أتاك كتابي فبع الخاتم واشبع فيه ألف بطن واتخذ خاتما بدرهمين واجعل فصه حديدا صلبا واكتب عليه رحم الله امرأ

عرف قدر نفسه اه * واعلم يا أخي أن أول ذنب عصي الله به الكبر والحرص فكان الكبر ذنب ابليس اللعين فآل أمره الى ما آل اليه وذنب آدم صلى الله عليه وسلم كان من الحرص والشهوة فكان عاقبته التوبة والهداية وذنب ابليس حمله على الاحتجاج بالقدر والاصرار وذنب آدم أوجب له اضافته الى نفسه والاعتراف به والاستغفار فاهل الكبر والاصرار والاحتجاج بالاقدار مع شيخهم وقائدهم الى النار ابليس وأهل الشهوة المستغفرون التائبون المعترفون بالذنوب الذين لا يحتجون عليها بالقدر مع أبيهم آدم في الجنة ولما كان مما يعين على التواضع وهضم النفس وخلع رداء الكبر عنها صحبة الفقراء وخلطتهم والنظر لاحوالهم وخلطة الاغنياء بالضد * قال رضي الله عنه ﴿ المخالطة مع الاغنياء تورث الطمع فيما في أيديهم ﴾ ليضاهيهم في فضول ما هم عليه من المأكل والمشرب والمنكح والمسكن وفضول ذلك كله قاتل للمريد وحجاب عظيم فقد ورد في جملة أحاديث كثيرة أن فضول المطاعم والشهوات تقسي القلب وقد روى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم * قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة المنهمكين على الدنيا ومخالطة أبنائها * قال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق * قال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون أبدا * قال الامام القشيري فارباب المجاهدات اذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا الى المستحسنات ولا يتأتى لهم ترك النظر اليها الا بالاعراض عن ذويها وعدم المخالطة معهم فان النفوس تسرق الطباع بالمخالطة من خير وشر وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه * وفي الاخبار السالفة أن الله تعالى أوحى الى موسى

عليه

عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ وصاحب لا يوازرك على مبرتي فهو لك عدو * وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود مالي أراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على مبرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني * وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال لان أقع من فوق قصر فانحطم أحب الي من مجالسة الغني لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء * وفي الخبر الصحيح من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه لان المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع الغني بنفسه ولسانه ذهب دينه كله اه وما أحسن قول أبي اسحق ابراهيم بن مسعود البري في هذا المعنى

تخف أبناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبتا
وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامري اذا لمستا

والمراد من الاغنياء الذين خلطتهم تفيد الطمع في الدنيا وتقسي القلب المنهمكون في الدنيا وتعاطيها المستغرقون أوقاتهم في تحصيلها أما أغنياء القلوب فخلطتهم دواء لكل قلب محجوب وغنى القلب هو الراجي لما أعطاه الله المستغني عن كل ماسواه فهؤلاء داخلون تحت قوله ﴿ ومع الفقراء تورث القنوع ﴾ أي القناعة وهي في اللغة الرضا بالقسم وفي اصطلاح أهل الحقيقة السكون عند عدم المألوفات وقيل هي الاكتفاء بالقليل * وقيل هي الاستغناء بالموجود وترك التطلع الى المفقود * وقال عكرمة وغيره من أئمة اللغة في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بالحياة الطيبة القناعة في الدنيا وهي الرزق الحسن في قوله تعالى ليرزقنهم الله رزقا حسنا * قال عليه الصلاة والسلام ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وفي الزبور القانع غني وان كان جائعا * وقال بعض الحكماء من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة والفقر وصف ذاتي في كل انسان وقد وقع لفظ الفقراء في القرآن في ثلاث مواضع أحدها قوله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا

أى الصدقات لهؤلاء وكانوا أفقر المهاجرين نحو أربعمائة لم يكن لهم مسكن بالمدينة ولا عشائر وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله والطاعة والعبادة فكانوا وقفا على كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل الصفة والموضع الثانى قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية والموضع الثالث قوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله فالصنف الاول خواص الفقراء والثانى فقراء المسلمين خاصهم وعامهم والثالث الفقر العام لاهل الارض كلهم غنيهم وفقيرهم ومؤمنهم وكافرهم فالفقراء الموصوفون فى الآية الاولى يقابلهم أصحاب الجدة ومن ليس محصرا فى سبيل الله ومن لا يكتم فقره تعففا يقابلهم أكثر من مقابلة الصنف الثانى والصنف الثانى يقابلهم الاغنياء أهل الجدة ويدخل فيهم المتعفف وغيره والمحصر فى سبيل الله وغيره والصنف الثالث لا مقابل لهم بل الله وحده الغنى وكل ماسواه فقير اليه ومراد القوم بالفقر شئ أخص من هذا كله وهو تحقيق العبودية والافتقار الى الله تعالى فى كل حالة وهذا أجل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولبها وعزل النفس عن مزاحمة الربوبية وسئل عنه يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه فقال حقيقته أن لا تستغنى الا بالله وبرسمه عدم الاسباب كلها بمعنى عدم الوثوق بها والوثوق معها وقيل لبعضهم متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم يبق عليه بقية فقيل له وكيف ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا لم يكن له فهو له وهذا من أحسن العبارات عن معنى الفقر الذى يشير اليه القوم وهو أن يصير كله لله لا يبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه فمتى بقى فى قلبه شئ من أحكام نفسه ففقره مدخول ثم فسر ذلك بقوله اذا كان له فليس له أى اذا كان لنفسه فليس لله واذا لم يكن لنفسه فهو لله فحقيقة الفقر اذا ان لا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شئ بحيث يكون كلك فهو لله تعالى واذا كنت لنفسك فثم ملكك واستغناء مناف للفقر وهذا الفقر الذى يشيرون اليه لا ينافيه الجدة ولا الاملاك فقد كان رسل الله وأنبياؤه فى ذروته مع جدتهم وملكهم كابراهيم الخليل عليه السلام كان أبا الضيفان وكانت له المواشى والاموال وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ووجدك عائلا فاغنى فكانوا أغنياء فى فقرهم فقراء فى غناهم اه والفقر شعار الاولياء وحلية الاصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الاتقياء والانبياء والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسراره بين خلقه بهم

يصون الخلق وبيركاتهم يبسط عليهم الرزق والفقراء الصبر جلساء الله تعالى يوم القيامة بذلك ورد الخبر وفي حديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وقيل ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال تريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل وقال معاذ النسفي ما أهلك الله تعالى قوما وان عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم ولو لم تكن للفقر فضيلة غير ارادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لانه يحتاج الى شرائها والغني يحتاج الى بيعها فهذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم وقال ابراهيم القصار الفقر لباس الرضا اذا تحقق العبد فيه وقدم على الاستاذ أبي علي الدقاق فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنسوة مسح فقال له بعض أصحابنا بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشتريته بالدنيا فطلب مني بالآخرة فلم أبعه وقام فقير في مجلس يطلب شيأ وقال اني جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال كذبت ان الفقر سر وهو لا يضع سره عند من يحمله الى من يريد وكان الجنيد يقول يا معشر الفقراء انكم تعرفون بالله وتكرمون لله فانظروا كيف تكونون مع الله عز وجل اذا خلوتم به وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الاغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شئ عملتك تحت التراب وقيل للربيع بن خيثم قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله تعالى من أن يجيعنا انما يجيع اولياءه وقال ابراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلبت الناس الغنى فاستقبلهم الفقر وقال بعض العارفين ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا أن يدخل عليه فيفسد عليه فقره كما ان الغني يحترز من الفقر حذرا أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام تريد أن تكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع قال نعم قال عد المريض وكن لثياب الفقراء قاليا فجعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يغلي ثيابهم ويعود المرضى وقال سهل بن عبد الله خمسة أشياء من جوهر النفس فقير يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر الفرح ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة ورجل يصوم

بالنهار ويقوم بالليل ولا يظهر ضعفا وقال بشر بن الحارث أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر الى القبر وقال الشبلي أدنى علامات الفقران لو كانت الدنيا بأسرها لاحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله انه لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره وقال عبد الله بن المبارك اظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر قال القشيري في رسالته سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت هلال بن محمد يقول سمعت النقاش يقول سمعت بنانا المصري يقول كنت بمكة قاعدا وشاب بين يدي فجاءه انسان وحمل اليه كيسا فيه دراهم ووضع بين يديه فقال لا حاجة لي فيه فقال فرقه على المساكين فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيأ لنفسه فقلت لو تركت لنفسك مما كان معك شيأ قال لم أعلم أني أعيش الى هذا اليوم فاذا كان الفقراء بهذه المثابة وعلمت ان النفس شأنها التي جبلت عليه حب المضاهاة والاقتداء بالجليس وان الطباع يسرق من طباع خليطه كانت صحبة الفقراء تورث القناعة التي فيها الشرف والعز وكانت صحبة الاغنياء تورث الطمع في الدنيا وانما تبعث على صحبة الفقراء قصر الامل وهذا انما يكون بتذكر الموت ومفارقة الدنيا وأنفع شئ في ذلك زيارة القبور فانها تذكر الآخرة وتبعث على قصر الامل في الدنيا * فلهذا قال رضي الله عنه ﴿ وزيارة القبور تورث الخشوع ﴾ قال القرطبي في تذكرته قال العلماء رحمة الله تعالى عليهم ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة ان كانت القلوب قاسية فان زيارة القبور ومشاهدة الاموات تبعث على ذكر الموت الذي فيه حياة القلب وانارته كما روي عن امرأة شكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت لها اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة على ذلك واذا أكثر من زيارة القبور والتفكر فيما صاروا اليه بعد النعيم والتمتع بالدنيا انبعثت من نفسه حالة تذهب عنه الفرح في الدنيا ويهون عليه المصائب ويلين قلبه ويرتدع عن كثير من المعاصي وقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زوروا القبور فانها تذكر الآخرة وترهد في الدنيا وينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتادب بآدابها ويحضر قلبه عند اتيانها ولا يكون حظه الطواف على الاجداث هذه حالة تشارك فيها البهائم ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه أو نفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن على ما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى ويجتنب المشي على المقابر والجلوس

عليها

عليها اذا دخل المقابر ويخلع نعليه كما جاء في أحاديث ويسلم اذا دخل المقابر
ويخاطبهم خطاب الحاضرين فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين كذلك كان
صلى الله عليه وسلم يقول وكني بالدار عن عمارها وسكانها ولذلك خاطبهم بالكاف
والميم لان العرب تعبر بالمنزل عن أهله واذا وصل الى القبر الذي يعرفه سلم عليه أيضا
فيقول عليك السلام روى الترمذي في جامعه ان رجلا دخل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام لا تقل عليك السلام فان
عليك السلام تحية الميت وأتاه من تلقاء وجهه في زيارته كمخاطبته حيا ولو خاطبه
حيا لكان الادب استقباله بوجهه فكذلك ههنا ثم يعتبر بمن صار تحت الثرى
وانقطع عن الاهل والاحباب بعد ان قاد الجيوش والعساكر ونافس الاصحاب
والعشائر وجمع الاموال والذخائر فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه وحول لم يرتقبه
فليتأمل الزائر حال من مضى اليه من اخوانه ودرج من الذين بلغوا الآمال
وجمعوا الاموال كيف انقطعت آمالهم ومحي التراب محاسن وجوههم واقترفت
في القبور اجزاؤهم وترمل بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتيم أولادهم واقتسم غيرهم
طرقهم وبلادهم وليعتبر فيما كانوا عليه من ترددهم في المآرب وحرصهم على
نيل المطالب وانخداعهم لموتات الاسباب وركونهم الى الصحة والشباب وليعلم ان
ميله الى اللهو وكميلهم وغفلته كغفلتهم وانه لابد صائر الى مصيرهم وليحضر بقلبه
ذكر من كان متردد في أغراضه وكيف تهدمت رحلاه وكان يتلذذ بالنظر الى
ماخوله وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه وليتحقق ان
حاله كحاله وماله كماله وعند هذا التذكير والاعتبار تزول عنه جميع الاغيار
الدنيوية ويقبل على الاعمال الاخروية فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه
ويلين قلبه وتخشع جوارحه * واعلم ان زيارة القبور متفق عليها عند العلماء مختلف
فيها للنساء أما الشواب فحرام عليهن الخروج وأما القواعد فيباح لهن ذلك وجائز
لجميعهن ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف في هذا ان شاء الله تعالى
وعلى هذا المعنى يكون قوله عليه الصلاة والسلام زوروا القبور عام وأما موضع أو
وقت يخشى عليه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يحل ولا يجوز فبينما الرجل
يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن وبالعكس فيرجع كل واحد من
الرجال والنساء مأزورا غير مأجور وهذا واضح والله تعالى أعلم * واعلم ان مداواة

القلوب القاسية باربعة أحوال الاول ذكر الموت كما تقدم والثانى زيارة القبور مع الآداب المتقدمة والثالث مشاهدة أحوال المحتضرين فان فى النظر الى الميت ومشاهدة نزعاته وسكراته وتأمل صورته بعد مماته مما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الاجفان من النوم والبدن من الراحة ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد والتعب والرابع الاقلاع عما هو عليه بمجالسة العلماء بالوعظ والتذكير والتخويف الترغيب وأخبار الصالحين فان ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها * ولهذا قال رضى الله عنه ﴿ ومجالسة العلماء تزيد العرفان ﴾ والمراد من العلماء العاملون بما علموه من العلم النافع سيما اذا كانت همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ فى حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل فى أموره الا على الله تعالى قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقضى لها حظا ويكون فى أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذا مع كونه عالما هو عارف بالله تعالى وهذا هو الذى أشار الى صحبته ومجالسته ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه حيث قال لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله * وأما علماء الدنيا المنهمكين على حطامها فلا ثمرة فى مجالستهم الا اذا دعت الضرورة الى سؤاله عن حكم دينى فيجالس بقدر قضاء الحاجة وفهم السؤال ولا يسترسل اليه كل الاسترسال ولا يصاحب كل الصحبة فان الطبع سراق قال سهل بن عبد الله احذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن حسين الرازى قلت لذى النون المصرى من أصحب فقال من لا تكتمه شيأ يعلمه الله منك وقال حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى ان العجب بالعمل منفى فى صحبتهم وقال الجنيد اذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء * والحاصل من هذا ان العالم اذا كان عاملا فمجالسته تزيد فى المعرفة وتنور القلب وتبعث على الاقبال على الله تعالى سيما اذا كان مع ذلك من العارفين بالله تعالى فان صحبته ومجالسته ترياق أعظم لسموم الغفلات والانهماك فى المعاصى والشهوات بخلاف صحبة الجاهل كما قال رضى الله عنه ﴿ ومجالسة الجهلاء تنقص الاحسان ﴾ للاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة

ولربما صاحبته للجاهل ومجالسته له ولو كان على غاية من النقص فى نفسه ترى نفسه فضلا وانه لكل صالحة أهلا كما قال العارف بالله تعالى ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك لمن هو أسوء حالا منك وهذه أعظم آفة تدخل على المريد بصحبة أهل المعاصى الجاهلين فانه اذا رأى من ذلك الجاهل صفة لم تكن فيه يقول الحمد لله انا لا يقع منى ذلك الامر ويرى لنفسه مقاما واحسانا وهو فى جملة الهالكين فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا الاشرار ويرزقنا صحبة الاخيار مع الاقتداء بهم والحب لهم بحرمة النبى صلى الله عليه وسلم ومن جملة الجهلاء مع زيادة فى الوصف الذميم الاحداث الذين أشار الاستاذ رضى الله عنه اليهم بقوله ﴿ لا تخالط الاحداث الا بعد الكمال ولا تمل الى النساء ان كنت طالب الوصال ﴾ قال سيدى محمد بن ذكرى فى شرح النصيحة الكافية لابن زورق رضى الله عنهما عند قول الماتن ومن أعظم الآفات صحبة الاحداث قال المصنف فى شرح المباحث الاحداث جمع حدث ومرادهم به من لا ثبات له وهم ثلاثة الحدث سنا وهو الصغير الذى لم يميز حقائق الامور وله ولوع بكل ما يراه ويسمعه من مستحسن فلا تؤمن غائلته فى الانقلاب ثم للنفوس ولوع به من حيث الجمال الصورى أو من حيث التعلق الروحانى أو من حيث الاستقراب والرحمة وقد يكون ذلك من حيث لا يشعر به الشخص وقد يكون من حيث شعوره فصحبتهم آفة حاضرة من حيث شغل البال بحفظه ثم من حيث اشتغال النفس بالميل له ثم من حيث كمون الغدر فى النفوس فصحبته لا خير فيها ثم من البين ان صحبتهم تؤدى الى تكرر النظر اليهم فتميل النفس لهم ويسول لها الشيطان ويزين ويسهى ويعدو يمنى فعند ذلك ينصب القلب بجملته وتنصرف الوجهة كلها لهم وفى المعنى يقول بعض الحكماء

رب حرب ادارتها لفظة * ورب صبابة غرستها لحظة

وهذا هو الداء العضال والسم القتال الذى ما علق بقلب الا وعز على الورى استنفاذه من آساره والا اشتعلت ناره فى مهجة الا وصعب على الخلق تخليصها من ناره وقد قيل نحت الجبال بالاظافير أيسر من ازالة الهوى اذا تمكن من القلب وأيضا تفضى صحبتهم الى الخلوة بهم وهى ممنوعة كما مر وأيضا توقع الناس فى تهمة الجانبين وسوء الظن بهما والوقوع فى عرضهما والناس يظنون السوء فى هذا الباب بأدنى شبهة

وبالجملة فصحبتهم سبب فى عشقهم وهو ممقت من الله وبعد من رحمته وأضر شئ على العبد فى دينه ودنياه وقد تقدم ذكر طرف مما يترتب عليه وعن بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه الله بمحبة المرد وهذه المحبة التى جلبت على قوم لوط ما جلبت فما أتوا الا من هذا العشق قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الانوار القدسية فى بيان قواعد الصوفية كان أبو القاسم القشيرى رحمه الله يقول من أكبر القواطع على المريد مصاحبة الاحداث والنسوان والمساكنة اليهم بميل القلب ومن ابتلاه الله تعالى بشئ من ذلك فباجماع القوم ذلك عبد أهانه الله تعالى وخذله بل عن مصالح نفسه شغله ولولا لطف ألف كرامة أهله لو لم يكن الا انه شغل قلبه بمخلوق فأدخل فيه الشيطان وحرم دخول محبة الحق قلبه قال وأقبح من ذلك كله تهوين مثل ذلك على القلب وهذا الواسطى رحمه الله تعالى يقول اذا أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الانتان والجيف يريد الشباب المرد الذى تميل النفوس القوية اليهم وكان فتح الموصلى رحمه الله تعالى يقول صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الابدال وكلهم أوصونى عند فراقى اياهم وقالوا اتق معاشرة الاحداث قال القشيرى رحمه الله من ارتقى عن حالة الفسق من المريدين وأشار الى ان ذلك من باب محبة الارواح لا الاشباح قلنا له هذا من دسائس النفوس والشيطان فربما خيل الشيطان الى أحدهم ان ذلك لا يضر وان كل جميل فى الوجود انما جماله من جمال الحق تعالى قلنا له ان الذى ادعيت انك تشهد جماله هو الذى حرم عليك ذلك الشهود اه ثم قال فى شرح المباحث ثم الحدث عقلا وهو الذى لا يثبت على حقيقة ولا ينتهج طريقة بل تارة تراه فى الحوت وتارة فى الجموت يتبع كل ناعق ويتنسم كل ناشق وهذا أعظم ضرر امن الذى قبله لفقدان الحقيقة منه وانتفاء قابليتها عنه ثم الحدث دنيا وهو الرجل الامعه الذى يكون مع كل قوم بما هم فيه ونحه بدعواه الى افراد الوجه وتذكيره الى ما فى ذلك من المضار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل واد من قلب ابن آدم شعبة فمن تتبع قلبه تلك الشعاب لم يبال الله فى أى واد أهلكه قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ما سلم من النفاق عبد يعمل على الوفاق اه وهذا النوع غالبه يوجد فى أهل البلاد المشرقية لغلبة الاصطلاح عليهم وقل ما يدخل على من له حقيقة الا من حيث التأويل وهذا أمر يستدرك بالخلوة والانفراد والله تعالى أعلم اه كلامه رضى الله

عنه

عنه *وروى عن سفيان انه دخل الحمام فدخل صبي حسن الوجه فقال أخرجوه عني فاني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل أمرد سبعة عشر شيطانا وقيل كان محمد بن الحسن صبيح الوجه وكان أبو حنيفة يجلسه خلفه أو خلف الاسطوانة لئلا يقع عليه بصره مخافة خيانة العين قيل لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان فتنتهم أشد من فتنة النساء وقد حكى لي الاستاذ رضي الله عنه غير مرة قال كنت ذاهبا لزيارة سيدي الحسين فقابلني ولد من أولاد الاغنياء فأراد يأخذ يدي ليبوسها فتذكرت قول من يرى نقض الوضوء بمس الامرد فوضعت كم الفرجية على يدي خوفا أن يمسها فقبل يدي من فوق الفرجية فلما انصرف سمعت ليدي ذكرا بلفظ أللهُ أللهُ وبقي كذلك الى آخر الليل فعلمت ان هذه ثمرة الورع وعن الثوري ان اللواطة لا تكون في الجنة لان الله تعالى استبعدها واستقبحها وقال ما سقكم بها من أحد من العالمين وسماها خبيثة فعلم ان الجنة لكونها طيبة لطيفة لا تقبل الخبيث وفاعلها الا أن يتداركه الله تعالى بالتوبة النصوح الماحية لجميع الذنوب ولكن قلما يوجد الندم من فاعل ذلك وانما قال الاستاذ ولا تعمل للنساء ان كنت طالب الوصال لان المريد في بدايته لا ينبغي له اذا كان أعزب أن يتزوج ولا اذا كان متزوجا أن يطلق فاذا بلغ مقام الكمال وذاق طعم المعرفة وتمكن في المقام حينئذ لا بأس له ان يتزوج بل يسن في حقه ذلك اذا كان يملك أهبة النكاح المهر والنفقة وقبل البلوغ الى حد الكمال لا ينبغي له أن يشغل نفسه بهم الزواج فانه قل أن يأتي منه شيء قال بعض العارفين تتبعت حال المريدين فما رأيت من تزوج قبل الكمال الا ورجع القهقرى وصار في السير الى وراء لكن اذا لم يتزوج المريد في بدايته ربما تتكلم الناس فيه وقلما يسلم من ألسنة الناس والطعن فيه فيحتاج مع ذلك الى توطين النفس على تحمل البلاء من الخلق *فلهذا قال رضي الله عنه *عليك باحتمال الاذى والصبر على المسكنة *من جميع الانام وينبغي لك ان تشهد ذلك من رحمة الله تعالى بك ونعمته عليك حتى لا تركن الى سواه لا سيما للمريد في ابتداء أمره قبل الكمال فان المريد قبل الكمال مشبه بقرص العسل واقبال الناس عليه بالنحل فاذا اقبال الناس عليه بمنزلة امتصاص النحل واجتناء من ذلك العسل فلا يزال يمصه شيأ فشيأ حتى لا يبقى فيه الا الحثالة وكذلك المريد قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في الانوار القدسية وقد قال سيدي أبو الحسن

الشاذلى رضى الله عنه جرت عادة الحق سبحانه وتعالى مع أنبيائه وأصفيائه ان يسلط عليهم الاذى فى مبتدأ أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرا كما وقع للسيد نوح عليه الصلاة والسلام وكذلك للسيد موسى والسيد يوسف عليهما الصلاة والسلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومهم فالسيد نوح عليه الصلاة والسلام صبر حتى أغرق الله قومه وكذلك السيد موسى صبر حتى أغرق الله فرعون وجنوده وكذلك السيد يوسف صبر حتى صار عزيز مصر واحتاج اليه اخوته وغيرهم وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما أخرجه قومه من مكة رده الله اليها قاهرا بالسيف وكذلك السلف رضى الله عنهم أجمعين لكن منهم من يدوم عليه الاذى طول عمره ويرمى بالزندقة والكفر وغيرهما من الامور الباطنة لان المعاصى الظاهرة تتنزه عنها الفقراء فى الغالب ولو رماهم شخص بها لا يوافق على ذلك فلا يحصل لهم الاذى الكامل بخلاف الامور الباطنة فانها تدوم نسبتهم اليها فى الغالب استصحابا للماقبل فيحصل الاذى الكامل المراد ومنهم من ينسب اليه بعض العقائد الفاسدة فى بعض عمره ثم يتغير الحال تأديبا له ولنفسه لان الميل الى العبد بكثرة الاعتقاد من الخلق غالبا يفسد عليه حاله لانه يصير عنده ركون اليهم فيشتغل قلبه بمحبتهم والحق غيور لا يحب ان يرى فى قلب عبده المؤمن محبة لغيره لانه موضع نظره ولذلك كان ضرر الصديق وخلطته له أشد من ضرر العدو لان العدو يصيبك فى ظاهرك والصديق يصيبك فى قلبك والعدو تصل به الى طريق القرب خير من صديق يحجبك عنها فافهم واحذر من ان تفهم من هذا الكلام خلاف المراد فتخلل باطنك احتمال الاذى لتكون الدولة لك آخرا بالتصرف فى الخلق بالحال والمقال لان العبد المؤمن ليس له دولة فى الدنيا انما هى دار عمل وتحمل مشاق وأكدار اذا علمت ذلك فتحمل الاذى اقتداء بالانبياء والمرسلين والسلف الصالحين فقط فمن كان كذلك نصره الله تعالى من غير عشيرة ولا أهل انما يقدره على احتمال الاذى فلا يبالى به أو بغير ذلك وقد كان أهل بلد أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه يرمونه بالزندقة ويقولون هذا يظهر الاسلام ويخفى الكفر وكان رضى الله عنه من شأنه ان لا يقيم الا فى مواضع الذم وكل موضع لحقوا به وعرفوا شأنه ومدحوه تحول عنه * واعلم ان كثرة الانكار والاعداء لك مما يثبت لك أسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين فعلم ان عداوة المؤمنين للعبد من شقاوته لان قلوب المؤمنين

لاتمقت الا بحق لانهم لا يجتمعون على ضلالة وأعظم نصابهم أربع * واعلم ان الدنيا ليست موضع ظهور الجزاء للتكليف فكل انسان فيها مشغول بنفسه مطلوب بأداء ما كلف به من العمل فمن علم هذا لم يبال كيف أصبح ولا أمسى عند الخلق ولم يلتفت لمدحهم ولا ذمهم لانهم فى محل الحجاب وانظر الى أحواله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا لم يظهر لنا منها الا ما أخبرنا الحق تعالى من علو مرتبته ولولا ذلك جهلنا قدره فى الآخرة يظهر مقامه للخاص والعام فلا يظهر كماله الا فى الآخرة وكذلك كمل الرجال لانها دار ظهور النتائج وأما الدنيا فانما هى دار أعمال فمن طلب ظهور النتائج فيها فقد قلب الموضوع وباع آخرته بعرض من الدنيا فافهم وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لما علم الله سبحانه وتعالى انه لابد ان يتكلم فى أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاوة فنسبوه الى اتخاذ الصاحبة والولد حتى اذا ضاق الولى ذرعا من كلام قيل فيه نادته هواتف الحق هذا وصفك لولا لطفى بك فافهم وطب نفسا وقر عينا بجميع ما يقال فيك فان جميع المنكرين رحمة من الله عليك والا لو عكس الامر وجعلك منكرا عليه كالكافر أو العاصى ماذا كنت تفعل فاحمد الله سبحانه وتعالى واسلك سبيل الاصفياء وكثرة المدح من جميع الخلق لا يغنى عنك من الله شيأ فأنت عنده بخلاف ذلك وكثرة الذم والاذى من الخلق لا يضرك شيأ وأنت عنده بخلاف ذلك بل جميع المنكرين يفارقونك بالموت فهل ينزلون معك فى القبر فيتعصبون عليك ويتولون سؤالك أو حسابك فى الآخرة واحذر حين مدح الخلق لك ان تظهر التواضع فتحقر نفسك لما يعظمونك فان ذلك يزيدك تعظيما عندهم بل اسكت ايهاما لهم بأنك تحب المدح بما ليس فيك هذا هو الاصلح لك دائما فافهم فان قال لك الشيطان هذا مما ينفر القلوب منك وأنت تنفع الناس وتعلمهم الخير وانما يليق هذا الحال بالسواح الذين خربوا حالهم فقل له انما أنظر الى المحرك لهم وهو الله تعالى فان أقام فى باطنهم تعظيما لى عظموني ولا يمكنهم ان يحقروني وأشهد ذلك فضلا منه وان أقام فى باطنهم تحقيرا لى لا يمكنهم التعظيم لى ولو أظهرت لهم كل كرامة فافهم وبالجملة فمن كان قصده التعظيم عند الخلق لم يزل فى تكدير لانه لابد فى الوجود من منكر عليه وطلبه من جميع الخلق ان يقبلوا عليه بالثناء والحمد والاعتقاد جهل منه فلابد له من ذام ومادح ولو كان فى فضل نحو الصحابة رضى الله عنهم وقد كان شخص يذم الامام على بن أبى طالب رضى

الله عنه وينكر عليه فاجتمع به المنكر فاثنى عليه بحضرة الصحابة رضى الله عنهم على
خلاف عادته فقال السيد على رضى الله عنه أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك
فافهم فهمنا الله واياك فان من رضى بعلم الله فيه لا يتغير ولو توجه اليه الثقلان بالذم
والتنقيص ولا يغيره على الله تعالى شئ بل شأن العبد الغفلة عما الناس فيه مطلقا
شغلا بسيده وقد رأيت ها تفا يقول على لسان الحق تعالى من شهد الامور كلها منى لم
يتغير لوجدان ولا فقد ومن خرج من مضرتى سلطت عليه أعدائى فلا يلومن الا
نفسه والسلام فافهم فهمنا الله واياك اه كلام الشعرانى رضى الله عنه * قال العارف
بالله سيدى ابن عطاء الله فى حكمه انما أجرى عليك الاذى على يديهم كيلا تكون
ساكنا اليهم أراد ان يزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلك عنه شئ قال شارحها ابن
عباد رضى الله عنه وجود أذية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما من اعتاد منه
الملاطفة والاكرام والمبرة والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك
الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم فيتحقق بذلك عبوديته لديه عز وجل قال الاستاذ
أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره أذانى انسان مرة فضقت به ذرعا فنمت فرأيت
قائلا يقول لى من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالى بهم وقال بعض
العارفين الصحبة مع العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ولاذلك
لرقد القلب فى ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال الاستاذ عبد السلام
أستاذ الاستاذ أبى الحسن الشاذلى قدس الله سرهما فى دعائه اللهم ان قوما سألوك
ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك
اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك وقال أبو الحسن الوراق النيسابورى
الانس بالخلق وحشة والطمأنينة اليهم حق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم
وهن والثقة بهم ضياع واذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره وتوكله عليه
وصان سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد كانوا الزهاد يخرجون
المال عن الكيس تقربا الى الله تعالى وأهل الصفا والوفا يخرجون الخلق
والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل * قال فى لطائف المنن اعلم ان أولياء الله
تعالى حكمهم فى بدايتهم ان يسلط عليهم الخلق ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم
المزايا وكيلا يسكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا اليهم باستناد ومن أذاك فقد
أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال

صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق وليتعلق بالواحد الحق قال وقال الشيخ أبو الحسن اهرب من خير الناس أكثر ما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك الى آخر ما قال رضى الله عنه * والحاصل ان تسليط الخلق على أولياء الله تعالى فى مبدء ظهورهم سنة الله فى أحبابه وأصفيائه وللصوفية من هذا البلاء الحظ الاوفر فان العارف بالله تعالى ابن أبى جمرة لما اختصر البخارى وشرحه وعرض فيه بانه يرى المصطفى يقظة قاموا عليه وعقدوا له مجلسا والزم بالجلوس فى بيته فلزمه فلم يخرج الا للجمعة حتى مات ولما ألف الحكيم الترمذى نوادر الاصول وختم الاولياء وعلل الشريعة ثاروا عليه ورموه بالعظائم وبطشوا به فجمع كتبه كلها وألقاها فى البحر فاستمرت فيه سنين ثم لفظها على حالها فانتفع الناس بها وثاروا على البوشنجى ونفوه من بلده فسكن نيسابور الى أن مات وافتوا بتكفير أبى الحسن الخراز بمواضع التقطوها من كتبه ونفوه من بلده وشهدوا على الشبلى بالكفر مرارا مع كمال علمه وكثرة مجاهداته وزهده واتباعه للسنة وشهد عليه آخرون بالجنون وادخل البيمارستان ثم نفوه الى أن مات وقام أهل المغرب على الامام أبى بكر الطرطوشى مع علمه وزهده وورعه وتمسكه بالسنة وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاخرجوه من بلاد المغرب بالقيد والزند الى مصر وشهدوا عليه عند السلطان بكلمات من كلام القوم فأقرها وأصرها فأمر بسلخه حيا منكوسا ففعل به ذلك فصار وهو كذلك يقرأ القرآن وأنكروا على أبى القاسم النصراباذى مع علمه وصلاحه وزهده واستقامة طريقه واتباعه للسنة ونفوه الى مكة فلم ينزل فيها حتى مات وقاموا على أبى عبد الله السجزى صاحب الفوائد الحديثية وأخرجوه ونفوه وقاموا على ابن سمعون الواعظ وأذوه وضربوه ومنعوه من الجلوس للوعظ فى الجامع فانقطع فى بيته حتى مات فمنعوا الناس من حضور جنازته مع كماله وجلالته وطعنوا على أبى القاسم بن جميل ورموه بالعظائم فلم يتزلزل عما هو فيه من الاشتغال بالفقه والحديث وصيام الدهر والتزهد والتعبد حتى مات وأذوا الامام العارف شيخ الجماعة أبا الحسن الشاذلى وأخرجوه من بلاد المغرب باتباعه ثم كاتبوا نائب اسكندرية بانه زنديق فاحذروا منه على أنفسكم وأهل بلدتكم ووشوا به الى السلطان فحج فى جماعته وكان الحج قد انقطع لكثرة قطاع الطريق فحار أولا وأخيرا فاعتقده الناس

وعظموه وأجمعوا عليه حينئذ وقتلوا الحلاج والامام أبا القاسم بن قسي صاحب كتاب خلع النعلين وابن برجان صاحب التفسير المشهور والجرجاني مع كونهم أئمة يقتدى بهم * ولما قام عليهم الحاسدون عجزوا عن ان يثبتوا عليهم ما يوجب القتل فعملوا عليهم الحيلة وقالوا للسلطان انه خطب لابن برجان من نحو مائة وثلاثين بلدا فامر بقتلهم وقاموا على العفيف التلمساني صاحب التاليف المشهورة وقالوا هو لحم خنزير في محن صيني وضربوه ونفوه وعقدوا للشيخ عز الدين بن عبد السلام عدة مجالس بسبب كلمة قالها في العقائد ولطف الله به وظفره وغيروا السلطان بيبرس على قاضي القضاة ابن بنت الاعز بعدما كان بينهما من كمال المودة حتى أمر بشقه ثم أمده بلطفه في حكاية طويلة وكان الشيخ عمارة اليمني متضلعا من الفقه والحديث وغيرهما فاغروا به السلطان صلاح الدين وقالوا انه هجاك بقصيدة فلم يتغير السلطان لما كان عليه من مزيد الحلم حتى قالوا انه ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم في شعره ولم يثبت عليه ذلك بل أنكر ان تلك القصيدة التي ذكر ذلك فيها من نظمه فحسن له القاضي الفاضل قتله فقتله وحسدوا شيخ الاسلام ابن أبي شريف وانتهزوا الفرصة باغراء السلطان عليه حتى تشوش منه بسبب افتائه بعدم جواز قتل امرأة ورجل أجنبيين وجدوا في خلوة فهم بالبطش به ثم شنق الرجل والمرأة على باب داره وأمره بالخروج من البلد الى بلده بيت المقدس فوافق ذلك قدوم الخبر بان السلطان سليم قدم الى حلب يريد غزوه فاشتغل بنفسه الى غير ذلك من الوقائع التي لا يمكن حصرها ولا يضيع الله حقا لاحد والله عند قول كل قائل فليتق الله عبد ولينظر ما يقول ولما كان احتمال الاذى من الناس يحتاج الى الصبر على ذلك وتوطين النفس على الذل والمسكنة أشار الى ذلك بقوله رضي الله عنه ﴿ وعليك بالصبر على المسكنة والذل ﴾ تواضعا لله تعالى وهضما للنفس وخلعا لرداء الكبر والانفة ليدخل حضرة الحق سبحانه وتعالى قال الامام أحمد رضي الله عنه ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا وهو واجب باجماع الامة وهو نصف الايمان ونصف الشكر وهو في القرآن على أنواع مأمور به ومنهي عن ضده وايجاب محبته تعالى لاهله وايجاب معيته لهم واخباره بانه خير لاصحابه وايجاب الجزاء لهم باحسن أعمالهم واطلاق البشرى لهم الى غير ذلك وهو في اللغة الحبس والكف ومنه قتل فلان صبرا اذا أمسك وحبس للقتل ومنه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أى احبس نفسك معهم فالصبر حبس النفس عن الجزع والسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش وهو ثلاثة أنواع صبر على طاعة الله تعالى وصبر عن معصية الله وصبر على امتحان الله فالاولان صبر على ما يتعلق بالكسب والثالث صبر على مالا كسب للعبد فيه وباعتبار آخر ينقسم أيضا الى ثلاثة أقسام صبر بالله وصبر لله وصبر مع الله فالاول الاستعانة به ورؤيته انه هو المصبر وان صبر العبد به لا بنفسه كما قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله يعنى ان لم يصبرك هو لم تصبر والثانى ان يكون الباعث على الصبر محبة الله وارادة وجهه والتقرب اليه لا اظهار قوة النفس والاستحماد الى الخلق وغير ذلك من الاغراض والثالث دوران العبد مع مراد الله الدينى منه ومع أحكامه الدينية صابرا نفسه معها سائرا بسيرها مقيما بأقامتها متوجه معها أين توجهت ركائبها فهذا معنى كونه صابرا مع الله أى قد جعل نفسه واقفا على مراد الله وأوامره ومحابه وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين قال الجنيد المسير من الدنيا الى الآخرة سهل هين على المؤمن وهجران الخلق فى حب الله شديد والسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله أشد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس وقال ذو النون الصبر التباعد من المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات العبد وقد أمر الله تعالى فى كتابه بالصبر الجميل الذى لا عتاب معه والهجر الجميل الذى لا أذى معه وفى أثر اسرائيلى أوحى الله تعالى الى نبى من أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك * وقال ابن عيينة فى قوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وأخذوا برأس الامر فجعلهم رأسا والشكوى الى الله تعالى لا تنافى الصبر فان يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل والنبى اذا وعد لا يخلف ثم قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وكذلك أيوب عليه السلام وأخبر الله عنه أنه وجده صابرا مع قوله مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين وانما ينافى الصبر شكوى الله لا الشكوى اليه كما رأى بعضهم رجلا يشكو الى آخر فاقة وضرورة فقال يا هذا أتشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ثم أنشد

واذا عرتك بلية فاصبر لها * صبر الكرام فان ربك أعلم
واذا شكوت الى ابن آدم انما * تشكو الرحيم الى الذى لا يرحم

والصبر على المسكنة والذل بتوطين النفس على التواضع لله ولعباده ورؤية النفس دون كل جليس الذى هو معنى التواضع وأن يتلقى الفاقات بالقبول فانها أعياد المريدين لان مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدورات الاغيار والآثار ولا يتأتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضروب الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لانها من وجودهم لقرب ربهم ورؤيتهم له فى حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء ازدادهم مولاهم قربة وولاء وكان بعضهم يطوف حول الكعبة وهو يقول

مؤتزر بشملتى كما ترى * وصبية باكية كما ترى
وامرأتى عريانة كما ترى * يا من يرى الذى بنا ولا يرى
* أما ترى ما حل بى أما ترى *

فسمعه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها اليه فقال له اليك عنى لو كان معى شئ ما أمكننى ان أقول هذا القول * قال العارف بالله سيدى ابن عطاء الله الاسكندرانى رضى الله عنه فى حكمه ورود الفاقات أعياد المريدين ربما وجدت من المريد فى الفاقات ما لا تجده فى الصوم والصلاة الفاقة بسط المواهب ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء والمساكين وتصحيح الفاقة والفقر عبارة عن التحقق بأوصاف العبودية التى أشار اليها بعد ذلك بقوله تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزته تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته * قال الاستاذ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها أوصاف الربوبية فالك ولها فالزم أوصافك وتعلق بأوصافه * وقد ورد أحاديث كثيرة فى فضل المسكنة والذل وفضل الفقر وما أشبه ذلك فمن ذلك ما رواه أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبى المساكين وقربيهم فان الله

يقربك يوم القيامة رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان * وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الى قوله زمرة المساكين وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغوني في ضعفائكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم رواه أبو داود * وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت يعني النار رواه البغوي في شرح السنة * وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وسنته واذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة رواه في شرح السنة * وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء رواه أحمد والترمذي * وعن محمود بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب رواه أحمد * وقد ورد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره رواه مسلم * وعن مصعب بن سعد قال رأى سعد ان له فضلا على من دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم رواه البخاري وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم رواه البخاري * وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء متفق عليه * وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء متفق عليه * وعن سهل بن سعد قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع وان قال ان يسمع قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا خير من ملء الارض مثل هذا متفق عليه * وعن عمر رضي

الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضجع على رمال حصير ليس بينه و بينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف قلت يارسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال أوفى هذا أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا وفى رواية أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة متفق عليه وعن أبى هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته رواه البخارى والمسكين من لا شئ له والفقير من له شئ يسير وعند بعضهم بالعكس والفقير عند أهل الحقيقة هو الذى لا يجد شيأ غير الله تعالى ولا يستغنى الا به ولا يستريح الا بالحضور معه وعلامته عدم الاسباب كلها قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد وليس المراد من المسكين الطواف الذى يسأل الناس لا عن ضرورة فان ذلك مذموم قال عليه الصلاة والسلام ليس المسكين الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان بل هو الذى لا يجد ما يغنيه ويستحى ان يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه قيل معناه يستحى من الله ان يسأل الناس لكونه طلبا من غير مولاه وقال عليه الصلاة والسلام مفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة * واعلم ان المسكنة والفقر شعار الاولياء وحلية الاصفياء واختيار الله تعالى لخواصه من الانبياء والفقراء صفوة الله تعالى من عباده وموضع سره * واعلم ان الانسان متى كان صابرا على الفقر شاكرا لله تعالى على اختياره له صائنا لديه كاتما للفقر مستغنيا بربه فى فقره لا يغنيه شئ غيره خائفا على زوال نعمة الفقر كما يخاف الغنى على زوال نعمة الغنى فذلك هو الفقير الصادق وهو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام * وحكى ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فردها وقال تريد ان تمحو اسمى من ديوان الفقراء بهذا المقدار وقال بعضهم كان بمكة فقير عليه ثياب رثة لا يخالط الفقراء ولا يجالس الاغنياء وعليه سيما أهل المعرفة فوقعت محبته فى قلبى فحملت اليه مائة درهم وقلت له هذه من وجه حل فاصرفها فى بعض أمورك فنظر الى شذرا ثم قال انى اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والاملاك فكيف أبيعها بمائة

درهم وقيل لو لم يكن للفقير فضيلة الا ارادة سعة حال المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لانه يحتاج الى الشراء والغنى يحتاج للبيع وهذا لعوام الفقراء فكيف لخواصهم والمراد من الذل ذل العبودية لله تعالى وهو الخضوع والانكسار بين يدى الله تعالى والافتقار اليه فان النفس فيها مضاهاة الربوبية ولو قدرت لقالت كما قال فرعون ولكن فرعون قدر فاظهر ومن عجز أضمر وانما يخلص النفس من هذه المضاهاة ذل العبودية وهو أربعة مراتب * الاولى مشتركة بين الخلق كلهم وهى ذل الحاجة * الثانية الفقر الى الله تعالى وأهل السموات والارض محتاجون اليه وهو وحده الغنى وكل أهل السموات والارض يسألونه وهو لا يسأل أحدا * الثالثة ذل المحبة فان المحب ذليل بالذات لمحبوبه وعلى قدر محبته له يكون ذله له والمحبة أسست على الذل للمحبوب كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس فى * حكم الهوى أنف يشال ويقعد

﴿وقال بعضهم﴾

مساكين أهل الحب حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر

* الرابعة ذل شهود المعصية والجناية فاذا اجتمعت هذه المراتب الاربعة كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم اذ يذل له خوفا وخشية ومحبة وانابة وطاعة وفاقة وفقرا وحقيقة ذلك هو الفقر الذى يشير له القوم وهذا المعنى أجل من ان يسمى فقرا بل هو لب العبودية وسرها وحصوله أنفع شئ للعبد وأحب شئ الى الله تعالى وليس المراد من الذل الذل الناشئ من الطمع فيما فى أيدى الناس فان ذلك والعياذ بالله تعالى منه ناشئ من حب الدنيا التى هى رأس كل خطيئة اه ولما كان الصبر على المسكنة والذل من أشرف الحالات بل هى المقصودة من الرياضات والمجاهدات ولا يتأتى له ذلك الا بعد اخراج الصفات المذمومة التى تمنعه عن التخلق باخلاق العارفين والتمسك باذيال الانبياء والمرسلين أشار الشيخ رضى الله عنه بقوله ﴿واخراج الرذائل منك من الحسد والحقد والغل﴾ أى وعليك باخراج الرذائل منك الكامنة فيك كمون النار فى الحجر بالمجاهدة وتصفية النفس وصحبة الشيخ العارف المرشد المسلك الذى يدلك على طريق التصفية والتحلية فهو من عطف السبب على المسبب * قال الشارح الحقد والغل مترادفان والحسد من نتائج الحقد والغل وهما من نتائج الغضب ولذا ذكرهما الشيخ رضى الله تعالى عنه على هذا الترتيب سالكا

طريق الترقى قال عليه الصلاة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وحقيقته أن يكره نعمة الله على أخيه فيحب زوالها عنه يعنى وانتقالها اليه فان كان لا يكره ذلك لأخيه ولا يحب زوالها عنه ولكن يريد لنفسه مثل ذلك سمى غبطة محمودة قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد اه واعلم ان الحسد حسبك ما تعلق به امرئ الا هلك وكفى الحاسد ذما آخر سورة الفلق وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن الكبر فانه منع ابليس عن السجود لآدم والحرص فانه حمل آدم على أكل الشجرة والحسد فانه حمل قابيل على قتل هابيل وقيل الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد قيل الحسود لا يسود وقيل فى تفسير قوله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن قيل هو الحسد وقيل اتق الحسد فانه يؤثر فيك قبل أن يؤثر فى المحسود وقال الاصمعى رأيت اعرابيا له من العمر مائة وعشرون سنة فقلت ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقال ابن المبارك الحمد لله الذى لم يجعل فى قلب أمير ما جعل فى قلب حاسدى وفى بعض الآثار ان فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول قف فأنا ملك الحسد أضرب به وجه صاحبه فانه حاسد وقال معاوية كل انسان أقدر على أن أرضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة ويقال الحاسد ظالم عسوف لا يبقى ولا يذر وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وقيل من علامات الحاسد أن يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت وقال معاوية ليس فى خلال الشر خلة أعدل من الحسد يقتل الحاسد غما قبل المحسود * وقيل أوحى الله تعالى الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام أوصيك بسبعة أشياء لا تغتابن صالح عبادى ولا تحسدن أحدا من عبادى فقال سليمان يارب حسبى وقيل رأى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغبطه فقال ما صفته فقيل كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل الحاسد اذا رأى نعمة بهت واذا رأى عثرة شمت وقيل اذا أردت أن تسلم من الحاسد فلبس عليه أمرك وقيل الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه وقيل اياك أن تتعنى فى مودة من يحسدك فانه لا يقبل احسانك وقيل اذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده وأنشدوا

وحسبك من حاسد بامرئ * ترى حاسديه له راحمينا

وقال كل العداوة قد ترجى مودتها * الا عداوة من عاداك من حسد

﴿ وقال ابن المعتز ﴾

قل للحسود اذا تنفس طعنة * يا ظالما وكانه مظلوم

وقال واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

وأما ترك الحقد والغل فعليه مدار تصفية القلب فان طهارة الصدور عن الغل والغش عماد أمر السادة الصوفية وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لانس بن مالك رضى الله عنه يا بنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة والصوفية رضى الله عنهم هم الذين أحيوا هذه السنة وانما قدروا على احياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم فى الدنيا وتركها على أربابها وطلابها لان مدار الغل والغش انما يتولدان من محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا لاقوام كنست بأرواحهم المزابل فلما سقط عن قلبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لاحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز على أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش والغل قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال أبو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره لان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق حتى ترى أحدهم يحسن لمن أساء اليه ويضمر له الخير ويدعو له فى ظهر الغيب وقد قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه فى متنه * ومما من الله على به انى لا آكل ولا أشرب ولا أجامع ولا أضحك اذا جنا على أحد جناية يؤذينى بها بين الناس حتى أتوجه الى الله تعالى فى سؤال العفو عنه ويلقى الله تعالى فى قلبى انه عفا عنه من كثرة ما دعوت وأقسمت به على الله تعالى وهذا الخلق لم أجتمع باحد من أهله الى وقتى هذا غايتهم الدعاء له بالمغفرة ثم يأكلون ويشربون

ويسكحون ولا عليهم ان كان الله تعالى قبل دعاهم أورده وفي الحديث أيعجز أحدكم أن يكون كابي ضمضم كان اذا أصبح تصدق على الناس بعرضه فيجعل غايته المسامحة لمن نقص عرضه وماذكرناه قدر زائد على ذلك وحكى عن سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه ان شخصا مشى وراءه وصار يلعنه ويسبه والشيخ لا يلتفت اليه فقال له الخادم ياسيدي أما تسمع مايقول لك فقال وماذا يقول هذا شخص تصورت له نفسه بصفات ذميمة فهو يسب تلك الصفات ولست أنا بحمد الله تعالى موصوفا بها اه ولعل الشيخ أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم ألا ترون مايدفع الله عني ليست قريش لي يذمون يذمون مذمما وأنا محمد بن عبد الله ورسول الله والمعنى صحيح لانهم يسبوا صفات مذمومة في مذموم ورسول الله صلى الله عليه وسلم صفاته محمودة في محمود فعلم انه لا يعمل بهذا الخلق الا من أكرم عباد الله لا لعلة أخرى وقد حكى الشيخ عبد الغفار التوصوني ان ذلك كان من خلق الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه فقال حدثني الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ عبد العزيز المنوفي عن خادم الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ان شخصا بالشام كان قد أوجب على نفسه ان يسب الشيخ محيي الدين ويلعنه عقب كل صلاة عشر مرات فلما مات ذلك الشخص خرج الشيخ محيي الدين لجنازته فصلى عليه وحضر دفنه فلما رجع عزم عليه بعض أصحابه ان يأكل عنده شيأ فلما دخل بيته وقدم له الطعام فصار الشيخ مبهوتا من بكرة النهار الى صلاة العشاء لا يهتدي سوى الصلاة ثم يبهت وأخذ صاحب الطعام من ذلك أمر فظن ان الشيخ لم يرطعامه حلالا أو نحو ذلك فلما صلى العشاء الآخرة ضحك وتبسم وأكل فقيل له في ذلك فقال قد كنت عزمت في نفسي ان مات ذلك الشخص اني لا آكل ولا أشرب حتى يغفر الله له من جهة سبه لي اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه من أمته ثم عمل له سبعين ألف لا اله الا الله وأهداها له في صحائفه فلما غفر الله له ضحك الشيخ وأكل اه قال الشيخ عبد الغفار القوصي حكى لي الامام المحب الطبري شيخ الحرمين عن والدته انها كانت تنكر على الشيخ محيي الدين أمورا تسمعها منه فقال لها ولدها الامام لا يجوز لك يا أمي الانكار الا اذا سمعته يتكلم وأما اذا سمعت شيأ من أصحابه فلا يجوز لك الانكار على الشيخ لان ذلك ليس من العدل ولا من الشرع ثم نامت تلك الليلة فرأت الكعبة تطوف بالشيخ محيي الدين حجرا حجرا ثم عادت والتأمت فاستغفرت

الله تعالى وتابت اه وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله عنه يقول جميع
ما نسب الى الاشياخ مما يخالف ظاهر الشرع قل ان يسمعه أحد منهم وانما ذلك
من اتباعهم لقصورهم فربما فهموا من كلام الاشياخ شيأ أخطؤا فى فهمه
فاللوم عليهم لا على الاشياخ اه كلام سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى
الله عنه ولما كان ترك الحسد والحقد والغل ينشأ من الحلم قال رضى الله عنه
﴿ الحلم محمود والغضب مردود ﴾ الحلم عبارة عن انكسار قوة الغضب تحت ساسة
العقل كما قاله شيخنا فى شرحه ثم قال ولعل ابتداءه بالتحلم أى تكلف الحلم الذى هو
كظم الغيظ ثم يصير ديدنا للشخص قال عليه الصلاة والسلام انما الحلم بالتحلم وانما
العلم بالتعلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه فالحلم أشرف من الكظم
وأفضل منه قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا
لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم
وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى
وجملنى بالعافية وقال صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله تعالى قالوا وما هى
يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم
عمن جهل عليك قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلما ان
جهل عليهم لم يجهلوا وهو ثمرة حسن الخلق ويضاده العنف والغضب ولا يعرف
الحلم الا عند الغضب كما لا يعرف الشجاع الا فى الحرب ولا يعرف الاخ الا عند
الحاجة اليه وقوله محمود أى فى الكتاب والسنة قال الله تعالى فى مقام التنويه
بشرف النبى صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقد ورد عن أنس رضى الله
عنه قال قيل يا رسول الله أى المؤمنين أفضل ايمانا فقال أحسنهم خلقا وقال بعض
العارفين الخلق الحسن مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والانسان مستور
بخلقه مشهور بخلقه وقال بعضهم التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق فقد زاد
عليك فى التصوف وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال اذا سمعتمونى أقول
لمملوك أخزاه الله فاشهدوا انه حر وقال الفضيل لو أن العبد أحسن الاحسان كله
وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين وقيل كان عمر اذا رأى واحدا من
عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة
له وكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدع عنا له وقيل للاحنف

ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم المنقرى قيل وما بلغ من خلقه فقال بينما هو جالس فى داره اذ جاء خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يده فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقال النبى صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقيل لذى النون المصرى من أكثر الناس هما فقال أسوأهم خلقا وقال وهب ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحا الا جعل الله ذلك طبيعة فيه وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى وثيابك فطهر وخلقك فحسن وقيل لابراهيم بن أدهم فرحت فى الدنيا قط فقال نعم مرتين احداهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان وبال على والثانى كنت قاعدا فجاء انسان وصفعنى وقيل كان أويس القرنى اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان لابد فارمونى بالصغار كيلا تدموا لساقى فتمنعونى عن الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب الحى وقف وقال يا فتى ان بقى فى قلبك شئ فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحى فيجيبوك وقيل ان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت العقوبة فتبسم وقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى وقيل نزل معروف الكرخى الدجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فحملتهما فتبعها معروف فقال يا أختى أنا معروف لا بأس عليك أللك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهات المصحف وخذ الثوب ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى بالمكابرة وحملوا ما وجدوا فسمعت بعض أصحابنا يقول سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول اجتزت بالسوق فرأيت جبتى على من يزيد فاعرضت ولم ألتفت اليه وقيل كان أبو ذر على حوض يسقى بلالا فأسرع بعض الناس عليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له فى ذلك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل أن يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع وقيل مكتوب فى الانجيل عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله اهل البصرة وقال لقمان لابنه لا تعرف ثلاثة الا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع فى الحرب والاخ عند الحاجة اليه وقيل ليحيى بن

زياد الحارثى وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لا تعلم عليه الحلم وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عبد سيئ الخلق وحكى ان ابراهيم بن أدهم خرج الى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال أين العمران فأشار الى المقبرة فضرب رأسه وأوضحه فلما جاوزه قيل له انه ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتنى سألت الله لك الجنة فقال لم فقال علمت انى أؤجر عليه فلم أرد أن يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر وحكى ان أبا عثمان الحيرى دعاه انسان الى ضيافته فلما وافى باب داره قال يا أستاذ ليس لى حاجة فى دخولك وقد ندمت فانصرف فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال يا استاذ ندمت وأخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى فلما وافى باب داره قال مثل ما قال فى الاول ثم كذلك فعل ذلك فى الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر فلما كان بعد مرات قال يا استاذ أردت أن أختبرك وأخذ يعتذر ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجد مثله فى الكلاب فالكلب اذا دعى حضر واذا زجر انزجر وقيل ان أبا عثمان احتاز بسكة فألقى عليه من سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب وقيل الخلق السيئ يضيق قلب صاحبه لانه لا يسع فيه غير مراده كلما كان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه الى آخر ما ذكره القوم فى حسن الخلق من الرقائق واذا نظرت كلامهم وجدته راجعا الى ان معنى حسن الخلق والمقصود منه عدم الغضب ولهذا قرنهما الاستاذ فى فقرة واحدة والغضب عبارة عن قوة حمية تثور من باطن الانسان فهو نار مستكنة فى القلب استكنان الجمر تحت الرماد ويخرجها الكبر الدفين ولعله من النار التى خلق منها الشيطان وحكمة خلقه فى الانسان انه لما كان معرضا لان يقصد بالهلاك وكان بقاؤه مقصودا خلق الله الغضب من النار وغرزها فى باطنه فاذا قصد باذى اشتعلت نار الغضب وثارت ثورة يغلى منها دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع الى أعالى البدن كما ترتفع النار أو الماء الذى يغلى فلذلك ينصب الى البشرة فتحمر أو تصفر فاذا كان الغضب على من دونه واستشعر القدرة عليه احمر لونه واذا كان على من فوقه واستشعر الخوف واليأس من النصرة تولد منه انقباض الدم وصار حزنا واصفر لونه وان كان على نظيره تردد

الدم من انقباض وانبساط فيصفر تارة ويحمر أخرى ويضرب وعلى الجملة فمحل الغضب القلب ومعناه غليان دم القلب لطلب الانتقام * وللناس فيه ثلاث درجات أولها التفريط وهو فقد هذه القوة أو ضعفها وذلك عدم الحمية وهو مذموم وهو المراد بقول الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار والمطلوب منه الاعتدال وهو الذي وصف الله به الصحابة بقوله أشداء على الكفار رحماء بينهم فينبغي لمن لم يكن عنده تلك القوة أن يجاهد نفسه بالرياضة حتى تحصل عنده والثالث وهو الافراط وهو أن يخرج عن الحد فيغلب صاحبه بحيث لا يقدر أن يدخل تحت سياسة العقل واشارة الشرع فيصير الشخص القائم به كالمضطر فترى ظاهره يتغير وصورة باطنه اقبح فهذا هو الذي أشار اليه الشيخ بقوله مردود أي مذموم صاحبه شرعا فقد روي ان عائشة رضي الله عنها غضبت مرة فقال صلى الله عليه وسلم جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله عليه فأسلم فلا يأمر الا بالخير * وقال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لا يصرفه أحد ولم يقم بين يدي غضبه شيء حتى ينتصر له واذا كان الغضب مذموما فينبغي أن يجاهد الانسان ليقل غضبه ان لم تمكن ازالته بالكلية خصوصا اذا لم يمكن سببه أمرا من ضرورات المعيشة وذلك بان يعرف نفسه وخستها ويعلم انه لا ينبغي له الاستعلاء مع تلك الخسة والدناءة على حد ويعلم ثواب كظم الغيظ ويخوف نفسه بعقاب الله ويحذرها عاقبة الانتقام فان العدو أيضا يشمر لاذائه وتطويل العداوة بينهما ويعلم ان الله تعالى أقدر عليه منه على غيره ويتفكر في قبح صورة غيره عند الغضب ويقيس نفسه عليه ويعلم انه يشبه السبع الضاري اذا استعمل الغضب بخلاف ما اذا استعمل الحلم فانه حينئذ لا يشبه الا الانبياء والاولياء فانه كما ورد كاد الحليم أن يكون نبيا وينبغي أن يقول عند غضبه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغضب وكذلك ينبغي له أن يتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة تتوقد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد ويغتسل فان النار لا يطفئه الا الماء * ولما كان رأس الامر في تحصيل كل صفة محمودة والتوقي عن كل خصلة مذمومة الصبر

لانه لا يتأتى له شئ من ذلك الا بالمجاهدة وهى لا تحصل الا بالصبر على الشدائد والمشاق ولهذا قال رضى الله عنه ﴿ الصبر صفة الاصفياء ﴾ وقد تقدم الكلام على الصبر عند قوله رضى الله عنه وعليك بالصبر على المسكنة والذل وانما كان الصبر صفة الاصفياء جمع صفى وهو من اصطفاه الله تعالى لحضرته وخلصه من كدورات بشريته لانهم ما نالوا تلك المقامات العالية الا بالصبر قال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا * وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر كنز من كنوز الجنة والمراد منه حبس النفس على ما تكره واذا كان الصبر صفة محمودة يتصف بها خواص العبادة فمن لازم ذلك أن تكون العجلة فى الامور مذمومة يتصف بها أراذل الخلق وأوباشهم ولهذا قال رضى الله عنه ﴿ والعجلة نعت الاشقياء ﴾ وهى ضد التؤدة والتأنى وهى مذمومة جدا الا فى أمور الآخرة فانها محمودة وقد ورد فى فضل التؤدة والتأنى فى الامر ليرى عاقبته جملة أحاديث فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة رواه مسلم والاناة بوزن قناة ضد العجلة وهو التؤدة والتأنى فى الامر * وعن سهل بن سعد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الاناة من الله والعجلة من الشيطان رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب * وعن أنس أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال خذ الامر بالتدبير فان رأيت فى عاقبته خيرا فامضه وان خفت غيا فامسك رواه البغوى فى شرح السنة * وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال الاعمش لا أعلمه الا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال التؤدة فى كل شئ خير الا فى عمل الآخرة رواه أبو داود يعنى فى الامور الاخروية من أفعال البر متى هم العبد بها ينبغى امضاؤها على الفور لئلا يحول بينه وبين ما يريد حائل لان كل خير عليه مانع وانما كانت العجلة نعت الاشقياء لان الشقى لا يتروى فى أمره بل متى كان مصادفا لحظ نفسه أمضاه من غير أن يزنه بميزان الشرع وينظر فى عاقبته وذلك من الاعجاب بالرأى والاستبداد به * ولذلك قال رضى الله عنه ﴿ واحذر أن تتصف بالعجب ﴾ لان العجب مذموم قال الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم * وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * وقال تعالى

وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون * وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وحقيقة العجب تكبر يحصل فى الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل فان كان خائفا على زواله فهو غير معجب وان كان يفرح بكونه نعمة من الله تعالى فهو غير معجب بل هو مسرور بفضل الله تعالى وان كان ناظرا اليه من حيث هو صفته غير ملتفت الى امكان الزوال ولا الى المنع به بل الى صفة نفسه فهذا هو العجب وهو من المهلكات وعلاجه أن يتأمل فى العاقبة فانها مجهولة و ينظر الى من سلب من العارفين كبلعام بن باعوراء مع كونه كان يحفظ اسم الله الاعظم وقد ختم له بالكفر والعياذ بالله تعالى وكذلك ابليس فمن تامل امكان سوء الخاتمة وانه مما يمكن لا يعجب بشئ من صفاته * قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه تنبيه المغترين ومن أخلاقهم عدم العجب والادلال بشئ من أعمالهم بل يرون انهم استحقوا النار بصالح أعمالهم عندهم لما يشهدونه فيها من سوء الادب مع الله تعالى وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول كم من سراج أطفأته الريح وكم من عبادة قد أفسدها العجب وكان وهب بن منبه يقول ساعة يزرى فيها العبد بنفسه خير له من عبادة سبعين سنة * وكان الانطاكى يقول أضر الطاعات على العبد ما أنسته مساويه وذكرته بمحاسنه فان من سعادة العبد جعل مساويه نصب عينه فلا يزال يخلان من الله تعالى وان من شقاوة العبد نسيان مساويه وذكر خساسته فيزدادبها اذلالا واغترارا بين الناس فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير والثواب وهو يحسب أنه من الصالحين * وكان الشعبى يقول كان رجل اذا مشى يظله السحاب بفضله فقال رجل لا مشين فى ظله فعجب بنفسه حين رأى الناس يمشون فى ظله فلما افترق ذهب الظل مع ذلك الرجل التابع * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من علامة صدق توبتك أن تعترف لله بذنبك وان من اخلاص عملك أن ترفض عجبك وان من صدق شكرك ان تعترف بتقصيرك * وكان عمر بن عبد العزيز اذا خطب على المنبر خاف العجب قطع الكلام وعدل الى غيره مما لا عجب فيه ويقول اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى * وكان سفيان الثورى اذا كبرت حلقته قام عجلا منها وقال أخذنا ولم نشعر وتبعه الناس مرة وقالوا له مثلك لا يخاف من مثل ذلك فقال بل أنا أخوف الناس من ذلك لدناءة اخلاقى فوالله لو رآنى عمر بن الخطاب

رضى الله عنه جالسا فى هذا المجلس لضربنى بالدرة وأقامنى وقال لى أنت لا تصلح لمثل ذلك * وكان مطرف بن عبد الله يقول لان أبيت قائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا أرى نفسى على النائمين وكانوا يعيبون على العباد لكثرة صيامهم وقيامهم خوفا عليهم من الاعجاب ويقولون لهم تعلموا العلم ثم اعملوا فان لكل عمل أدبا شرعيا * وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول لو أن عمل ابن آدم كله يكون حسنا لكان يهلك من العجب ولكن الله تعالى ابتلاه بشهود النقص فيه رحمة به وقال رجل مرة لابراهيم التيمى رضى الله عنه ما تقول فى هذه المسألة يا فقيه فقال ابراهيم ان زمانا صرت أنا فيه فقيها لزمان سوء * وكان حذيفة المرعشى رضى الله عنه يقول ان لم تخف أن يعذبك الله على أفضل أعمالك فانت هالك وكانت رابعة العدوية تقول أكثر ما أكون راجية للخير حين تقل أعمالى الصالحة أى لكونها كانت معتمدة على أعمالها فخافت وقوع العذاب بها * وكان حسان بن سنان رضى الله عنه يطلب من أعوان الولاة أن يدعوا له فقيل له فى ذلك فقال لعل فى أحدهم خصلة يحبها الله وفى خصلة يبغضها الله ولعلى أرى نفسى خيرا منه فيكون خيرا منى حينئذ ولما مرض عمر بن عبد العزيز أشاروا عليه فى الدفن فى المكان الرابع عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لان يعذبنى الله تعالى بالنار أحب الى من أن يعلم الله من قلبى اننى أرى نفسى أهلا لذلك * وسئل ابن السماك عن حقيقة العجب فقال هو أن تتطاول على الناس بعملك فتحتقر كل من رأيته مقصرا فى العمل وكان يكثر العبادة فيقول له الناس فى ذلك فيقول لا يستكثر عبادته فى عينه الا جاهل بالله فان الملائكة لا تغفل عن عبادة الله طرفة عين ولو أنها استكثرت أعمالها لم يجعلها فى حضرته السماوية * قال وقد بلغنى أنهم يقولون يوم القيامة مع تلك العبادة العظيمة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول ان لم تخف ان يعذبك الله بالنقص الذى فى أعمالك الصالحة عندك فضلا عن معاصيك فأنت هالك * وكان يزيد بن هرون رضى الله عنه يقول نظرت فى قيامى فاذا الحارس يحرس الليلة كلها بدانقين أفيطلب أحدكم الجنة اذا سهر ليلة واحدة بعبادة لعلها لا تساوى دانقين ورب من بها على ربه وكان بشر الحافى يقول اذا رأيت العبد لحوحا مماريا بالعلم معجبا بنفسه فقد استكمل الخسارة * وكان أبو سليمان الدارانى يقول من أعجب بعمله فهو

قدرى أى لانه لو رأى العمل خلق الله لم يعجب به قلت وهذا فى العمل الحسن كما هو معلوم وأما العمل السيئ فلا يجوز له تعريه نفسه عنه بل الواجب عليه أن يتوب ويندم ويستغفر * وكان لعطاء السلمى خدامون يخدمونه فى البيت ويوضؤنه فقالوا له لا تستقذرهؤلاء ان يكونوا فى بيتك فقال والله أنهم عندى أطهر من نفسى وأقل ذنوبا وأقل رياء ونفاقا فكيف يصح لى أن أستقذرهم * وكان أبان بن عياش يقول لا يكره العمل بالرخص الا معجب بنفسه أو صاحب هوى أى لان الرخص لا يحمد أحد فاعلها فلا يحصل عند فاعلها عجب * وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخاف من العجب كل الخوف وكانوا اذا أثنوا عليه بخير يقول اللهم اجعلنى خيرا مما يقولون واغفر لى ما لا يعلمون * وكان عمر بن الخطاب اذا أثنوا عليه يقول اللهم انى أعوذ بك من شر ما يقولون وأسألك أن تغفر لى ما لا يعلمون * وحضر بكر بن عبد الله ومطرف بن عبد الله فكان من دعاء مطرف اللهم لا تردهم فى هذا اليوم من أجلى خائبين وكان من قول بكر بن عبد الله ما أشرف هذه البقعة وما أرجاها للدعاء لو لم أكن فى الناس * وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول رب هالك بالثناء عليه ورب مستدرج بالاحسان اليه * وكان يحيى بن معاذ رضى الله عنه يقول ربما بلغ العجب بالفقر الى أن صار يقول لو عرضت على حور الجنان ما التفت اليهن دون الله وربما رأى جارية من جوار أهل الدنيا فصار قلبه بالميل اليها حتى بلغ الغرض وكان يقول والله لذنب تفتقر به الى الله خير لك من طاعة تفتخر بها على العباد * وكان محمد بن واسع يقول لعباد زمانه أف عليكم دخل العجب فى أعمالكم مع قلتها وقد كان من قبلكم لا يعجبون بأعمالكم مع كثرتها والله ما أنتم الا كالملاعبين بالنظر الى عبادة من قبلكم اه فاعلم يا أخى ذلك وفتش نفسك كل التفتيش فربما تعجب بترك العجب فتكون أسوأ حالا ممن عجب واياك أن ترى نفسك على أحد من المسلمين والحمد لله رب العالمين اه كلام سيدى عبد الوهاب رضى الله عنه وجزاه الله عن المسلمين خيرا الجزاء ولما كان من لازم المعجب بأعماله أن يتكبر على الناس عطف قوله ﴿ والتكبر ﴾ عليه يعنى واياك أن تتصف بالتكبر على الناس بأن ترى نفسك فوقهم فان ذلك موجب للمقت والطرد من حضرة الحق سبحانه فانه منازعة فى صفة الربوبية قال الله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال الله تعالى

وكذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى استفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد وقد ورد كثير من السنة فى ذم الكبر والتكبر قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر رواه مسلم * وعن حارثة بن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره الا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ زنيم متكبر * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس رواه مسلم * وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم وفى رواية ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبر ياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما أدخلته النار * وفى رواية قذفته فى النار رواه مسلم وعن سلمة بن الاكوع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم رواه الترمذى * وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال رواه الترمذى * وعن أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولهى ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وطغى ونسى المبتدا والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله رواه الترمذى والبيهقى فى شعب الايمان وقال ليس اسناده بالقوى * وعن عمر رضى الله عنه قال وهو على المنبر يا أيها الناس تواضعوا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تواضع لله رفعه الله فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم ومن تكبر وضعه الله فهو فى أعين

الناس صغير وفي نفسه كبير حتى هو اهون عليهم من كلب أو خنزير * واعلم ان أكبر صفة في النفس تنشأ من رؤية النفس ومايظهر من التكبر في الظاهر فهو أثر تلك الصفة والكبر ان كان على الله تعالى بأن لا يذعن لامره فذلك هو الكفر التام وان كان على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بأن لا يذعن لبشر مثله فهو أيضا كفر تام * والثالث ان يتكبر على الخلق ويدعوهم الى خدمته والتواضع له وذلك أيضا منازعة الله تعالى في كبريائه فانه لا ينبغي لغيره ان يكون مطاعا ألبتة والكبر ان كان بالمال والجاه فعلاجه ان يتفكر في الموت ومايؤول اليه أمره وان المال زائل ويبقى حسابه وتبعاته عليه يوم القيامة وان كان بالاعمال الصالحة فليتفكر في قبولها فان الامر مجهول ولعلها معلولة مردودة عليه وهو لا يشعر ولينظر في كلام العارفين في أمثال هذا المقام كما قدمناه عن سيدي عبد الوهاب الشعراني وغيره من العارفين ومهما حدثته نفسه بالخلاص من الكبر فذلك نوع كبر أيضا فعليه ان يمتحن نفسه بأربعة أمور أولها ان يجرب نفسه بالمناظرة مع خصم حتى يعلم انه هل يغضب بظهور الحق على يد غيره وهل يشتهي الاستعلاء أم لا الثاني ان يقدم الاقران على نفسه في المحافل الثالث كان يحمل حاجته من الطعام وغيره فهو من السنة ويتعاطى الاعمال في بيته مع غلامه ويأكل معه فذلك كله من السنة ومن جملة ذلك اجابة دعوة الفقير والخروج معهم الى الاسواق وعمل حاجتهم معهم الرابع ليس الثياب البذلة في الملاء قال صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وسلم من حمل حاجته الى بيته فقد أمن الكبر * واعلم ان خير الامور أوساطها فالتواضع المحمود ان يتواضع للاقران في غير مذلة ولما كان الصدق يجر الى أعمال البر كلها وكان الكذب والتجبر يهدي الى الفجور ويجران الى سفاسف الامور قال رضي الله عنه ﴿واياك الكذب والتجبر﴾ اي احذر الكذب فانه من أقبح الخصال لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا من نتن ماجاء به رواه الترمذي * وروى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت به كاذب رواه أبو داود وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر

يهدى الى الجنة ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا
أياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وما
يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه * وفى
رواية لمسلم قال ان الصدق بر وان البر يهدى الى الجنة وان الكذب فجور وان
الفجور يهدى الى النار * وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له رواه
أحمد والترمذى وأبو داود والدارمى * وعن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيانة والكذب رواه أحمد والبيهقى فى
شعب الايمان عن سعيد بن أبى وقاص * وعن صفوان بن سليم انه قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا قال نعم فقيل له أيكون المؤمن بخيلا قال نعم قيل
أيكون المؤمن كذابا قال لا رواه مالك * وعن عبادة بن الصامت ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة أصدقوا اذا حدثتم أوفوا
اذا وعدتم وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم * واعلم
ان الكذب من أعظم آفات اللسان وله آفات كثيرة فاذا حفظ الانسان لسانه سلم
من هذه الآفة التى هى الكذب ومن غيرها فسلامة الانسان فى حفظ لسانه * قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه ألا أخبرك بملاك الدين كله
* قلت بلى يارسول الله قال فأخذ بلسانه فقال أكفف عليك هذا قلت يارسول الله
وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس فى النار
على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وقال صلى الله عليه وسلم ان
العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها فى النار أبعد مابين المشرق والمغرب يعنى أبعد قعرا
من البعد الذى بين المشرق والمغرب وفيه حث على قلة الكلام قال حكيم خلق
الله تعالى أذنين ولسانا واحدا ليكون السماع ضعف الكلام فعلى السالك التدبر
والتفكر عند التكلم ان ترك ملازمة الصمت قال بعض الصلحاء لبعض المريدين
اجعل صومك الصمت عن كل شئ سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك
لا تصوم ولا تتصدق أفضل من ذلك يعنى ان جانب اجتناب المعاصى أولى بالرعاية
من جانب اكتساب النوافل ولذا قيل الحمية رأس كل دواء * وحكى أن أهل
الهند جل معالجتهم المريض الامر بالاحتماء فيمتنع المريض من الاكل والشرب

عدة أيام فيبرأ عن المرض ثم ان حصل الاجتناب والاكتساب جميعا فقد كمل الامر وحصل المراد فليواظب على اجتناب الفضول * وحكى ان واحدا من الصلحاء رأى أخاه فى المنام بعد وفاته وقد تغير وجهه فسأله عن حاله فقال انى معاقب بفضول كلامى وقيل لى ماهذه الصحائف التى امتلأت بفضول كلماتك وقد أحسن من قال

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعدذا عن كل شى

قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أى ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه معينا لذلك * واذا علمت ما يترتب على الفضول من الكلام فما بالك بالكذب المذموم فى سائر الملل والاحكام فعلى المريد حينئذ معانقة الصدق فى سائر أطواره قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال بعض العارفين الصدق عماد الامر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالى درجة النبوة قال الله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية والصادق الاسم اللازم من الصدق والصديق المبالغة منه وهو كثير الصدق الذى الصدق غالبه كالسكير والخمير وبابه وأقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق فى أقواله والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقال أحمد بن خضرويه من أراد ان يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله تعالى قال ان الله مع الصادقين وقد اختلفت كلمات القوم فى الصادق فقيل القول بالحق فى مواطن الهلكة وقيل ان الصدق موافقة السر النطق وهو عند القوم يطلق على الاقوال والافعال فقد كان سهل بن عبد الله يقول لا يشم رائحة الصدق عبد راهن نفسه أو غيره وقال أبو سعيد القرشى الصادق الذى يتهيأ له ان يموت ولا يستحى من سره لو كشف قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * وحكى عن أبى عمر الزجاجى انه قال ماتت أمى فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت بابل استقبلنى واحد من القيافة وقال ايش معك فقلت فى نفسى الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فعدها فاذا هى خمسون دينارا فقال لى خذها فلقد أخذنى صدقك ثم نزل من الدابة فقال اركبها فقلت لا أريد فقال لابد وألح على فركبتها فقال وأنا على أثرك فلما كان العام المستقبل لحق بى ولازمنى حتى مات

* وكان الجنيد يقول حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه الا الكذب وقيل ثلاث لا تخطئ الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وقال ذو النون الصدق سيف الله ما وضع على شئ الا قطعه * وقال سهل بن عبد الله أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وسئل فتح الموصلي عن الصدق فأدخل يده في كير الحداد وأخرج الحديد المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق وقال يوسف بن اسباط لان أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب الي من ان أضرب بسيفي في سبيل الله وقيل عليك بالصدق بحيث تخاف انه يضرك فانه ينفعك ودع الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك وقيل علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف وقيل ما أملق تاجر صدوق والتجبر اما بمعنى التعاظم فهو أثر من آثار الكبر لان من قامت به صفة الكبر يتعاظم على الناس وقد مر قبح ذلك وما ورد في ذمه من الكتاب والسنة واما بمعنى القهر والغلبة وهو بهذا المعنى مندرج تحت أنواع الظلم وصاحبه على كلا المعنيين ممقوت مذموم وهو أقبح أنواع الظلم بعد الكفر بالله تعالى والمعنى احذر من الكذب في الاقوال والتجبر في الافعال بان تفعل فعل الجبارين والاقوال بان تقابل الخلق بالبذاذة والغلظة والفظاظة فان ذلك مخالف لاخلاق الصالحين وأفعال الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * واعلم ان الكذب والتجبر وغيرهما من الصفات الذميمة انما تنشأ في الغالب من مخالطة قرناء السوء فان الطبع يسرق من الطبع والجوار مؤثر يعدى كما يعدى الاجرب السليم فلهذا قال رضي الله عنه ﴿لا تخالط من ليس مطلبه كمطلبك﴾ بان كان طالبا للدنيا والحطام الفاني منهمكا على الاشتغال بها صارفا عمره في لذائذها ومطلبك أيها المريد حضرة الحق سبحانه وتعالى فهذا صحبته لطالب الحق سم قاتل وداء معضل ﴿ولو كان شريفا﴾ نسبا وحسبا أو باعتبار منصب الدنيا ومقامه عند أبنائها فان مخالطته تضر بالدين وتخفض الى أسفل السافلين * قال بشر بن الحارث صحبة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار ﴿واختر لنفسك صديقا من الاخوان﴾ ناصح لك في سرك والاعلان أمين مؤتمن غير خوان يدلك على الله بقاله وينهض همتك في الله بحاله ان نسيت ذكرك وان ذكرت أعانك * قال بعض العارفين

اصحبوا مع الله تعالى فان لم تطيقوا فأصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركات صحبتهم الى صحبة الله عز وجل * وحاصل ماذكره الشيخ رضى الله عنه فى هذه الحكمة ان مداواة أمراض القلب واجبة على المريد وأمراضه انما تكون وتنشأ من علته أحكام الطبع عليه من صحبته الاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وانه بعالم الحس ومداواة هذا المرض تتأتى من وجوه كثيرة أنفعها العزلة عن الناس الذين مطلبهم غير مطلبه فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يؤمن من دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصى التى يتعرض لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والكذب لهم والرياء والتصنع ويتحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والاخلاق الدنية ويستفيد أيضا بذلك صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض فى امثال هذا فواجب على المعتزل أن يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وماهم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء الى أراجيف البلد وما اشتملت عليه من الاحوال وليجتنب المريد كل الاجتناب من لا يتورع فى منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال فى دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤدى الى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفرمنه فراره من الاسد ولا يجتمع معه فى مكان ألبتة وليتنكر الى كل من تعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف * وفى الخبر مثل الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفى الاخبار السالفة ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ أوصاحب لا يوازرك على مبرتى فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود مالى أراك منتبذا وحدانيا فقال الهى قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على مبرتى فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسى قلبك ويباعدك منى وما أحسن قول أبى اسحق ابراهيم بن مسعود البيرى فى هذا المعنى

فخف أبناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبتا

وخالطهم

وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامرى اذ المستا

* وقد روى عن عيسى عليه السلام انه قال لاتجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفى الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتى ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة قال أبو طالب المكى وأضر ما ابتلى به العبد وأدخله وأعمله فى هلاكه وأشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه وقوة اليقين أصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لاتنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لابدلى قال لاتسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابدلى قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت أنا بين أظهرهم لابدلى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال ياهذا أتنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا مالا يكون أبدا فلهذا قال رضى الله عنه ﴿ واهجر الخوانين ﴾ الذين لا يراعون حق الصحبة ولا ينصحون وعن الآخرة هم غافلون ولكن اذا هجرت فاهجر الهجر الجميل وهو الذى لا ايذاء معه كما قال الله تعالى واهجرهم هجرا جميلا ولذا قال ﴿ هجر أهل الاحسان ﴾ وقيل هو الهجر بالقلب وان خالطهم بحسب ظاهره فهو مجتنب بعيد عنهم بحسب باطنه * ولهذا قيل فى وصف العارف كائن بائن وهذا كما قيل فى الصبر الجميل الذى لا شكوى معه والصفح الجميل الذى لا عتاب معه ولما كان السفر من جملة ما يقطع المريد فى بدايته عن الاتصاف بما تقدم من المقامات السنية والاحوال العلية ويحمله على ارتكاب الرخص والتأويلات الا لغرض شرعى جليل كطلب الشيخ المسلك وزيارة العارفين بالله ممن لم يكن فى بلده ولا يتوصل اليه الا بالسفر أو بقصد زيارة احدى المساجد الثلاث التى لا تشد الرحال الا اليها ولا يعول فى السفر الا عليها أشار الشيخ رضى الله عنه الى الامر بتقليل الاسفار بقوله ﴿ قلل الاسفار ﴾ جمع سفر وهو عبارة هنا عن السير بحركة الابدان بنقل الاقدام والتنقل فى البلدان وانما سمى سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال وانما أمر الشيخ رضى الله عنه المريد قبل الكمال بتقليل الاسفار لكون السفر لا يخلو من متاعب وكلف

ومشوشات وطوارق ونوازل تتجدد ويضعف عن سياستها بالعلم الضعفاء ولا يقدر على تسليط العلم على متحددات السفر وطوارقه الا الاقوياء قال عمر بن الخطاب للذى زكى عنده رجلا هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه وكلام الشيخ رضى الله عنه محمول على من يسر الله تعالى له فى بداية أمره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما يسلك به الطريق ويدرجه الى منازل التحقيق فهذا ينبغى له ان يلزم مواضع ارادته ويلتزم صحبة من يرده من عادته فمن رزق كذلك يحرم عليه السفر فهذه الصحبة خير له من سفر وفضيلة يقصدها ثم اذا أحكم أمره فى البداية بلزوم الصحبة وحسن الاقتداء وارتوى من الاحوال وبلغ مبلغ الرجال وانبجس من قلبه عيون ماء الحياة وصارت نفسه مكتسبة للسعادات يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين من الاخوان فى أقطار الارض وشاسع البلدان يشرئب الى التلاق وينبعث الى التطواف فى الآفاق فكذلك يحمد له السير وتتفجر منه على الخلائق فيوضات البر والخير فينبغى له السير فى البلاد لفائدة العباد وليبذر فى أراضى القلوب بذر الفلاح ويكثر بركته ونفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الامة الهادية فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ليعود بركة البعض على البعض وتسرى الاحوال من البعض الى البعض ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الافادة منشورا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ هذا وقد اختلف أحوال المشايخ الصوفية فى السفر فمنهم من سافر فى بدايته وأقام فى نهايته ومنهم من أقام فى بدايته وسافر فى نهايته وهو الذى اختاره الشيخ هنا ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الاقامة والامور بمقاصدها وقوله ﴿ ولو بالفكر والخيال ﴾ اشارة الى الاعراض عن تعلق القلب به والتفكر فيه فان ذلك مما يشوش على المريد حاله ﴿ لانها ﴾ أى الاسفار ﴿ تقطع السالكين عن الوصال ﴾ الى المطلوب الاعظم وتمنع من دوام السلوك الى ملك الملوك وهذا كله قبل الكمال والوصول الى حضرة القريب المتعال ﴿ ومتى وصلت ﴾ الى المطلوب وحصلت على المرغوب ﴿ لا تعتزل الاسفار ﴾ أى لا تتركها لما فيها بعد الكمال من زيادة الفوائد والاقبال

منها

منها زيادة اكتساب المعارف والعلوم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام الى أقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضائعا ونقل ان جابر بن عبد الله رحل من المدينة الى مصر فى شهر لحديث بلغه ان عبد الله ابن أنيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع وقيل فى قوله تعالى السائحون انهم طلاب العلم وعنه صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل أوحى الى انه من سلك مسلكا فى طلب العلم سهلت له طريقا الى الجنة ومن جملة مقاصد السفر لقاء العارفين والاخوان الصادقين فللمريد بلقاء كل صادق مريد وقد ينفع اللحظ أكثر من نفع اللفظ ولهذا قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه وهذا القول فيه وجهان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه فى مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ ومن لا يكون أفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه * ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية اللقب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها والوجه الثانى ان نظر العلماء الراسخين فى العلم والرجال البالغين تريا ق نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستنشق بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله لمواهب الله الخاصة فيقع فى قلبه محبة الصادق المريد وينظر اليه نظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالا سنية ويهبون آثارا مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى ان الله كما جعل فى بعض الافاعى من الخاصية انه اذا نظر الى الانسان يهلكه بنظر بان يجعل فى نظر بعض خواص عباده انه اذا نظر الى طالب صادق يكسبه حالا وحياة كذا فى عوارف المعارف للسهروردى وحكى عن شيخه انه كان يطوف فى مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس فقيل له فى ذلك فقال لله عباد اذا نظروا الى الشخص أكسبوه سعادة فانا نطلب ذلك * ومن جملة فوائد السفر قطع المألوفات والانسلاخ من ركون النفس الى معلوم ومعهود والتحامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الالاف والخلان والاهل والاوطان فمن صبر عن تلك المألوفات محتسبا عند الله أجرا فقد حاز فضلا

عظيما * ومن جملة الفوائد أيضا فى السفر استكشاف دفائن النفوس واستخراج رعوناتها ودعاويها لانها لا تكاد تبين حقائق ذلك بغير السفر ولذلك سمى سفرا لانه يسفر عن الاخلاق فاذا وقف على دائه يتشمر لدوائه ومنها أيضا رؤية الآثار والعبر وتسرح النظر فى مسارح الفكر ومطالعة أجزاء الارض والجبال ومواطئ أقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من لسان حال القطع المتجاورات فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع العبر والآيات ويتوفر بمطالعة المشاهدة والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقد كان السرى يقول للصوفية اذا خرج قد خرج أدار وأورقت الاشجار وطاب الانتشار * ومن جملة المقاصد فى السفر ايثار الخمول وطرح حظ القبول فصدق الصادق يتم على حسن الحال ويرزق صاحبه حسن الخلق حسن الاقبال وقل ما يكون صادق متمسك بعروة الاخلاص ذو قلب عامر الا ويرزق قبول الخلق حتى قال بعض المشايخ يحكى عن بعضهم انه قال أريد اقبال الخلق على لانى أبلغ نفسى حظها من الهوى فانى لا أبالى اقبلوا أم ادبروا ولكن لكون قبول الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى المريد بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون الى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول فى الاسباب المحمودة وتريه وجه المصلحة والفضيلة فى خدمة عباد الله وبذل الموجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجرانه الى السكون الى الاسباب واستحلاء قبول الخلق وربما قوما عليه فجراه الى التصنع والتعمل ويتسع الخرق على الراقع قال العارف بالله الامام السهروردى فى عوارف المعارف سمعت ان بعض الصالحين قال لمريد له أنت الآن وصلت الى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للاقدام فالله تعالى يدرك الصادق اذا ابتلى بشئ من ذلك ويرتجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة الى السفر فيفارق المعارف والموضع الذى فتح الله عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخروج الى السفر وهذا من أحسن المقاصد فى الاسفار للصادقين والعارفين رضى الله عنهم أجمعين وهذا الخلاف فى السفر فيما عدا الحج والغزو وزيارة بيت المقدس فان ذلك مطلوب مطلقا سواء فى ذلك البداية والنهاية ولما كان السفر محلا لتجلى صور الاكوان عليه

ومطلعا لشموس المستحسنات لديه فربما نظر العارف أو المريد الى شئ من ذلك فاستحسنه وتشوفت نفسه اليه فيقف عنده عن السير ويكون محجوبا بالغير فلذلك نبه الشيخ رضى الله عنه على ذلك بقوله ﴿لا تحجب بالاكوان عن المكون ولو كانت كعبة الاكوان﴾ جمع كون بمعنى مكون أى موجود مخلوق اذ التكوين معناه الخلق فهى عبارة عما سوى الله تعالى من أعيان الموجودات وأعراضها * واعلم ان السائر الى الله تعالى يتجلى له فى اثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فاذا أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك لاعتقاد انه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوبة التى تطلب امامك فجد فى السير ولا تقف وان تبرجت لك ظواهر المكونات بزينتها فمالت الى حسنها وجمالها فهو مفتون بها وتناديه الحقائق الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغمض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك * واعلم انما دامت لك همة وارادة فأنت بعد فى الطريق لم تصل ولو قد فنيت عنها وما أحسن قول الشيخ أبو الحسن القشيرى فى هذا المعنى

فلا تلتفت فى السير غيرا وكل ما * سوى الله غير واتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فصل عنها فعن غيرها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا

قال العارف بالله سيدى ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة التى تطلب امامك ولا تبرحت ظواهر المكونات الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر ويحتمل أن يكون مراد الشيخ رضى الله عنه بقوله لا تحجب بالاكوان عن المكون ان العارف لا ينبغى له أن ينظر الى شئ من الموجودات حتى ينظر الله تعالى فيها فاذا نظر الى الحق سبحانه فى الاشياء كانت الاشياء نورا له وسببا لترقيه فان الاشياء بالنظر الى ذاتها عدم وظلمة وباعتبار تجلى الحق عليها موجودة نيرة قال العارف بالله سيدى ابن عطاء الله فى حكمه الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار قال شارحها ابن عباد العدم ظلمة والوجود نور

فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلفت أحوال الناس ههنا فمنهم من لا يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه في الظلمات محجوب بسحب الآثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم في مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان أي فيها أو عندها وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا بمكانية لان الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما فانهما أيضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول الى أربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت أقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع فكفروا بذلك وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ويؤيد هذا المعنى الثاني قوله ﴿عليك بمراقبة المولى﴾ يعني بان ترى الحق سبحانه وتعالى في الاكوان فلا ترى شيأ مع الغفلة عن الله تعالى فترى الله في الاشياء قبل رؤيتها أو معها أو بعدها فمراقبتنا للاشياء هي عين مراقبتنا اياه لانه الظاهر في كل شئ ولذا قال بعضهم ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله وقال آخر بعده وآخر معه وآخر فيه فمثل هؤلاء يصححون المراقبة وهذا معنى قول بعضهم في تعريف المراقبة هي رؤية اللطيف في الكثيف وتطلق المراقبة بمعنى آخر وهو مراقبة الحياء أخذا من قوله تعالى بان الله يرى بان يراقب رؤيته وهو يراقبه فهو يراقب مراقبة الحق اياه فهذه مراقبة المراقبة وهي مشروعة وتطلق المراقبة بمعنى ثالث وهو أن يراقب قلبه ونفسه الظاهرة والباطنة ليرى آثار ربه فيه وكذلك الموجودات الخارجة عنه يراقبها ليرى آثار ربه فيها قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ولهذه المراقبة تعلق بالحق اذ لا فاعل الا هو والمراقبة دوام المراعاة بحيث لا يتملكه وقت لا يكون العبد فيه مراقبا فاعلم ذلك وتحققه تعلم شؤون ربك في نفسك وفيما يدركه بصرك من الموجودات وما يصل اليه فكرك وعقلك وما يشهدك في شاهدك وما يطلع من الغيوب في كونك أو حيث كان ومن هنا تعرف خواطرك وللمراقبة جاءت الموازين

الشرعية وهى الفرض والندب والاباحة والحظر والكراهة * ولها درجات عند أرباب الانس والوصال من العارفين والظاهر من كلام الشيخ رضى الله عنه ان المراد من المراقبة هنا هو ماذكرناه من رؤية الله تعالى وملاحظته فى مخلوقاته * ولذلك قال بعض العارفين لو كلفت ان أرى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى أشهده معه وقال الشاعر

منذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع
منذ تجمعت ماخشيت افتراقا * فأنا اليوم واصل مجموع

﴿وقال آخر﴾

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها * لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته فى ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا * شيا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

وقد صنفوا فى بيان هذا الامر تصانيف وتفننوا فى الكلام فى هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب مشربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا ولما كان هذا المقام عزيز جدا قال رضى الله عنه ﴿ولو كانت صعبة﴾ لان الحجب كثيرة والدواعى الى الغفلة أكثر ولا يتأتى لهم المراقبة الا اذا فنوا عن الحظوظ البشرية والشهوات الدنيوية والدرجات الاخروية والمقامات العلية فيكون حينئذ خالصا لله بالله مع الله وهذا كالكبريت الاحمر سيما فى هذا الزمان الذى امتلأ ظلما وظلاما * ولما كان هذا المقام مزلة أقدام كثير من الانام لان من لم يذق ذلك بالذوق ولم يشرب بكأسهم المصون عن غير أهل الحقيقة والشوق يفهم من هذا الكلام شائبة حلول أو اتحاد وتعالى الله وتنزه عن ذلك المراد أشار الشيخ رضى الله عنه بعد ذلك الى شئ من التنزيه للحق سبحانه بقوله ﴿نزه مولاك عن الحدوث والمكان﴾ بان تعتقد انه سبحانه وتعالى متصف بالصفات السلبية وهى القدم والبقاء والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث والوحدانية وكل ما أوهم الحدوث والمكان فالله تعالى منزه عنه وأكبر دليل على ذلك قوله تعالى ﴿ليس كمثله شئ﴾ أى ليس مثله سبحانه وتعالى

شئ يشابهه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ﴿ يكفيك ﴾ على تنزيهه سبحانه وتعالى عن الحدوث والمكان وما هو من صفات الحدوث والامكان هذه الآية الشريفة من القرآن فانها جامعة لمعانى التنزيه قال العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى قدس الله روحه فى كتابه اليواقيت والجواهر المبحث السابع فى وجوب اعتقاد ان الحق تعالى لا يحويه مكان كما لا يحده زمان لعدم دخوله فى حكم خلقه فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وهو سبحانه مباين لخلقه فى سائر المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذى أنشأ الزمان وخلق المتمكن والمكان فلا أينية له تعالى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم الاينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قال سيدى محمد المغربى الشاذلى انه لا ايهام لان الاينية فى هذه الآية راجعة الى الخلق لانهم هم المخاطبون فى الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو مع كل صاحب أين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه فى وجه من الوجوه اه وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعد ان شاء الله تعالى وقال الشيخ محيى الدين فى باب اثنين وسبعين من الفتوحات ليس الحق تعالى لنا باين لان من لا اينية له لا يقبل المكان قال وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الاين لمن لا أين له يعقل اه وقال أيضا فى باب ثمانية وأربعين منها انما أمر الله سبحانه وتعالى بالسجود وجعله مقام قربه واسجد واقترب ولقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى فى نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية اليه فالساجد يطلب الاسفل بوجهه كما ان القائم يطلب الفوق بوجهه ويرفع يديه الى السماء فى حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله شيأ قط من جهة السفل فما جعل الله السجود حال قربه أقرب وقرب من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه اه وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى * وقال فى المبحث الثامن (فان قلت) فهل هو تعالى معنا فى جميع المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم بنا والرؤية لنا والسماع لكلامنا ﴿ فالجواب ﴾ كما قاله الشيخ العارف بالله تقى الدين بن أبى منصور فى رسالته أنه لا يجوز أن يطلق على الذات المتعالى معية كما أنه لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش وذلك لانه لم يرد لنا تصريح بذلك فى كتاب ولا سنة فلا نقول على الله تعالى

عالم

مالم نعلم * وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات الاسماء من الفتوحات في الكلام على اسمه الرقيب * اعلم أنه ليس في حضرات الاسماء الالهية مايعطي التنبيه على أن الحق معنا بذاته الا اسمه الرقيب لانه نبه على أن الذات لاتنفك عن الصفات لمن تأمل ويؤيد ذلك قول الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لانعدم خيرا من رب يضحك فانه اتبع الضحك توابعه اه قلت وهذه المسألة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول أن المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الادب ممن يقول أنه تعالى معنا بذاته وصفاته وان كانت الصفة الالهية لاتفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسألة عقد مجلس في جامع الازهر في سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ نور الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها التحيط بها علما * فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت * قال الشيخ نور الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة ان الله تعالى وتبارك معنا باسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى وهو معكم ومعلوم أن الله تعالى علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا فقال حقيقة المعية مصاحبة شئ لآخر سواء كانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو كمعية الله تعالى عز وجل لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى والله معكم ومن نحو ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من أن مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع الممكنات وليست لمعيته متميزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن التبعية والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال وبهذا الذي قررناه انتفى القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات وبعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشئ معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الامكان لانه تعالى

مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة القونوى فى شرح عقائد النسفى
ان قول المعتزلة وجمهور النجارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون
ذاته باطل لانه لا يلزم من علم مكانا ان يكون فى ذلك المكان بالعلم فقط الا ان كانت
صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق اه على انه يلزم من القول
بأن الله معنا بالعلم فقط دون الذات واستقلال الصفات بأنفسها دون الذات وذلك
غير معقول فقالوا له فهل وافقك أحد غير القونوى فى ذلك فقال نعم ذكر الشيخ شيخ
الاسلام ابن اللبان رحمه الله تعالى فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون ان هذه الآية دليل على ان أقربيته تعالى من عبده قرب حقيقة كما
يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو
بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون
دل على ان المراد منه القرب الحقيقى المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان
من المعلوم ان البصر لا تعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق
المرئية قال وكذلك القول فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد
هو يدل أيضا على ما قلناه لان أفعل مما يدل على الاشتراك فى اسم القرب وان
اختلف الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لان قرب
الصفات معنوى وقرب حبل الوريد حسى ففى نسبة أقربيته تعالى الى الانسان
من حبل الوريد الذى هو حقيقى دليل على ان قربه تعالى حقيقى أى بالذات اللازم
لها الصفات قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى ان يكون المراد قربه تعالى
منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا اذ الصفات
لا تعقل مجردة عن الذات المتعالى كما مر فقال له العلائى فما قولكم فى قوله تعالى
وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم ان الله تعالى فى مكان فقال الشيخ ابراهيم لا يلزم من
ذلك فى حقه تعالى المكان لان الاين فى الآية انما أطلقت لافادة معية الله تعالى
للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لانه تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب كل أين بلا أين اه
فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال
السيوطى فقال ما جمعكم هنا فذكروا له المسئلة فقال تريدون علم هذا الامر ذوقا أو
سماعا فقالوا سماعا فقال معيته تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء كلها
ثابتة فى علمه أزلا يقينا بلا بداية لانها متعلقة به تعليقا يستحيل عليه العدم لاستحالة

وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد ان لم يكن وكما ان معيته تعالى أزلية كذلك هى أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما فى العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت فى عوالم بساطتها وتركيبها واضافتها وتجريدها من الازل الى ما لا نهاية له فاندهش الحاضرون بما قاله فقال لهم اعتقدوا ما قررته لكم فى المعية واعتمدوه ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وان أراد أحدكم ان يعرف هذه المسئلة ذوقا فليسلم قياده لى أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وأمنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله الى علم هذه المسئلة ذوقا وكشفا قال الشيخ ابراهيم فما تجرأ أحد ان يدخل معه فى هذا العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا اه فتأمل أيها الاخ فى هذا الموضع وتدبره فانك لا تجده فى كتاب اه كلام الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى اليواقيت والجواهر * واعلم ان هذه المعارف انما هى علوم ذوقية والطريق فى تحصيلها كذلك واتقاء الشبهات وقطع النفس عن الشهوات ثم يلازم الذكر الذى لقنه له أستاذه المسلك العارف بالله تعالى ولما كان الذكر هو العمدة فى تمزيق الحجب الظلمانية وافاضة الانوار أشار الشيخ رضى الله عنه الى ذلك بقوله ﴿ الذكر مع الحضور والتفكر فى صفات الله يورثانك المشاهدة فى ذات الله ﴾ اعلم ان الذكر هو منزلة القوم الكبرى التى منها يتزودون وفيها يتجردون واليها دائما يترددون والذكر منشور الولاية الذى من أعطيه اتصل ومن منعه انعزل وهو قوت قلوب القوم التى متى فارقها صارت الاجساد لها قبورا وعمارة ديارهم فيها تعطلت عنه صارت بورا وهو سلاحهم الذى يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذى يطفؤن به التهاب الحريق ودواء أسقامهم الذى متى فارقهم انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التى بينهم وبين علام الغيوب

اذا مرضنا تداوينا بذكركم * وتترك الذكر احيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكفون الكربات ويهون عليهم به المغيبات اذا أظلهم البلاء فاليه ملجؤهم واذا نزلت بهم النوازل فاليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون ورؤس أموال سعادتهم التى بها يتجرون يدع القلب الحزين

ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر الى المذكور بل يعيد الذاكر مذكورا وعلى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم مامورون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما ان الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها اذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة والى لقائه اشتياقا واذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شئ وحفظ الله عليه كل شئ وكان له عوضا من كل شئ به نزول الوقر عن الاسماع والبكم عن الالسن وتنقشع الظلمة عن الابصار زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل كالعين العمياء والاذن الصماء واليد الشلاء وهو باب الله الاعظم المفتوح بينه وبين عبده مالم يغلقه العبد بغفلته قال الحسن البصري رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء في الصلاة والذكر وقراءة القرآن فان وجدتم والا فاعلموا ان الباب مغلق والذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان قال بعض السلف اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الانسان اذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون مالهذا فيقال قد مسه الانسي وهو روح الاعمال الصالحة فاذا خلى العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه وهو في القرآن على عشرة أوجه * الاول الامر به مطلقا ومقيدا * الثاني النهي عن ضده من الغفلة والنسيان * الثالث تعليق الفلاح باستدامته وكثرته * الرابع الثناء عن أهله والاخبار بما أعد لهم من الجنة والمغفرة * الخامس الاخبار عن خسران من لهى عنه بغيره * السادس انه جعل سبحانه ذكرهم لهم جزاء لذكرهم له * السابع الاخبار انه أكبر من كل شئ * الثامن انه جعله خاتمة الاعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح * التاسع الاخبار عن أهله بانهم هم أهل الانتفاع بآياته وانهم أولوا الالباب دون غيرهم * العاشر انه جعل قرين جميع الاعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح * أما الاول فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة وفيه قولان أحدهما في سرك وقلبك * والثاني

بلسانك

بلسانك بحيث تسمع نفسك وأما النهي عن ضده فكقوله ولا تكن من الغافلين ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم * وأما تعليق الفلاح في الاكثار منه فكقوله واذكروه ذكرا كثيرا لعلكم تفلحون وأما الثناء على أهله وحسن جزائهم فكقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وأما خسران من لهى عنه فكقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأما جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم فكقوله تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وأما الاخبار بأنه أكبر من كل شئ فكقوله تعالى اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر وفيها أربعة أقوال أحدها ان الله أكبر من كل شئ فهو أفضل الطاعات لان المقصود بالطاعات كلها اقامة ذكره فهو سر الطاعات وروحها * والثاني ان المعنى انكم اذا ذكرتموني ذكركم فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له فعلى هذا المصدر مضاف لفاعله وعلى الاول مضاف الى المذكور * والثالث ان المعنى ولذكر الله أكبر من ان تبقى معه فاحشة ومنكر ابل اذا تم الذكر محق كل معصية وكل خطيئة هذا ما ذكره المفسرون * وأما ختم الاعمال الصالحة به فكما ختم به عمل الصائم بقوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم وختم به الحج بقوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وختم به الصلاة فكقوله فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وختم به الجمعة فكقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولهذا اذا كان خاتمة الحياة الدنيا وآخر كلام العبد أدخله الله الجنة * وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته وهم أولوا الالباب والعقول فكقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وأما مصاحبته لجميع الاعمال واقترانه بها وانه روحها فانه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله أقم الصلاة لذكري وقرنه بالصيام والحج ومناسكه وهو روح الحج ولبه ومقصوده كما قال صلى الله عليه وسلم انما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الاقران ومكافحة الاعداء فقال

تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وفى أثر الهى يقول الله تعالى ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاقى قربى والمحبون يفتخرون بذكر من يحبونه فى هذا الحال كما قال عنترة

ولقد ذكرتك والرماح كانها * أشطار بير فى لبان الادهم

﴿ وقال آخر ﴾

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منا المثقفة السمر

﴿ وقال آخر ﴾

ولقد ذكرتك والرماح شواجر * نحوى وبيض الهند تقطر من دمى

وهذا كثير فى أشعارهم وهو مما يدل على قوة المحبة فان ذكر المحب محبوبه فى تلك الحال لا يهم المرء فيها غير نفسه يدل على انه عنده بمنزلة نفسه أو أعز منها وهذا دليل صدق المحبة والذاكرون هم أهل السبق كما روى مسلم فى صحيحه من حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قال وما المفردون يا رسول الله * قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات والمفردون هم الموحدون وأما الآحاد الافراد * وفى المسند مرفوعا من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله * وروى شعبة عن أبى اسحق قال سمعت الاغر قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وهو فى صحيح مسلم ويكفى فى شرف الذكر ان الله يباهى ملائكته باهله كما فى صحيح مسلم عن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا * قال آلله ما أجلسكم الا ذلك قالوا آلله ما أجلسنا الا ذلك قال أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أتانى جبريل عليه السلام فاخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة * وسأل اعرابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب

من ذكر الله وقال له رجل ان شرائع الاسلام قد كثرت على فدلني بشئ أتشبث به فقال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله * وفي المسند وغيره من حديث جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس أرتعوا في رياض الجنة قلنا يا رسول الله وما رياض الجنة قال مجالس الذكر قال اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه * وروى النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ابراهيم أنه قال اقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر * رواه الترمذي وأحمد وغيرهما * وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت ولفظ مسلم مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر * وفي اللفظ الاول جعل الذاكر بمنزلة الحي والغافل بمنزلة الميت فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الاحياء والغافل كالميت في بيوت الموتى ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم وقلوبهم فيها كالاموات في القبور كما قيل

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم * وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من صدورهم * وليس لهم حتى النشور نشور

﴿وكما قيل﴾

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم * وأجسامهم وهي القبور الدوارس
فأرواحهم في وحشة من حبيبهم * ولكنها عند الخبيث أوانس

وفي أثر الهي اذا كان الغالب على عبدي ذكري أحببته وفي آخر فبي فافرحوا وبذكري فتنعموا * وفي آخر ابن آدم ما أنصفتني أذكرك وتنساني وأدعوك وتهرب الى غيري وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا * يا ابن آدم ما تقول غدا اذا جئتني * وفي آخر ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصري لك فان نصري لك خير من نصرتك لنفسك * وفي الصحيح في الاثر الذي يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه * واعلم أن

الذكر على قسمين ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر اللسان هو الذى يصل به العبد الى ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه وهو المراد بقوله مع الحضور يعنى مع حضور القلب ولهذا قيل ذكر الله بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم وبه يدفعون الآفات التى تقصدهم وان البلاء اذا أظل العبد فاذا فزع رجع بقلبه الى الله فيدفع الله عنه فى الحال كل مايكرهه والمراد من قوله والتفكر فى صفات الله التفكر فى آثار الصفات ومتعلقاتها قال الله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض * وقال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة والفكر على خمسة أوجه فكر فى آيات الله تعالى تتولد منه المعرفة وفكر فى نعم الله ومننه تتولد منه المحبة وفكر فى وعد الله وثوابه تتولد منه الرغبة وفكر فى وعيد الله وعقابه تتولد منه الرهبة وفكر فى تفريط الانسان فى جنب الله يتولد منه الحياء والندامة والتفكر على كل حال قائد للانسان الى الخير ودليله اذا كان تفكرا صحيحا مقصودا به الفرار من الخلق الى الحق والتفتيش على أقرب طرق الوصال الى الله تعالى * قال القشيرى فى رسالته سئل الاستاذ أبو على الدقاق هل الذكر أتم أم الفكر فقال الاستاذ للسائل وهو أبو عبد الرحمن السلمى ما الذى يقع للشيخ فيه فقال الشيخ أبو عبد الرحمن عندى أن الذكر أتم من الفكر لان الحق سبحانه يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر وما يوصف به الحق أتم مما اختص به الخلق فاستحسنه الاستاذ أبو على وقوله يورثانك المشاهدة فى ذات الله يعنى بذلك المشاهدة القلبية بحيث يستغرق بكليته فى شهود الحق سبحانه وهو المشار اليه بحديث لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها الى آخر الحديث وهذا المقام هو أعظم ثمرات الذكر ونتائجه وهو المطلوب من الذكر * وقد سئل الواسطى عن الذكر فقال هو الخروج عن ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة فاذا وصل المريد الى هذا المقام صح له ان ينشد هذه الابيات

ذكرتك لا انى نسيتك لمحة * وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى * وهام على القلب بالخفقان
فلما آرانى الوجد انك حاضرى * شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم * ولاحظت معلوما بغير عيان

* قال الشارح رضى الله عنه قال بعض الاكابر ما معناه لا يحصل لاحد القدرة فى الذكر وغيره مع دوام شهوده انه فى الحضرة الابعاد مان لتفلت النفس من صاحبها عن تلك الحضرة وسرعة خروجها منها باستبدال الحجاب سيما الملطخة بالاقذار فهو وان أكره نفسه على المكث فى الحضرة ينقلب فى اسرع من لمح البصر فطريقه أن يكرهها على المكث فيها شيأ فشيأ من ثانية الى دقيقة الى عشر درجة الى خمسها الى ربعها الى نصفها وهكذا بالتدريج الى ساعة فساعتين الى يوم كامل أو ليلة كاملة ثم جمعة ثم شهر ثم سنة وهكذا حتى لا يخرج من الحضرة لانه لا يجد مكانا فى الوجود الا وهو فيها وقد قال سهل التسترى لى منذ ثلاثين سنة أكلم الحق والناس يظنون انى أكلمهم وقال الشيخ الاكبر اذا غفل المريد عن الذكر نفسا واحدا صار الشيطان قرينه فانه له بالمرصاد ان أقبل على الله وقف تجاه قلبه فمتى دخلت الغفلة القلب دخل وان دخل الذكر خرج واذا كان الشيطان يدنس القلب بدخوله مرة بالنهار فكيف بقلب باض فيه وفرخ * وقال بعضهم أقرب الطرق الى دخول حضرة الله ذكر الله لان الاسم لا يفارق مسماه فلا يزال الذاكر يذكر والحجب تمزق شيأ فشيأ حتى يقع الشهود القلبى وحينئذ يستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور فلو ذكر العبد ربه فى تلك الحضرة كان غير الادب كما أن من تمثل بحضرة السلطان لا يناسبه ذكر اسمه جهرا بل ان ذكره كذلك قد ينسب الى الجنون ويخرج فالذكر دليل فاذا جعلك على المدلول سقط شهود الدليل من قلبك وأنشدوا

بذكر الله تزداد الذنوب * وتنكشف الرذائل والعيوب
وذكر الله أفضل كل شئ * وشمس الذات ليس لها مغيب

* واعلم أن أنواع الذكر كثيرة فمنها لا اله الا الله وهو أفضل الاذكار لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله قال الله تعالى وكلمة الله هى العليا يعنى كلمة لا اله الا الله وقال الله تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء والمراد من الكلمة ههنا لا اله الا الله * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى الرجل يوم القيامة ومعه تسع وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر توضع فى كفة الميزان ويخرج له قرطاس قدر انملة فيها شهادة أن لا اله الا الله يوضع فى الكفة الاخرى فرجحها * وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى لا اله الا الله كلمتى وانا هو

من قالها أدخلته حصني ومن أدخلته حصني فقد أمن والقرآن كلامي ومني خرج
* وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة
* وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله كنز من كنوز الجنة
الى آخر ما ورد في فضلها وهو كثير لمن تتبعه ومن أنواع الذكر التسبيح والتحميد
وتلاوة القرآن المجيد والصلاة والاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينبغي لكل مريد أن يكون له حزب من كل ذلك * قال العارف بالله تعالى سيدي
عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في المنن الكبرى ومما أنعم الله به علي موافقتي
في ورد لعمار السموات من الملائكة ولا أعلم الآن أحدا من أقراني ورده في
الليل مشتمل على ما يسبح به الملأ الاعلى وصورة ترتيب وردي انني أبدأ بقولي سبحان
من سبقت رحمته غضبه لما ورد في الطبراني وغيره ان صلاة الحق سبحانه وتعالى
سبقت رحمتي غضبي فأقول أنا سبحان من سبقت رحمته غضبه ألف مرة ثم أقول
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف مرة ثم أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ألف مرة لما ورد ان هاتين
الصيغتين يحبهما الله تعالى ثم أقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله
ألف مرة ثم أقول اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ألف
مرة لما ورد انها غطت على الملكين فلم يعرفا قدر ثوابها لما قال الله تعالى لهما اكتبوها
كما قال عبدي وعلى جزاؤه بها ثم أقول جزى الله سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
عنا خيرا بما هو أهله ألف مرة لما ورد ان من قالها مرة واحدة أتعب سبعين كاتبا
ألف صباح ثم أقول سبحان الله وبحمده عدد خلقه سبحان الله وبحمده رضاء نفسه
سبحان الله وبحمده زنة عرشه سبحان الله وبحمده مداد كلماته لما ورد أن كل مرة منها
تعدل تسبيح العبد طول النهار ثم أقول سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح لما ورد
أنها تسبيح ملائكة الستور ثم أقول ألف مرة سبحان العلي الديان سبحان الشديد
الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان
سبحان الحنان المنان سبحان الله في كل مكان لما ورد انها تسبيح ملك نصفه من
نار ونصفه من ثلج ثم أقول ألف مرة الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم
أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم
لما روي في الاثر ان شخصا قالها يوم عرفة فلما جاء العام الثاني شرع يقولها فناداه

الهاتف يافلان من العام الماضى الى الآن نكتب لك فى ثواب هذه التحميدة فما فرغنا ثم أقول اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة لما ورد انها صلاة ملائكة خلف البحار المحيطة لا يفترون عنها ليلا ولا نهارا ذكره الثعلبى فى كتاب العرائس ثم أقول سبحانك اللهم وبحمدك عنى عفوك بعد قدرتك سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك لما ورد ان الشق الاول تسبيح نصف حملة العرش والشق الثانى تسبيح الآخر يرد ملكين على ملكين أقولها ألف مرة ثم ألف مرة لا اله الا أنت ياحى ياقيوم لانها مجربة لحياة القلب وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ينبغى للعبد اذا ضاق عمره أو فاته القيام من أول ما ينتصب الموكب الالهى ان يبدأ بجوامع الكلم من الآيات والاخبار فيصلى بها ويسبح بها لان الله تعالى ما أخبرنا بفضلها الا ليكون اهتمامنا بها أكثر وقد ورد أن آية الكرسى تعدل ألف آية وكذلك آخر سورة الحشر تعدل ألف آية وكذلك ورد ان قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن يعنى لو قسم اثلاثا وكذلك ورد ان قل يا أيها الكافرون تعدل نصف القرآن يعنى لو قسم انصافا ويقاس ما ورد انه يعدل ربع القرآن أى لو قسم ارباعا ينبغى مراعاة البداءة بذلك عند ضيق العمر أو الوقت فكان من صلى بآية الكرسى أو آخر الحشر صلى بألف آية وذلك نحو سبعة عشر حزبا فانى عددت الآيات من أول سورة البقرة الى نحو سورة الانفال فكان ألف آية وكان الذى قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فى كل ركعة قرأ القرآن كله وقس على ذلك ومقادير الثواب لا تدرك بالقياس فنقولها كما أخبر الشارع ونؤمن بما وعد على ذلك من الثواب الجزيل فى العمل الذى هو أقل تعبا من غيره والحمد لله رب العالمين

*ولما كان للذكر نتائج وفوائد وثمرات تعود على الاعمال سيما وفاء العهود للمشايخ والاخوان وسائر عباد الله المؤمنين قال رضى الله عنه ﴿ الوفاء بالعهود أمانة وهى من شرط المؤمنين ﴾ العهود أوامر الله ونواهيه وهى التكاليف الشرعية المفسر بها الامانة فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا والوفاء بها عبارة عن الاتيان بها مستوفاة لشروطها بمعنى امتثال الاوامر واجتناب النواهى والمحافظة على الآداب الشرعية وعهود المشايخ مندرجة تحت ذلك لان المشايخ لا تأخذ عهدا على مريد بمخالفة شريعة أبدا ومن أخذ على مريده عهدا بخلاف

الشريعة لا يقتدى به * قال سيدى محيى الدين العربى رضى الله تعالى عنه لا تقتدى بالذى زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنباء عن الله وقد أفرد ذلك العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى بكتاب جليل سماه عهود المشايخ وله كتاب أيضا العهود الكبرى يقول فيها أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفعل كذا وان نترك كذا وهما كتابان جليلان لم ينسج على منوالهما جزاه الله تعالى عن المسلمين خيرا والوفاء بعهود الاخوان هو ان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه هذا هو الموفى بعهودهم على العموم والعهد الماضى ما كان مؤكدا بالحلف ونقضه من أمارات النفاق كما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا أؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر أى نقض العهد وترك الوفاء واذا خاصم فجر وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان * ولما كان نقض العهود انما ينشأ غالبا من حب الدنيا والحطام الفانى والداعى الى ذلك انما هو البخل والحرص على الدنيا نبه الشيخ رضى الله عنه على ذلك بقوله ﴿الجود أحوال المقبولين﴾ الجود هو الاعطاء قبل السؤال بخلاف الاعطاء بعده فانه يسمى كرما والسخاء الجود بما فضل عنك والايثار أرفع درجات السخاء وهو جودك بالشئ مع الحاجة اليه وقيل الجود أن يعطى الاكثر من ماله ويبقى له شيأ أو يبقى مثل ما أعطى والسخاء أن لا ينقصه البذل ولا يصعب عليه وأما الايثار فهو أن يؤثر غيره بالشئ مع حاجته اليه وهو أعلى المراتب الثلاث وعكس الايثار الاثرة وهو استئثاره عن أخيه بما هو محتاج اليه وهى المرتبة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم للانصار انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض والانصار هم الذين وصفهم الله بالايثار فى قوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فوصفهم باعلى مراتب السخاء وكان ذلك فيهم معروفا فقد كان قيس بن سعد بن عبادة من الاجواد المعروفين حتى انه مرض مرة فاستبطأ اخوانه فى العيادة فسأل عنهم فقالوا انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر من ينادى من كان لقيس عليه مال فهو منه

فى حل فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده وقالوا له يوما هل رأيت أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فخضرز وجها فقالت انه نزل بنا أضياف فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها فقلنا ما أكلنا من التى نحرت البارحة الا اليسير فقال انى ما أطعم أضيافى البائت فمقينا عنده يومين أو ثلاثة والسماء تمطر وهو يفعل ذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا مع النهار اذا نحن برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرائى ثم لحقنا وقال لتأخذنه أو لاطاعننكم برمحى فأخذناه وانصرفنا * واعلم ان الجود على عشرة مراتب أحدها الجود بالنفس وهو أعلى مراتبه كما قال الشاعر

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

* الثانية الجود بالرئاسة وهو ثانى مراتب الجود فيحمل الجواد جوده على امتهان رئاسته والجود بها والايثار فى قضاء حاجة الملتمس * الثالثة الجود براحته ورفاهيته واتعاب نفسه فيجود بها نصبا وكذا فى مصلحة غيره ومن هذا جود الانسان بنومه ولذته لمسامره كما قيل

متيم بالندى لو قال سائله * هب لى جميع كرى عينيك لم ينم

* الرابعة الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود والجود به أفضل من الجود بالمال لان العلم أشرف من المال والناس فى الجود به على مراتب متفاوتة وقد اقتضت حكمة الله وتقديره النافذ أن لا ينفع به بخيلا أبدا ومن الجود به أن تبذله لمن لم يسألك عنه بل تطرحه عليه طرحا ومن الجود به أن السائل اذا سألك عن مسألة استقصيت له جوابها شافيا لا يكون جوابك بقدر ما تدفع به الضرورة كما كان بعضهم يكتب جواب الفتيا نعم أو لا مقتصرا عليها وقد كان بعض العلماء رضى الله عنه اذا سئل عن مسئلة حكمية ذكر فى جوابها مذاهب الائمة الاربعة اذا قدر عليه وما خذ الخلاف وترجيح القول الراجح وذكر متعلقات المسئلة التى ربما يكون للسائل أنفع من مسئلته فيكون فرحه بتلك المتعلقات واللوازم أعظم من فرحه بمسئلته فمن جود الانسان بالعلم انه لا يقتصر على مسئلة السائل له بل يذكر له نظيرها ومتعلقها وما خذها بحيث يشفيه ويكفيه وقد سأل الصحابة رضى الله عنهم النبى صلى الله عليه وسلم عن التوضأ بماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته

فأجابهم عن سؤالهم وجاد عليهم بما علمهم في الاحيان اليه أحوج مما سألوه عنه وكانوا اذا سألوه عن الحكم نبههم على علته وحكمه كما سألوه عن بيع الرطب بالتمر فقال أينقص الرطب اذا جف قالوا نعم قال فلا اذا ولم يكن يخفى عليه صلى الله عليه وسلم نقصان الرطب بجفافه ولكن نبههم على علة الحكم وهذا كثير جدا في أجوبته صلى الله عليه وسلم * الخامسة الجود بالنفع بالجاه كالشفاعة والمشي مع الرجل الى ذي سلطان ونحو ذلك وهذا زكاة الجاه المطالب بها العبد كما ان التعميم وبذل العلم زكاته * السادسة الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع متاعه عليها صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الرجل الى الصلاة صدقة وتميط الاذى عن الطريق صدقة متفق عليه * السابعة الجود بالعرض كجود أبي ضمضم من الصحابة رضي الله عنه كان اذا أصبح قال اللهم اني لا مال لي فأتصدق به على الناس وقد تصدقت عليهم بعرضي فمن شتمني وقذفني فهو في حل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يستطيع منكم أن يكون كابي ضمضم وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من معاداة الرجال ما فيه * الثامنة الجود بالصبر والاحتمال والاغضاء وهذه مرتبة شريفة من مراتبه وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعزله وانصر وامالك لنفسه وأشرف لها ولا يقدر عليها الا النفوس الكبار فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود فانه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة وهذا جود الفتوة قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له وفي هذا الجود قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين فذكر المقامات الثلاثة في هذه الآية مقام العدل وأذن فيه ومقام الافضل وندب اليه ومقام الظلم وحرمه * التاسعة الجود بالخلق والبشر والبسطة وهو فوق الجود بالصبر والاحتمال والعفو وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم وهو أثقل ما يوضع في الميزان فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط اليه وفي هذا الجود من المنافع والمسار وأنواع المصالح ما فيه والعبد لا يمكنه أن يسع الناس بماله ويمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله * العاشرة الجود ببقية ما في أيدي الناس عليهم

فلا يلتفت اليه ولا يستشرف له بقلبه ولا يتعرض له بحاله ولا لسانه وهذا هو الذى قال عبد الله بن المبارك انه أفضل من جود البذل فلسان حال القدر يقول للفقير الجواد ان لم أعطك مالا تجود به على الناس فجد عليهم بأموالهم تزاحمهم فى الجود وتنفرد عنهم بالواحد ولكل مرتبة من مراتب الجود مزية وتأثير خاص بالقلب والحال والله سبحانه وتعالى أعلم واذا كان الايثار أعلى مراتب الجود فالمحمود منه أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينا ولا يقطع عليك طريقا ولا يفسد عليك وقتا يعنى أن تقدمهم على نفسك فى مصالحهم مثل أن تطعمهم وتجوع وتكسوهم وتعرى وتسقيهم وتظمأ بحيث لا يؤدى ذلك الى ارتكاب اتلاف لا يجوز فى الدين ومثل أن تؤثرهم بمالك وتقعد كلا مضطرا مستشرفا للناس أو سائلا وكذلك ايثارهم بكل ما يحرم على المؤثر دينه فانه سفه وعجز يذم المؤثر به عند الله وعند الناس وقولنا ولا يقطع عليك طريقا أى لا يقطع عليك طريق الطلب والمسير الى الله تعالى مثل أن تؤثر جليسك على ذكرك وتوجهك وجمعيتك على الله فتكون قد آثرته على الله وآثرت بنصيبك من الله من لا يستحق الايثار فيكون مثلك كمثل مسافر سائر على الطريق لقيه رجل فاستوقفه وأخذ يحدثه ويلهيه حتى فاته الرفاق وهذا حال أكثر الخلق مع الصادق السائر الى الله تعالى فايثارهم عليه عين الغبى وما أكثر المؤثرين على الله تعالى غيره وما أقل المؤثرين لله على غيره وكذلك الايثار بما يفسد على المؤثر وقته قبيح أيضا مثل أن يؤثر بقوته ويتفرق قلبه حينئذ فى طلب خلقه أو يؤثر بأمر قد جمع قلبه وهمه على الله فيتفرق قلبه عليه بعد جمعيته ويتشتت خاطره فهذا أيضا ايثار غير محمود وكذلك الايثار باشتغال القلب والفكر فى مهماتهم ومصالحهم التى لا يتعين عليك على الفكر فى العلم النافع واشتغال القلب بالله ونظائر ذلك لا تخفى بل ذلك حال الخلق الغالب عليهم وكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أبدا فانما تؤثر الشيطان على الله تعالى وأنت لا تعلم وتأمل أحوال أكثر الخلق فى ايثارهم على الله من يضرهم ولا ينفعهم وأى جهالة وسفه فوق هذا ومن هذا تكلم الفقهاء فى الايثار بالقرب وقالوا انه لا يجوز كمن يؤثر بالصف الاول لغيره ويتأخر هو أو يؤثر بقربه من الامام يوم الجمعة أو يؤثر غيره بالاذان والاقامة أو يؤثر غيره بحرمة نفسه ويقدمه عليه فيفوز به دونه وتكلموا فى ايثار عائشة رضى الله عنها لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بمدفنه

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرتها وأجابوا عنه بان الميت ينقطع عمله بموته وبقربه فلا يتصور الايثار فى حقه بالقرب بعد الموت اذ لا تقرب فى حق الموت وانما هذا ايثار بمسكن شريف فاضل لمن هو أولى به منه والايثار به قربة الى الله بالمؤثر وقد ورد فى مدح الكرم ما روته عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة والجاهل السخى أحب الى الله من العالم البخيل * واعلم ان الحق سبحانه لا يوصف بالسخاء ويوصف بالجود وان كان لا فرق على لسان أهل العلم بينهما قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالى الامور ويكره سفسافها وقال صلى الله عليه وسلم ما جبل ولى لله تعالى الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر بن عبد الله الانصارى قال قيل يارسول الله أى الايمان أفضل فقال الصبر والسماحة عن عائشة رضى الله عنها ان ابن الزبير بعث اليها بمال فى غرارتين ثمانين ومائة ألف فدعت بطبق وجعلت تقسم بين الناس فلما أمست قالت ياجارية هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت وقالت لها ما استطعت مما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتينى لفعلت وقال أسماء بن خارجة ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها فانه ان كان كريما أصون عرضه وان كان لئيما أصون عنه عرضى وقيل كان مورق العجلى يتلطف فى ادخال الرفق على اخوانه يضع عندهم ألف درهم فيقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم ويقول لهم أنتم منها فى حل وقيل لقى رجل من منبج رجلا من أهل المدينة فقال ممن الرجل قال من أهل المدينة فقال لقد أتى منكم رجل فقال له الحكم بن المطلب فاغنانا فقال المدنى وكيف وعامتكم الا فى جبة صوف يقال ما أغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا وقيل بعث رجل الى جبلة بجارية وكان بين أصحابه فقال قبح ان أخذتها لنفسى وأنتم حضور وأكره أن أخص بها واحدا وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين فأمر لكل واحد بجارية أو وصيفة وقيل عطش عبيد الله بن أبى بكرة يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فانى امرأة من العرب مات خادمى منذ أيام فشرب عبيد الله الماء وقال لغلامه احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت

سبحان الله تسخر مني فقال احمل اليها عشرين ألف درهم فقالت أسأل الله العافية فقال ياغلام احمل اليها ثلاثين ألف درهم فردت الباب وقالت أف لك فحمل اليها ثلاثين ألف درهم فما أمست حتى كثر خطابها وقيل الجود اجابة الخاطر الاول وقد كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذاله فقال انزع عني هذا القميص وادفعه الى فلان فقيل له هلا صبرت فقال لم آمن على نفسي أن تتغير عما وقع لي من الخلق معه بذلك القميص ودخل بعض السادة الصوفية على بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مقفل فقال صوفي وله باب بيت مغلق اكسروا القفل فكسروا وأمر بجميع مافي البيت فأنفذه الى السوق وباعه وأصلح وقتا من الثمن وقعد وافي الدار ودخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها اكساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت ياأصحابنا هذه أيضا من جملة المتاع فبيعوها فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شئ ندخره عنه وكل مافي الجود والكرم من المزايا والمحامد يوجد ضد ذلك في ضده وهو البخل ولذا قال ﴿ والبخل أفعال المخذولين ﴾ أي آثاره التي تظهر عنه والا فهو صفة راسخة في النفس من قبيل السجايا وقد ذمه الله ورسوله في مواضع كثيرة من الكتاب والسنة قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم فاستحلوا محارمهم اه وسببه حب المال * وحب المال سببان السبب الاول حب الشهوات التي لا تنال الا بالمال مع طول الامل فتسول له نفسه الخبيثة انه يعيش كثيرا فيحتاج الى المال وانه ان لم يعش هو كثيرا وترك ولدا احتاج له ولده والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة واذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بالله تعالى أن لا يرزقه قوى البخل السبب الثاني ان يحب عين المال وهذا مرض في القلب مزمن والعياذ بالله تعالى وهو كمن عشق شخصا ثم أحب رسوله ونسيه اذ المقصود بالدراهم والدنانير التوسل الى الاغراض وهذا نسي المقصود وعشق الوسيلة والواسطة ولا خفاء في قبح ذلك فمن رأى ان بين الحجر والمال فرقا الا من حيث كونه وسيلة الى الحاجات فقد جهل * وعلاج البخل تقليل الشهوة

وكثرة التفكر فى الموت والتأمل فى موت الاقران وزيارة القبور وتأمل مافيها من الديدان وتغير المحاسن والتفكر فى الاحوال ويعالج التفات القلب الى الولد بأن الله خلق رزقه معه فكم من ولد ورث ولم يكن ذلك رزقه وكم من ولد لم يرث ورزقه الله تعالى مالا جما وان ذلك الولد ان كان صالحا فالله يتولى الصالحين وان كان فاسقا فلا كثر الله فى المسلمين من أمثاله فانه يستعين بماله على المعاصى ومن أنفع العلاج التأمل فى ذم الناس للبخلاء ونفرة الطباع عنهم ومدحهم للاسخياء ورغبتهم فيهم ولما كان من لازم الكرم والجود ثناء الخلق على الممدوح فربما اغتر المريد بثنائهم وترك يقين ماعنده نبه الشيخ رضى الله عنه على ذلك بقوله ﴿لا تغتر بثناء الخلق عليك لانك أعلم بنفسك﴾ الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية فى الجهل والغباوة وذلك من علامات المقت لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال أعلم بنفسه قال العارف بالله سيدى ابن عطاء الله الاسكندرانى فى حكمه الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها قال شارحها ابن عباد ذم العبد لنفسه واحتقاره لها لما يتحقق من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بذلك أعماله وتصدق أحواله والا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصرفه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه مالا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به ينبغى له أيضا أن يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح فقد أمكن الشيطان أن يدخل فى بطنه وقال آخر اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم انى عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته وقال آخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه انما كره هو المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى فى النار

مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه اه كلام أبي حامد وقال ابن عطاء أيضا المؤمن اذا مدح استحيى من الله تعالى أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس وقد شبه الحارث المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به اذ الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالين الا انه في حال المدح يعلم ان المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضي بان يكون له في قلوب العباد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهية هذا اذا كان المادح من أهل العلم والدين وأما ان كان جاهلا أو فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازي تزكية الاشرار هجنة بل وحيهم لك غيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فاظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم رأوا مني شيأ أعجبهم ولا خير في شئ يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد مدحك فقال انه لم يمدحني وافق بعض خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة في ذلك فالعاقل حينئذ لا يغتر بالمدح ولا يغتم بالذم ولذلك قال ﴿ ولا تقهر بذمهم لانه لا مفر لك عنهم ﴾ أي لا تحزن ولا تغتم بذمهم لك فان ذلك يؤدي الى معاداتهم وكراهتهم والتدابر والتقاطع وكل ذلك يجر الى مفاسد في الدنيا والدين فالاولى بمن ابتلي بذلك أن يرجع على نفسه باللوم ويعتقد ان ذلك تسليط من الله عليك لترجع اليه وتعول في كل حال عليه ولا يحقد بذلك على العباد لانه لا غناء له عنهم ولا مفر منهم وقد جرت عادة الله بالاخيار ابتلاهم بالاشرار ولو فارق الانسان داره وارتحل الى أي بلدة أو دار فلا بد ان يجد فيها

من يذمه ومن يمدحه فلا ينبغي له أن يفرح بمدحهم ولا ينقبض من ذمهم بل الطريق المرضي كما قال الشيخ رضي الله عنه ﴿فتى ممدوحك مع استقامتك أشكر مولاك﴾ حيث أظهر لك الجميل حتى أثنى عليك الناس به وستر القبيح كما هي عادة الحق سبحانه وتعالى في عباده قال سيدي ابن عطاء الله اذا أطلق الثناء عليك ولست له بأهل فأثنى عليه بما هو أهله تقدم أن المؤمن لا يرى نفسه أهلا لان يمدح أو يثنى عليه فاذا أطلق الله ألسنة الناس بالثناء عليه ولا أهلية فيه لذلك فينبغي أن يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله بما هو أهله ليكون ذلك شكر النعمة اطلاق الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت أهلية وأيضا العارف اذا مدح انبسط لانه يشهد ذلك المدح من الله تعالى واذا شهده من الله تعالى فعليه حينئذ الشكر لهذه النعمة فقد كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما على من ذلك ولست أغلط في نفسي بل لست في البين والمجرى والمثنى هو الله عز وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المؤمن ربى الايمان في قلبه وقد مدح ابن عطاء الله شيخه أبا العباس المرسي بجملة قصائد وكان ينشدها بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منه بعضها ويقول له في بعضها أيدك الله بروح القدس نحوما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت مع ان حب المدح عندهم من الرذائل التي تشبه الفضائل وبهذا النظر والشهود الجمعي استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم عليها مالم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روى في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنهم مع أن ذلك عندهم معدود من الصدق القبيح وما ذلك الا لما ذكرنا ولا يتأول ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه السلام لنفسه وثنائه عليها بغاية الحفظ والعلم وعلامة الصادق في حب المدح وان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة أن لا يكره ذم الناس كما قال رضي الله عنه ﴿ومتى ذموك مع جنايتك أشكل لمن أبلاك﴾ لانهم مصروفون في قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يصل بشئ من الاذى اليهم كما قيل

رب رام لي بأحجار الاذى * لم أجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على * فرح القوم فيدنيني اليه

فينبغي لمن ابتلي بذم الخلق له أن يلتجئ الى الله تعالى ويشكو اليه حاله ويعلم ان الله ما أطلق ألسنة الخلق بالذم له الا لمساوى اتصف بها وردائل انطوى عليها ولا يمكنه الخلاص من ذلك الا بالله تعالى وسبب انقباض النفوس من الذم حب الجاه وهو انتشار الصيت بين الناس ولا يسمح بتركه الا الصديقون ولذا قيل آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة فهو قوت الروح الطالبة للاستعلاء والربوبية اذ الروح من عالم أمر الله وهو يطلب الربوبية والعلو والاستعباد للناس فيجب الكمال ويطلبه فاذا مدح الشخص اهتزت روحه وارتاحت لشعورها بالكمال الذي تحبه واذا ذم انقبضت لشعورها بالنقصان الذي تكرهه فالجاه مذموم الا من أشهره الله لنشر دينه قال أنس قال صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتنغص الفجار وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذا زلة للتابع ومنه للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه الناس فالتفت اليهم وقال علام تتبعون فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان * ولما كان حب المدح من الخلق وكراهة الذم منهم من علامة الرضا عن النفس والركون اليها أتبع الكلام رضي الله عنه بقوله ﴿ الرضا عن النفس علامة الجهلاء ﴾ الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب تعظيمة عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وعدم الرضا على النفس على عكس هذا لان العبد اذا ذاك يتهم نفسه ويتطلبه عيوبها ولا يغتر بما تظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشطر الاخير فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها فكان جاهلا ومن كان كذلك استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه من التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكر ما يدفعها به ويقهرها فتصير

الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع فى المعاصى لامحالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا منتبها للطوارق والعوارض وبالتيقظة والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكن لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل مانهى الله عنه محافظا على جميع ما أمر به . وهذا معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا لاشئ أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد فى معرفة نفسه يصح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم نفسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها أكثر من ان يحصى ولذلك قال أبو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها فى جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم بن الكريم بن الكريم يقول وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال أيضا أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى ان الله ينظر الى نظر السخط وأعمالى تدل على ذلك وقال الجنيد لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك فى طاعة ربك وقال أبو سليمان الدارانى ما رضيت عن نفسى طرفة عين * ويحكى عن سرى السقطى رضى الله عنه انه قال انى لا نظر الى أننى فى اليوم كذا كذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أيضا من الناس ناس لو عات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبنى الا منهم الى غير هذا من العبارات الصادرة عن المشايخ رضى الله عنهم بهذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى جزأ صغير الحرم عظيم الفائدة فى عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك ألف قبله الامام أبو عبد الله الحارث المحاسبى كتابا سماه بالنصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية كافية على سنن دراسة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وتفسد والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة فى الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام أبو حامد الغزالى منه فصلا فى كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ورخص خطابه بعد ان أثنى على مؤلفه بما هو أهله

بأن للجاهل به علمه وفضله فقال فى حقه والمحاسبى هو خير الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال وأعوار العبادات وكلامه جدير بأن يحلى على وجهه ثم ذكره وقد كان أوحد زمانه ونخبة أوانه ورعا وزاهدا سيدى الحاج أبو العباس ابن عاشر رحمة الله عليه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظننى سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الاولى أو كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا لينصح لمولاه فى مراعاة باطنه والقيام على قدم الصدق فى مواطنه وليجعل هيجيراه مطالعة كتب التصوف ومعالاة أهله بالتألف والتعرف فبذلك تتقوى أنوار ايمانه ويقينه وتنتفى عنه العرة بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض العين وما تسمح به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه بعلم يقبر فى وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وهو ما أكب الناس عليه اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى تطرق لهم بسبب ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما أرداهم الى الهلاك والشقاء وأعقبهم النفاق فى قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب فى دعواهم انهم قاصدون فى علمهم رضا مولاهم فاياك واياهم اه كلام ابن عباد فى شرح الحكم وقال أيضا صاحب الحكم ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من انه تصحب عالما يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه فان العلم مع الرضا عن النفس منزل منزلة العدم لان علمه غير نافع وجهله الذى أوجب رضاه عن نفسه ضار غاية الضرر * ولهذا قال رضى الله عنه ﴿عدم الرضا عنها علامة العقلاء﴾ لانه يبعث على تتبع العيوب وكيفية الخلاص منها والتخلى عنها والتحلى بالكمالات فينبغى للعبد ان يتفقد نفسه كل التفقد ولا يغفل عنها ليخرج منها صفات المنافقين ويدخل فيها صفات المؤمنين التى وصف الله بها المؤمنين فى كتابه مثل قوله تعالى التائبون العابدون الى آخر الآية وقوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى آخره ونحوهما من الآيات وفى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وكان حاتم الاصم يقول من علامة المؤمن ان يفعل الطاعات ومع ذلك يبكى وعلامة المنافق ان ينسى العمل ثم يضحك وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول

المؤمن من يزرع نخلا ويخاف ان يثمر شوكا والمنافق يزرع شوكا ويطلب ان يثمر رطبا اه فتش يا أخي نفسك قبل موتك وابك على نفسك ان وجدت فيها اخلاق المنافقين ولا ترض عنها أبدا فان أهل البصائر لا يغفلون عن أنفسهم أبدا خوفا من دخول الآفات في علمهم وعملهم فقد كان يزيد بن أبي حبيب يقول ان من فتنة العالم في دينه أن يكون الكلام أحب اليه من السكوت والاستماع وقيل للامام مالك رضي الله عنه ان فلانا كثير العبادة فقال نعم ولكنه يتكلم كلام شهر في جمعه وفي رواية في ساعة * وكان الشعبي يقول جهدنا في ابراهيم التيمي ان يجلس للناس في المسجد فيحدثهم فأبى وكان اذا دخل المسجد لا يستند الى سارية ولا الى جدار وكان الزهري مع وفور علمه لا يفتي ويقول من أفتى بغير وفور علم وكان للامام معاقبة وكان حماد اللفاف يقول المفتي على شفير جهنم قلت ولذلك لم يتصدر غالب القوم للفتيا أبدا للاحتياط لانفسهم وخوفهم من دخول العجب عليهم وكل ذلك منشؤه عدم رضاهم عن أنفسهم واتهامهم اياها في كل حال * واعلم ان الرضا عن النفس ينشأ غالبا من رؤية الفضائل وهي اما علمية واما عملية والفضائل العملية لا يعتد بها بدون العلم * ولما كان العلم ينقسم الى علم وهبي وعلم كسبي بين الشيخ رضي الله عنه بقوله ﴿ العلم علمان علم في الاوراق ﴾ وهو علم الاحكام الشرعية والفروع النقلية المبثوث في الكتاب والسنة وعلم الحلال والحرام وما يلزم تعلمه لسائر الانام وهذا العلم طريقه الكسب وتعاطي أسباب الطلب من سهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وهذه العلوم يمكن تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى وربما كان حب الدنيا عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم تحملت المشاق والكلف وأما العلم الثاني وهو الذي ذكره بقوله ﴿ وعلم بالاذواق ﴾ فهو نتيجة التقوى والعمل بالعلم الشرعي وهو المرموز اليه بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله * وقوله صلى الله عليه وسلم من علم بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهو علم السادة الصوفية الذي أدركوه بالذوق والمشاهدة فلا يكاد النظر يهتدي اليه الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف بل كل من ذاق عرف وهذا لا يمكن تحصيله مع محبة الدنيا ولا مع الاخلال بشيء من التقوى فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون

حيث

حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا هذه العلوم الذوقية والمعارف الوهبية كعلم الحال وعلم القيام بواجب الوقت وعلم الخواطر وعلم اليقين والاخلاص وعلم النفس ومعرفة اخلاقها وعلم النفس ومعرفتها وعلم معرفة أقسام الدنيا ومايحذر منها ووجود دقائق الهوى وخفاياشهوات النفس وشربها وعلم الضرورة أى مالابد منه ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا وتركا وأكلا ونوما ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفي الذنوب ومعرفة سيآت هي حسنات الابرار ومطالبة النفس بترك مالا يعنى ومطالبة الباطن بترك خواطر المعصية ثم بترك خواطر الفضول وعلم المراقبة وعلم مايقدح فى المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل فى توكله ومايقدح فى التوكل ومالا يقدح والفرق بين التوكل الواجب بحكم الايمان وبين التوكل الخاص المختص بأهل العرفان وعلم الرضا وذنوب مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته ومالا يقدح فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الاوامر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس الا الصبر وعلم المشاهدات وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والتجلى والاستتار والجمع والتفرقة واللوامع والطوالع والبوادى والصحو والسكر وعلوم المكاشفات وغير ذلك مما لايدخل تحت دائرة الحصر وفوق كل ذى علم عليم

﴿الاول محبوب مع العمل﴾ بمقتضاه اذ هو حجة الله على العباد فان عملوا به نفعهم وكان حجة لهم والا كان حجة عليهم فالعالم العامل يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى بحره والوحش فى قفره والعالم الغير العامل بعلمه أول من تسعر به النار فقد ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جرى فقد قيل ثم مر به فيسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم وقرأت

القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فيسحب على وجهه ثم ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فيسحب على وجهه ثم ألقي في النار رواه مسلم ﴿والثاني موهوب من الازل﴾ وهو العلم اللدني الذي تقارنه الخشية وهو مما لا كسب للعبد في تحصيله بل هو من محض الوهب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء ولذلك سمي لدنيا وهو وهبي وان كانت الاعمال تنتجه احيانا لكن انتاجها له ليس لكل أحد بل لبعض من خصه الله تعالى فلم يلحق بالامور المعتادة ولكن طريقه التقوى كما عرفت ولما كان التحلي بالكمالات التي قدمها المصنف في هذه الحكم والتخلي عن أضدادها لا يحصل غالبا الا بالمرشد المسلك العارف بالداء والادوية النافعة أشار رضي الله عنه الى ذلك بقوله ﴿التطهير من الاوساخ﴾ الباطنية المانعة من اشراق الانوار وافاضة الاسرار على قلوب الاحرار من حب الدنيا والجاه والكبر والحسد والعجب والانهماك في الشهوات والمستحسنات للطباع ﴿بتسليم الروح للاشباح﴾ جمع شيخ والمراد منه هنا العارف بالله السالك المسلك العارف بالطريق وعوائقه وآفاته وقواطعه ومايطرأ فيه والخواطر والدسائس وكل مالابد منه في الطريق وهذا التطهير هو المراد من التزكية في قوله تعالى قد أفلح من زكاها وكيفية هذه التزكية ان المريد اذا سلم نفسه للشيخ العارف بالله أول ما يبدؤه به ان يأمره بمجاهدة نفسه بأنواع الرياضات وترك العوائد والمستحسنات ثم يحببه الى ربه ويلقنه ذكره فلا يزال العبد يذكر الله تعالى في كل أحيانه ويتقرب اليه بنوافل العبادات والتقرب حتى يلج قلبه في عالم الملكوت وتغلبه صفات الابرار والمقربين فينغمس في عين اليقين ويكتسي أنوار المقربين وهذا لا يكون الا بعد تسليم النفس الى الشيخ العارف فاذا حصلت هذه التزكية انجلت مرآة القلب وانعكس فيه أنوار العظمة الالهية ولاح فيه جمال التوحيد وحينئذ يحصل له الفرح الدائم والسرور الملازم ﴿والفرح للارواح بتطهير الاشباح﴾ من أدران المخالفات والتلطخ بادخال الشهوات والانغماس في بحر الجهالات فتطهير الاشباح عبارة عن حفظ الحواس الظاهرة عن المخالفات فبحفظ الحواس تشرق أنوار

الروح اذ بين هذا الهيكل والروح ارتباط قوى فاذا تلبس الجسد بموافقة أو مخالفة أثر ذلك فى الروح تأثيرا بليغا وهذه التزكية وان كانت تحصل لكل مؤمن بدون المرشد بواسطة امتثال الاوامر واجتناب النواهى والمحافظة على أكل الحلال والورع ولكن الطريق طويل والمسافة بعيدة والاهوية مختلفة والسالك بنفسه مخاطر فربما سلك من طريق يعتقده موصلا الى المطلوب حتى اذا توسطه رأى فى اثناء ذلك العقبات واحتاطت به الآفات فرجع يلتمس طريقا سواه فيكون كحمار الرحى يسير والذى سار منه هو الذى ارتحل اليه بخلاف السائر بالدليل العارف بتشعب الطريق وبالطرق الموصلة والغير الموصلة فانه يقطع به فى مدة يسيرة مالا يقطعه بنفسه فى الاحيان الكثيرة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون * ولهذا قال رضى الله عنه ﴿ الطريق بدون الدال يطول ﴾ على المريد ان سلم من الآفات والعوائق والقواطع والمهلكات وقل ان يسلم الا من سلمه الله واختطفته العناية الربانية ﴿ ومعه يسهل الوصول ﴾ قال الله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون سمعت شيخنا المصنف رضى الله عنه يقول بلسان الاشارة فى معنى هذه الآية وان يوما عند شيخك ومربيك كالف سنة مما تعدون أنتم بأنفسكم من غير شيخ فالمريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال الى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال فيصل الى المطلوب بمشيئة الله تعالى فى أقرب حين وزمان ولا يكون هذا الا المريد سلم نفسه للشيخ وانسلخ من ارادة نفسه وفنى فى الشيخ بترك اختياره فبالتألف الالفى يصير بين المريد والشيخ كمال امتزاج وارتباط بالنسمة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى فيفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله صحبة الشيخ وملازمته ولكن لا ينبغى للمريد ان يسلك هذا الطريق على يد الشيخ حتى يصحح ما يجب عليه من معرفة الله تعالى وما تصح به عباداته ومعاملاته من العلوم الشرعية * فلهذا ذكر الشيخ رضى الله عنه عقب هذه الحكمة شرف العلم وفضيلته بقوله ﴿ العلم أفضل الاعمال ﴾ وأل فيه للجنس أو للعهد الذكرى أو الذهنى أى

فى المعهود الذهن وهو العلم النافع فيشمل سائر العلوم الشرعية والعلوم الذوقية وانما كان أفضل الاعمال لان الاعمال بدونه كالجسد بلا روح ولا يصح شئ من الاعمال الا به وفى مشكاة المصابيح عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا أبا الدرداء انى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى ﴿و﴾ ان كان العلم أفضل الاعمال بالضرورة كان ﴿الجهل أقبح الخصال﴾ لانه مذموم شرعا وعقلا اذ ربما استغنى الجاهل عن مسئلة فافتى فيها بغير علم فضل وأضل فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفتى بغير علم كان اثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم ان الرشد فى غيره فقد خانه رواه أبو داود وفى الامثال من جهل شيأ عاداه قال الشاعر

جهلت فعاديت العلوم وأهلها * كذلك يعادى العلم من هو جاهله

ومما ينسب للامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه

الناس من جهة التمثال اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
ان لم يكن لهم من أصلهم نسب * يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم اعداء
فاختر لنفسك علما واكتسب أدبا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقد قال بعض الادباء الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا وقال فتح الموصلى أليس المريض اذا منع الطعام والشراب يموت قيل نعم قال كذلك القلب اذا منع الحكمة والعلم ثلاثة أيام مات ﴿الفضل للعالم وان قل عمله على العابد وان كثر عمله وطال أجله﴾ لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين

أوتوا العلم درجات * قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين خمسمائة عام وقال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء * وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه * وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم * وعن الحسن مرسلا قال قال صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه و بين النبيين درجة واحدة فى الجنة رواه الدارمى وعنه مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا فى بنى اسرائيل أحدهما كان عالما يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير والآخر يصوم النهار ويقوم الليل أيهما أفضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل هذا العالم الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى يصوم النهار ويقوم الليل كفضلى على أدناكم رواه الدارمى * وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل الفقيه فى الدين ان احتيج اليه نفع الناس وان استغنى عنه أغنى نفسه رواه رزين * وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدارس العلم ساعة من الليل خير من احيائها رواه الدارمى * وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من أجود جودا قالوا الله ورسوله أعلم قال الله أجود جودا ثم أنا أجود بنى آدم وأجود هم من بعدى رجل علم علما ففسره يأتى يوم القيامة أميرا وحده أو قال أمة واحدة * وعن عون قال قال عبد الله ابن مسعود لمنهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان ثم قرأ عبد الله كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى قال وقال الآخر انما يخشى الله من عباده العلماء رواه الدارمى ولا يمكن استقصاء ما ورد فى فضل العلم وأهله العاملين به لان الكتاب والسنة مشحونة بذلك نسأل الله العظيم ان يوفقنا للعمل بما علمنا وان يجنبنا ما فيه سخطه ونعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يرفع ولما فرغ من بيان فضل العلم وأهله رجع يبين أوصاف الشيخ المسلك والمريد السالك فقال ﴿ الشيخ من رقاك ﴾ من حضيض صفاتك الى أوج كمالاتك ﴿ بسره ﴾ أى

بتوجيه سره لك ونظره اليك * قال بعض العارفين ان الله لينظر الى قلوب قوم من قلوب قوم آخرين فان العارف اذا نظر الى المريد بعين المزيد فان الله اذا اطلع على قلب ذلك العارف اليه وللنظر تأثير فى التربية كما قيل ان السلحفات تربى أولادها بالنظر اليهم فاذا انسلخ المريد من هواه وانقاد الى الشيخ بكليته وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال الى باطن المريد فتشرق عليه الانوار وتخلع عليه خلع المعارف والاسرار ﴿وهيأك﴾ أى جعلك مهيأ لقبول الانوار الالهية بعد تخليتك عن العوائق الدنيوية ﴿وملك فؤادك﴾ بحيث لا يكون لك حركة ولا سكون الا باشارته وتصريفه منقادا لحكمه وتعريفه وهذا هو الفناء فى الشيخ ﴿وصفاك﴾ من الاكدار البشرية ﴿وعمن سواه﴾ سبحانه وتعالى ﴿نقاك﴾ خلصك من سائر الاغيار فحينئذ فنيت عن الصفات المذمومة وردىء الاخلاق وطاب لك الشراب وراق فصرت لله فى الله بالله فى سائر أحوالك وتقلباتك واطوارك ولا يكون الشيخ كذلك حتى يكون سالك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك يرشد المريد ويشير عليه بما ينفعه ومالا يضره وينبغى للمريد ان يتيقن ان روحانية الشيخ غير متحيزة بموضع دون موضع ففى أى موضع كان المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وان كان يفارقه شخصيته والبعد انما يتعلق بالمريد فاذا تذكر المريد بقلبه الشيخ قرب اليه فيتعلق به قربه فاستفاد منه واذا احتاج المريد الى الشيخ لحادثة حدثت له يستحضر الشيخ بقلبه ويسأله عما يشاهده لا بالسان الظاهر بل بلسان القلب فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعات عقيب السؤال وانما يتيسر ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ ومن هذه الوجوه يفصح له لسان القلب ويفتح له طريق القلب الى الحق سبحانه فيجعله محدثا * واعلم انه لا يصلح للمشيخة الا من سلك الطريق من المشايخ وأبصر المذموم والمحمود وقاسى بلاءه واجم العظمة من الهيبة والموت والفناء ولا يصلح المجذوب لذلك فان المجذوب وان كان قد ذاق المقصود ولكن لم يعرف الطريق الى الله تعالى فلم يصلح لتربية المريدين لان التربية والمشيخة هى الدلالة على الطريق وهو لم يسلك الطريق وانما حصلت له خطفة أوصلته الى المقصود من غير ان يعرف شيأ من أخطار الطريق ويشترط أيضا فى الشيخ ان يكون عارفا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس كل عالم بأهل للمشيخة بل ينبغى أن يكون موصوفا بصفات الكمال ومعرضا عن حب الدنيا والجاه والمال وما يشبه ذلك ويكون قد

أخذ هذا الطريق عن شيخ عارف محقق وهكذا حتى اتصلت سلسلة متابعته
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتاض بأمر رياضة بالغة من قلة الطعام وقلة
الكلام وقلة المنام وقلة الاختلاط وكثرة الصوم والصلاة والصدقة فظهرت فى
شمائله مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب مثل الصبر والشكر واليقين والسخاوة
والقناعة والامانة وبذل المال والجاه والحلم والتواضع وكفاية أمور الآخرة
والصدق والاخلاص والحياء والوقار والاحتماء والسكون والتأنى وامثال ذلك وقد
اقتبس نورا من أنوار الرسول صلى الله عليه وسلم فاضمحلت الاخلاق الذميمة مثل
الكبر والعجب والبخل والحسد والحقد والحرص والامل والخفة وظهر على ظاهره
صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعنا بل بلذاذة وحلاوة واستنار بأنوار
المشاهدة وانشرح صدره بالنور المقذوف فى قلبه وتجافى عن دار الغرور وأناب الى
دار الخلود وارتوى من بحر الحال وتخلص من الاعلال ﴿المريد من ذبح نفسه﴾
بسيف المجاهدة وتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب بمنعها عن المألوفات
والمجاهدة على قسمين مجاهدة العوام وهى تكثير الاعمال ومجاهدة الخواص
وهى تصفية الاحوال فان مقاسات الجوع والسهر سهل يسير بالنسبة الى تبديل
الاخلاق المذمومة بالمحمودة والمجاهدة فى الله من أعظم أسباب الوصول اليه قال
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من
جاهد نفسه فى الله قال الشيخ أبو على الدقاق من زين ظاهره بالمجاهدة زين الله تعالى
فى باطنه بأنوار المشاهدة وقد تقدم الكلام على المجاهدة فى أول الرسالة ﴿وترك
الاكوان﴾ اشتغالا بالمكون فلم يحتجب بها عن مكونها ولم يلتفت اليها فى سيره
بل كلما لاح له بارق أو ذر لديه شارق نادته الهواتف المطلوب امامك فجد فى السير
ولم يلتفت الى الغير ﴿وخالف هواه﴾ أى ما تميل اليه النفس وتشتهيه قال الله
تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى * قال
أبو بكر الوراق ان الله تعالى لم يجعل فى الدنيا والآخرة أخبث من الهوى المخالف
للحق قال الفضيل أفضل الاعمال خلاف الهوى ورأى بعضهم وليا من أولياء الله
تعالى يمشى فى الهواء فقال له بما وصلت الى هذه الرتبة العلية فقال خالفت الهوى
فسخر لى الهواء قال العارف بالله سيدى الشيخ عمر بن الفارض رضى الله عنه

ونفسى كانت قبل لوامة متى * أطعها عصت أو تعص كانت مطيعتى

فاردتها الموت أيسر بعضه * وأتعبتها كيما تكون مريحتي
فعادت ومهما حملته تحملته * مني وان خففت عنها تأذت

﴿وزهد في دنياه﴾ عطف سبب على مسبب اذ لا يتأتى له شيء من مخالفة الهوى والمجاهدة وترك شيء من الاكوان مع الرغبة فيها والانهماك في تعاطيها اذ هي عدو لله ولاوليائه ولاعدائه أما عداوتها لله فلانها تقطع الطريق عنه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وأما عداوتها لاوليائه فلانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها * وأما عداوتها لاعدائه فلاستدراجها لهم بمكرها ومكيدتها واقتناصها لهم بشباكها حتى وقعوا فيها وعولوا عليها فخذلتهم وقد ورد في ذمها آيات وأخبار كثيرة وقد ذكرنا شيأ من ذلك في أول الرسالة فلا نعيد بما يدعو الى الاطالة قال أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي لوان رجلا في علم ابن عباس وهو راغب في الدنيا لنهيت الناس عن مجالسته فانه لا ينصحك من خان نفسه وقوله ﴿ونجا من الشيطان﴾ عطف مسبب على سبب لان من زهد في الدنيا نجاه الله من الشيطان لان الدنيا حبالته التي يصطاد بها الناس وقد جاء رجل الى شيخه يشكو له الشيطان وما يلقاه من وسوسته فقال له الشيخ الآن جاء الشيطان يشكو منك يقول انك تعرضت لابنته التي هي الدنيا فانها بنت الشيطان فاذا أردت ان لا يتعرض لك فلا تتعرض لابنته وختم الشيخ رضي الله عنه حكمه بالنجاة من الشيطان تلويحا بأن من اتصف بما فيها وتخلق باخلاقها وعمل بمقتضاها جدير بأن يحفظه الله من الشيطان وجنوده وانما اقتصر المصنف رضي الله عنه على هذه الصفات في حق المريد لان الذي يمنعه من الوصول الى مأموله هذه الامور الاربعة النفس والشيطان والدنيا والهوى فاذا نجا منها فقد فاز بالمطلوب وحصل على المرغوب كما قال الشاعر

انى بليت بأربع ماسلطوا * الا لفرط شقاوتي وعنائي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائي

قال سيدي محمد البكري الشهير بالقطب ابن سيدي أبو الحسن البكري تاج العارفين في رسالته له * واعلم ان الشيطان اذا أحس باقبالك على الله تعالى بذل جهده لينصرفك عما يوجب ايصال نفعه اليك حسدا منه وأنفة من أن يصل أحد الى الحق أو يؤخذ عنه فكن على بصيرة في نفسك وأحسن الظن بربك وأوليائه

والعقيدة في أحبابه وأصفيائه فاذا تعلقت لديك الاحوال واختلفت عندك الاقوال والافعال فاثبت ثباتا لايزال أو تزول الجبال فما هي الا أويقات ثم يتجلى نور المواصلة ويتأهل العبد للعبر والمقابلة والقول الجامع في سلوكك دوام المراقبة وعدم الازدراء بالخلق والمواظبة على تأدية وظائف الحق وترحيل نفسك من مواطن شهوتها خصوصا من حيث رياستها وشهرتها وذلك الترحيل بمخالفة محبوبها ومباينة مرغوبها وعلامة المحب أن يؤثر حبيبه على كل شئ لو كان له شئ فكيف وليس له شئ فلم يبق الا ما أضيف اليه اضافة مجازية فلا أقل من ان يسمح بذلك طلبا للفوز بالاسرار الحقيقية والليل مطية يقطع عليها المراحل المتباعدة فأملاه بالذكر والفكر والمراقبة والمجاهدة ولا أقل من ثلاثة أوقات واحد بعد العشاء وواحد في الجوف وواحد في السحر مع مراعاة حق البنية فانها رحلتك التي أنعم الله بها عليك وصورتك التي تتوجه بها العناية اليك واحتفظ من اللقم التي تدخلها جوفك واحرص كل الحرص على الاقرب للحل فالاقرب واياك والامتلاء من الطعام فانه مجلبة للآثام وسبب التكاسل عن امتثال الاوامر والقيام بالاحكام فاذا أحس القلب بحب الرب أو شعر به تنصرف عنه شهوة الطعام والشراب فلا يتناول الا بقلة اقامة لصورة الاسباب واحذر كل الحذر من مجالسة غير الجنس خصوصا من لم يتمذهب بمذهبك من حب أستاذك بل اركس في الرجس فان مجالسة هؤلاء من غير ضرورة سم قاتل ومانع من الهدى وحائل وأحسن مجالسة من كان معك على نفسه فان لم تجد فمن لم يطلب منك ان تكون لنفسه فان لم تجد فمن يشغلك عن صلاح نفسك وأجل المجالس من تهديك كلماته وترشدك اشاراته وذلك أستاذك وأخوك في طريق أستاذك وصنوك اللائذ بملاذك واياك واستبطاء الوصول فذاك ولو بعد الملازمة للسلوك سبب لعدم بلوغ المأمول فانك لو عشت سالكا عمر الدنيا ألف مرة وظفرت بعد ذلك من الله قدر ذرة كان ما وصلت اليه أعظم من كل شئ سلكت عليه بل لو لم تصل الا للتوفيق بدوام الخدمة لكان ذلك أوفى وافر نعمه والله أسأل ان يلقي اليك مقاليد الحكمة وان يعاملك بمحض الرحمة اه ﴿وهذا القدر يكفي الصادقين﴾ فانه جامع لعلم السلوك وتصفية الاخلاق وغالب مهمات مسائل التصوف مع صغر حجمه وحسن ترتيبه ونظمه فجزى الله تعالى مؤلفه خير الجزاء فانه بلغ من النصيحة أعلاها وأجلاها فما غادر

صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ﴿وغيرهم﴾ أى غير الصادقين ممن لا تؤثر فيه النصائح والمواعظ ممن لم يكن له فى نفسه رادع عن غيه وواعظ ﴿لا يكفهم أساطير الاولين والآخرين﴾ لوجود الران على القلوب والوقر فى الآذان أولئك كالانعام بل هم أضل بخلاف الصادق ذى البصيرة النيرة فانه يتأثر بكلام أهل الله وان قل ﴿وما توفيقى الا بالله﴾ التوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد وتسهيل سبيل الخير اليه وهذا ليس الا من الله وحده ليس للعبد منه شئ والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ﴿ماشاء الله كان﴾ فلا يقع شئ فى الوجود على خلاف مراد الله ومشيئته ﴿ومالم يشأ لم يكن﴾ بحال من الاحوال خلافا لاهل الزيغ والضلال ﴿وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله﴾ كل من آل اليه بالعمل الصالح ﴿وصحبه وسلم والحمد لله ختام ثم الصلاة على النبى بعد والسلام﴾ والكلام على ذلك شهير وختم الاعمال الصالحة بمثل ذلك فيه خير كثير وهذا آخر ما تيسر جمعه على هذا المتن المنير من أقوال السلف الصالح وأحاديث البشير النذير وقد سبق منى فى خطبة هذا الكتاب انى لم يبعثنى عليه باعث والله مطلع على سريرتى ان يقال أو يكون لى اسم مع أولئك الرجال وانما عملته تذكرة لنفسى الامارة ولمن شاء الله ان ينتفع به من الاخوان لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وأرجو ممن يطلع عليه اذا ظهر له خطأ أو تحريف ان يصلحه بيديه وان يلتمس لى من المعاذير ما يسبل ثوب الاغضاء عليه واستغفر الله العظيم من الجراءة والتعدى فيما تعرضت له من بيان كلام العارفين والاولياء الراسخين مع ما تلطخت به من الآثام وقام بى من قلة الادب والاحترام واستغفر الله العظيم من قول بلا عمل وحكاية أحوالهم ونقل مقاماتهم والتحريض على سلوك طريقهم المستقيم مع افلاسى من جميع ذلك وعدم اتصافى بشئ مما هنالك ونسأله سبحانه وتعالى ان لا يؤاخذنا بما انطوت عليه الضمائر وأكنته السرائر من القبائح والمعائب والكبائر التى نعلمها من أنفسنا ولا نسمح بنسبتها لنا ونسأله سبحانه ان يوفقنا للتنقى منها والتنزه عنها ونرغب اليه سبحانه وتعالى بحرمة الرسول الكريم وحبيبه العظيم ان يمن علينا بتوبة نصوح تمحو عنا كل حوبة وتمنحنا الفتوح وان يشمل فى ذلك كل من أمن معنا على هذا الدعاء ممن سمعه ودعا لنا بمثله ولاخواننا فى الله ولكافة المسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين

اللهم

اللهم آمين وكان الفراغ من تأليف هذا الشرح المبارك نهار الثلاث الموافق ثالث رجب الفرد سنة ألف ومائتين وسبعة من الهجرة النبويه على صاحبها ألف صلاة وألف تحيه على يد مؤلفه الضعيف الفانى عبد القادر الرافعى بن عبد اللطيف البيسارى خادم مؤلف هذه الحكم عليه الرحمة والرضوان جمعنا الله تعالى به فى مستقر الرضا بمنه وكرمه آمين

﴿ترجمة المؤلف رضى الله عنه﴾

هو الامام القطب العارف بالله تعالى الشيخ عبد القادر الرافعى وهو أول من تلقب بهذا اللقب واشتهر به واليه تنسب السادة الرافعية فى مصر والشام ابن العارف بالله تعالى الشيخ عبد اللطيف البيسارى العمرى بن العارف بالله تعالى الشيخ عمر البيسارى صاحب الزاوية المشهورة فى العوينات بطرابلس الشام وبها نزل عنده الشيخ مصطفى البكرى الصديق مجدد الطريقة الخلوتيه قدس سره وله معه مراسلات ومنها قصيدة مطلعها

﴿سر السر للسر ظهر * أين من يفهم هذا يا عمر﴾

ابن الشيخ أبو بكر الحموى الولى الشهير المدفون بزاويته بحماه ابن الحاج لطفى بن الشيخ على البخشى الحموى العقيلى من ذرية الشيخ عقيل المنبجى القطب المشهور ابن الشيخ شهاب الدين أحمد البطائحى الهكارى بن زين الدين عمر بن عبد الله البطائحى بن زين الدين عمر بن الشيخ المعمر الكبير السن الجليل القدر زين الدين عمر المكى بن أحد العبادلة عبد الله الصحابى الجليل ابن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * كان المترجم رضى الله تعالى عنه من أعيان العلماء وسادات العارفين وكمل المرشدين رحل فى عنفوان شبابه الى الجامع الازهر لتحصيل العلوم فتلقى عن أساتذة العصر واعلام الدهر وجد واجتهد وبرع فى العلوم والفنون واجازه مشايخه الكرام وتصدر للتدريس بالجامع الازهر فربى من الطلبة كثيرين ومنهم من برع وفاق أهل عصره وكان مع ذلك ملازما لقطب الديار المصرية فى عصره بلا نزاع العارف بالله تعالى الشيخ محمود الكردى خليفة الامام العارف بالله تعالى الشيخ الحنيفى فاخذ عليه العهد وسلك على يديه طريق السادة الخلوتية وجد فى المجاهدة وملازمة الذكر والاوراد مدة عشر سنوات الى أن

تم فطامه وبزغ بدر كماله وحصل على ما حصل عليه من الفتوحات العليه والمقامات السنيه وخلفه الشيخ فى طريق القوم وأذن له بالارشاد وتوالت عليه النفحات والامداد ومع ذلك لم ينقطع عن التدريس والافاده وتزوج ببنت الشيخ الا انه لم يرزق منها أولادا وقد ذكر طرفا من مناقبه ابن عمنا العالم الفاضل الشيخ محمد كامل الرافعى فى كتابه الذى ألفه فى ترجمة المترجم وفضلاء ذريته وسيصير طبعه ونشره ان شاء الله تعالى وقد اشتهر ان الشيخ قدس سره تولى قطبانية طرابلس الشام ثلاثة عشر سنة وأربعة أشهر * وكراماته كثيرة منها انه حصل هياج فى طرابلس فتحزب جماعة الاشقياء وحضروا لدار الشيخ يريدون قتله فنزل من داره ومر بين صفوفهم ولم يروه ولما سكنت الفتنة جاؤا اليه معتذرين وقالوا ياسيدى الذى قصدك هو البستونى لرجل معلوم فقال كلكم بستونى فارسلها مثلا وكان بين الوزير على باشا الاسعد ومصطفى أغا بربر ما يكون بين المتعاصرين وكانوا يتناوبون حكومة طرابلس تارة يكون هذا حاكما وتارة يكون ذاك وكان مصطفى اغا بربر رجلا جبارا سفاكا للدماء وكان اذا دخل عليه الشيخ رضى الله عنه يتضاءل بين يديه فقيل له مرة لا ينبغى منك هذا فقال اذا دخل على الشيخ الرافعى لا أراه الا أسدا * ولما توفى الشيخ الرافعى تولى مصطفى أغا بربر غسله بيده وكان غسالة لا يقع على الارض لكثرة من يلتقطه بالقطن للتبرك به وبوفاته رضى الله عنه عم الحزن والاسف جميع الديار المصرية والشامية لما يعلم الكل من فضائله وكراماته توفى الشيخ رضى الله تعالى عنه سنة ثلاثين ومائتين وألف هجريه فى بلدته طرابلس الشام وقبره ظاهر يزار ويقصد لقضاء الحوائج ورثاه مشايخ العصر من جملتهم الولى العارف الشهير صاحب الكرامات الخارقة الشيخ عبد الله الحلبى المشهور بدبها بمرثية مطلعها

شموس الهدى بعدك آفلات * دروس العلم بعدك دارسات

(ومنها) يحق عليك تبكى الارض طرا * يحق عليك تبكى الكائنات

وكان للشيخ رضى الله عنه اليد الطولى فى علم الادب والنظم الرائق والنثر الفائق ومنه مقامة بديعة أرسل بها للوزير الخطير على باشا الاسعد فى صفة السفينة وقد عظم عليها موج البحر والريح القاصف وهى طويلة * وله مقامة فى المفاخرة بين حمص وحماه أتى فيها بالنكات البديعه والاساليب العجيبه وله قصائد طنانه وتخميس بليغ لابيات عفيف الدين فى الحقيقة التى أولها

﴿نظرت اليها والليل يظلمنى * فنورت الليلا ومبسمها الالمى﴾

حتى انه كان مكتوبا بماء الذهب فى بعض قصور الاسكندرية واتفق أنه كان أميرها اذذاك فى القصر المذكور ومعه الشيخ محمد المسيرى العالم الشهير فلما قرأ الامير التخميس المذكور تعجب من بلاغته وقال لحضرة الشيخ هل يوجد فى هذا الزمن من يقول مثل هذا فقال له ان قائله حى من اخواننا وهو الشيخ عبد القادر الرافعى ثم بعد مدة أخبر الامير ان الشيخ عبد القادر سيقوم من طرابلس للاسكندرية فامر الامير مأمور السفن ان يخبره حين قدومه فلما قدمت السفينة التى فيها الشيخ لثغر الاسكندرية أرسل خبر اللامير فأمر بالتأهل والاستعداد لمقابلة الشيخ رضى الله عنه وقام الامير بنفسه ومعه رجال دولته والشيخ المسيرى وجماعة أعيان الثغر واستقبلوا الشيخ فى السفينة وأجرى فى حقه كامل الاحتفالات والتعظيم وكان يوما مشهودا وبالجملة فترجمة الشيخ طويلة اكتفينا منها بهذا القدر ومن أراد استيفاءها فعليه بكتاب ابن عمنا العلامة الشيخ محمد كامل دام محفوظا وبعين الرعاية من الله ملحوظا آمين

﴿يقول راجى غفران المساوى * يوسف صالح محمد الجزماوى﴾

نحمدك اللهم يا من ذللت السبيل لمعرفتك بما أفضته من ينابيع الحكم والاسرار * وأبدت مقدمات اليقين على قلوب المخلصين الاخيار * ونشكرك لانك أنزلت الحكمة وجعلت مقرها قلوب أهل الصفاء من المقربين * وأنرت بأشعتها الارواح والقلوب لاهل الاخلاص واليقين * ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الناطق بالحكم بأوضح الدلالات * والمسفر عن شمس الحقائق فيها بأفصح الآيات * وعلى آله نجوم الهدايه * وأصحابه البالغين فى نصرته كل غايه * (وبعد) فقد تم طبع كتاب احياء القلوب لحضرة من مزج آيات الحكم بصفو زلال عبارته * وأظهر من مخدرات نفائس الاذهان بيان ما استصعب من جليلها بنور براعته * ﴿العلامة الشيخ عبد القادر الرافعى * الفاروقى الطرابلسى﴾ الذى شرح به حكم شيخه مربى المريدين * ومرشد السالكين * نهاية المخلصين بلا نزاع * ومرجع الواصلين بلا دفاع * حلية أهل الارشاد * والداعى الى الهدى وطرق السداد ﴿الاستاذ الشيخ محمود الكردى الخلوتى﴾ رحمهما الله تعالى ونور ضريحهما *

وجعل الجنة مقرهما ومأواهما * كيف لا وهو شرح أبان أسرار الحكم اللدنيه *
وكشف للمستجدى المعارف اليقينيه * مع سلاسة عبارة تنبئ عن تمكن صائغه من
بيانه للحكم فاضحت به نيرات * وانه يشرحها عن ذوق لا مجرد فهم ونقل عبارات *
فكم اشتملت صحائفه على أحاديث هى هدى لمضمرات القلوب * وآيات تهتدى بها
النفوس للتخلص من سر الشهوات والعيوب * وحبذا نصائح ممتزجة مع الشرح
تكسب الانسان حب الله ومعرفته * وتحليه بمكارم الاخلاق وتصحيح حريته *
ولما كان هذا الشرح بهذه الصفة وان ماذكر من بعض أوصافه * كان من
أكبر الامنيات طبعه ليحظى العموم من سلسبيله وارتشافه * قيض الله لطبعه
من محبته فى الخير ذاتيه * وآماله مقرونة بنيل الامنيه * الموصوف بالكمال الباهر
والفضل الزاهر ﴿ الشيخ محمد سعيد الرافعى بن عبد القادر بن سعيد بن أحمد بن
المؤلف ﴾ رضى الله عنه فجزاه الله عن مثل هذا الصنع كل خير ووقاه من
الحوادث كل هم وضير * وذلك بالمطبعة العلمية * بمحروسة مصر القاهرة المعزيه
بجوار الجامع الازهر * لازال لواء العلم به ينشر * ادارة الموصوفين
بالعجز والتقصير * المشمولين بعناية المولى القدير *
(السيد عمر هاشم الكتبى وأخيه السيد محمد
هاشم الكتبى) جمل الله مسعاهما * وبلغهما
مطلوبهما ومناهما * فى جمادى الاولى
سنة ١٣١٥ هجريه على
صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحيه
آمين

4087

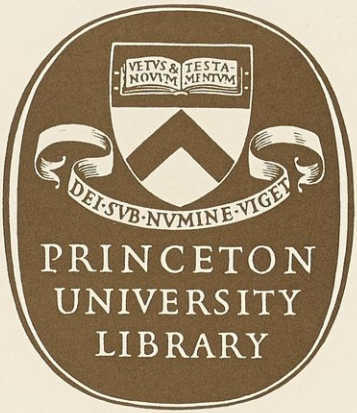

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
May—June 1987
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 064066325